الذوق الأدبي

نستطيع أن نعرّف الذوق الأدبي بأنه «قدرة يميز بها جمال النص الأدبي أو رداءته».. وما من شك في أن الناس يتفاوتون في الذوق الأدبي كما يتفاوتون في تذوق الطعام والشراب.

ومع أن من الصعوبة بمكان أن توضع معيارية للذوق الأدبي، إلا أن النقاد المعاصرين وضعوا مصطلح «الذوق السليم» ليكون معياراً تقريبياً للذوق المتوسط الذي لا يهبط إلى مستوى الذوق السقيم، ولا يرقى إلى مرتبة الذوق المتفرد.

والذوق الأدبي موهبة فطرية، وهو ينمو بالثقافة وسعة الاطلاع، كما ينمو بالدربة والمران على تذوق النصوص.

وللذوق الأدبي العام أهمية بالغة في توجيه الحركة الأدبية، ويذهب الدكتور عمر الدسوقي إلى أن طغيان المادة، وجفاف المياه، وفساد السلائق.. كل ذلك أدى إلى انحراف الذوق الأدبي في العالم العربي نحو الأدب الهابط والأدب الرخيص الذي يثير الغرائز، بل ربما وصل إلى الركاكة والغثاثة.

ومن المؤسف أن كثيراً من الأدباء يتملقون الذوق العام المنحرف، ويقلدهم الآخرون، وبذلك نرى انحطاطاً محزناً في الإنتاج الأدبي شعراً ونثراً، والسبب في رأي الناقد المذكور يعود إلى إهمال الذوق الأدبي العام، وعدم تعهده بالصقل والتهذيب في المنزل والمدرسة والمجتمع، ومع فقدان التوجيه السديد الذي يأخذ بيد القارئ إلى ما يسمو بروحه وعقله وخلقه، ويأخذ بيد الشادين في الأدب فيدلهم على الطريق الأقوم.

ومما يضخم المشكلة أننا ندخل فيما يشبه الحلقة المفرغة، فالأدباء يتملقون الذوق العام المنحرف بإنتاجهم الهابط، والجمهور يقبل على الإنتاج الهابط بسبب انحراف الذوق العام.

ومع أن الذوق موهبة فطري - كما قدمنا - فليس هناك إنسان محروم من قدر معين في الذوق الأدبي، والذي يمكن تنميته بالتثقيف والرعاية والصقل والتهذيب، والممارسة الدائبة.

فأما الثقافة فتقتضي وجود مكتبة في كل بيت شريطة اختيار الكتب الجيدة من أمهات الكتب الأدبية، وغير الشعر، مع تنمية حب القراءة الواعية الهادئة.

وأما الرعاية والصقل والتهذيب والتوجيه فهي عملية مستمرة تبدأ من الآباء المثقفين لتنتهي بالنقاد المتمرسين الذين لهم دور كبير في مسيرة الأدب وتوجيهه، ويأتي ما بين الآباء والنقاد دور المدارس والجامعات من حيث العناية بتذوق النص الأدبي، وتوجيه الأجيال إلى دراسة أدب التراث، والوقوف عند روائع الشعر القديم، والتوجيه إلى حفظ الكثير منها أو مدارسته، وفي هذا المجال نستطيع أن نسترشد بما ذهب إليه ابن الأثير في ضرورة أن يكثر المرء من حفظ شعر العرب لا شتماله على ذكر أخبارهم وآثارهم، وأنسابهم وأحسابهم، وفي ذلك «تقوية لطبعه، وبه يعرف المقاصد، ويسهل عليه اللفظ.. ويتسع المذهب ولا يستغني عن شعر المولدين المجيدين لما فيه من حلاوة اللفظ، وقرب المأخذ، وإشارات الملح، ووجوه البدائع»

رئيس التحرير

مجلة فصلية
تصدر عن
رابطة الأدب الإسلامي العالمية

الأدب الإسلامي

■ المجلد السادس ـ العدد الثاني والعشرون ١٤٢٠ هـ

المشرف العام
أبو الحسن علي الندوي

رئيس التحرير
د. عبدالقدوس أبو صالح

نائب رئيس التحرير
الفريق يحيى المعلمي

مدير التحرير
د. سعد أبو الرضا

مستشارو التحرير
د. محمد زغلول سلام
د. عبده زايد
د. علي الخضيري

هيئة التحرير
د. عبدالباسط بدر
د. حسين علي محمد
حبيب معلا المطيري

د. عبد القدوس أبو صالح

د. محمد علي الهاشمي

د. مصطفى الشكعة

المقالات والبحوث	٤
الإبداع	١٢
ردود ومناقشات	٨٦
الأقلام الواعدة	٩٦
من أخبار الأدب الإسلامي	١٠٢
الورقة الأخيرة	١١٢

□□ الصف وأعمال التصميم والتنفيذ:
فتا جرافيك القاهرة ـ هاتف: ٣٢٦٠٦٠٣ ـ ٣٢٧٣١٣٩

□□ طبع هذا العدد في مطابع..
مؤسسة الرسالة
بيروت ـ وطي المصيطبة ـ بناء عبد الله سليت
تلفاكس: ٨١٥١١٢-٣١٩٠٣٩-٦٠٣٢٤٣
البريد الإليكتروني: Resalah@Cyberia.net.lb

المراسلات:
□□ السعودية ـ الرياض: ١١٥٣٤
ص.ب ٥٥٤٦ ـ هاتف وفاكس: ٤٠٣٦٠٨٢
□□ مصر ـ القاهرة ـ ص.ب ٩٦ رمسيس
هاتف: ٥٧٤٣٤٤٦
□□ الأردن ـ عمّان ١١١٩٢ ـ ص.ب ٩٢١٧٧٣
هاتف وفاكس: ٥٦٢٠٩٣٥
□□ المغرب ـ وجدة ٦٠٠٠١ ـ ص.ب ٢٣٨
هاتف ٧٤٣٣٠٤

فهرس الأدب الإسلامي

■■ المقالات والبحوث:

- الافتتاحية: الذوق الأدبي — رئيس التحرير — ١
- النقد الأدبي ودوره في تحقيق الهوية الإبداعية — أ. د. ناصر الرشيد — ٤
- أدب الطفل من منظور إسلامي.. «السندباد والمعلم الصالح» — د. عبد الحميد إبراهيم — ١٤
- لقاء العدد: حوار مع رئيس التحرير.. د. عبد القدوس أبو صالح — حوار: د. غريب جمعة — ٢٢
- هل للإسلامية منهجها المتميز، ومنهجها الخاص في الدراسة الأدبية؟ — د. عماد الدين خليل — ٣٤
- آيتماتوف القرغيزي، وضاغجي القرمي.. من قمم الروائيين الإسلاميين — د. محمد حرب — ٤٠
- قراءة في كتاب.. الصحابي الجليل عبد الله بن الزبعري.. لمحمد علي كتبي — د. عبد الباسط بدر — ٤٦
- الصورة والتصور في شعر قاسم الوزير — د. محمد أبو بكر حميد — ٥٢
- من ثمرات المطابع: المضمون الإصلاحي في الشعر الإسلامي الفلبيني — د. عبد الله أحمد حمدي — ٦٠
- دور مسدس حالي.. في الحياة الاجتماعية، في شبه القارة الهندية — د. جلال السعيد الحفناوي — ٧٢
- القصيدة الإسلامية المعاصرة في المغرب — حمداوي جميل — ٧٨
- إقـــــرأ — نافذة الحنبلي — ٩١

■■ الإبداع:

- يانفحة الطهر «شعر» — د. عبد الله المسعود — ١٩
- غناء أبوي «شعر» — د. عبده محمد بدوي — ٢٥
- إمرأة عاملة «قصة» — حميدة قطب — ٢٠
- المواجهة «شعر» — راضي صدوق — ٤٥
- أصداء من سيرة الضوء والظل «شعر» — د. صابر عبد الدايم — ٤٨
- درس في التاريخ «قصة قصيرة» — أحمد المزاري — ٥٠
- من تراث الشعر: الشاعر الأسير — أبو فراس الحمداني — ٥٨
- من تراث النثر: حزم وتدبير — ابن العميد — ٥٩
- وإن كان سلمان منهم «شعر» — د. عبد الرزاق حسين — ٧١
- المســـرى «شعر» — داوود معلا — ٧٦

■■ مكتبة الأدب الإسلامي:

- في النقد التطبيقي تأليف د. عماد الدين خليل — عرض: شمس الدين درمش — ٨٢
- كتب وقضايا في الأدب الإسلامي تأليف د. حسين علي محمد — عرض: د. محمد حجازي — ٨٣

■■ وجوه ومعارف:

- تعقيب على قصيدة «دموع من أجل ليلى».. لفواز الشروقي — سامر محمد البارودي — ٨٤

■■ الأقلام الواعدة

- قراءة في بريد الأقلام الواعدة — ٨٦
- عنترة يبكي على أطلال القدس «شعر» — مصطفى السواحلي — ٨٧
- حوائط وبشر «خاطرة» — زهراء الظفيري — ٨٩
- للغربة حسنات «خاطرة» — زهراء الظفيري — ٨٩
- قلمـــا «شعر» — هشام القاضي — ٩٠

■■ أخبار الأدب الإسلامي:

□□ ندوات ومؤتمرات:

- مؤتمر الأدب الإسلامي.. بين الواقع والطموح - الأردن — ٩٢
- ندوة القصة في الأدب الإسلامي - الهند — ٩٦
- ندوة الأدب الإسلامي في خدمة الدعوة - مصر — ٩٩
- الملتقى الدولي للأدبيات الإسلامية - مصر — ١٠٠
- جائزة حسن الإمراني في الإبداع الأدبي - المغرب — ١٠٠
- نشاطات مؤسسة الدفاع الثقافية - المغرب — ١٠١
- ندوة المرأة والمجتمع: دور عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ» - المغرب — ١٠١
- برنامجان عن الأدب الإسلامي في قناة الشارقة — ١٠٢
- أمسيات شعرية - الأردن — ١٠٢
- محاضرة أدب الأطفال في الإسلام - الأردن — ١٠٢
- من أخبار أعضاء الرابطة:
  - تكريم د. محمد علي هاشمي — ١٠٣
  - تكريم د. مصطفى الشكعة — ١٠٣
- توصيات مؤتمر الأدب الإسلامي في خدمة الدعوة — ١٠٥
- البقاء لله — ١٠٧
- من إصدارات أعضاء الرابطة — ١٠٨

■■ بريد الأدب الإسلامي — ١١٠

■■ المرفأ الأخير:

- إلقاء فوق النسوة.. والنقد الأدبي النسائي — د. سعد أبو الرضا — ١١٢

■■ أسعار بيع المجلة

دول الخليج : ١٠ ريالات سعودية أو ما يعادلها ـــ الأردن: دينار واحد ـــ مصر : ٣ جنيهات ـــ سورية : ٥٠ ليرة ـــ لبنان : ٢٥٠٠ ليرة ـــ المغرب العربي : ١٠ دراهم مغربية أو مايعادلها ـــ اليمن : ٢٥٠ ريالاً ـــ السودان : ٥٠ جنيهاً ـ الدول الأوربية : مايعادل دولارين .

■■ الاشتراكات :

للأفراد : ما يعادل ١٥ دولاراً في البلاد العربية ، و ٢٥ دولاراً خارج البلاد العربية. للمؤسسات والدوائر الحكومية : ما يعادل ٣٠ دولاراً .

مقال..

النقد الأدبي..
ودوره في تحقيق الهوية

أسهم النقاد العرب إسهاماً كبيراً حفلت به كتبهم ومصنفاتهم التي ضمنوها بعض آرائهم النقدية وملاحظاتهم التصحيحية وأحسب أن أول ما يقابل الدارس لتاريخ النقد العربي أنْ يجد أنّ «احتذاء النموذج السابق» مسيطر سيطرة تامة على مجريات النقد نظرياً وتطبيقياً، وذلك أنهم نظروا إلى الشعر الجاهلي إما برمته أو اختاروا منه نماذج كالمعلقات، وسمطي الدهر، وبعض المختارات منه وجعلوها «أنموذجاً» يجب على المبدع الفحل أن يحتذيها موضوعاً وتقسيماً وبقدر احتذائها يكون تقدير إبداعه وفحولة شعره، أما إذا خرج عنها فهو معرض للنقد وأن يعاب عليه ذلك الفعل كما هو الحال مع أبي نواس وأبي تمام، أو أن يكون عرضة لإهمال شعره و«تخريقه» وما كتب الاختيارات للمفضل الضبي والأصمعي والخالديين أو «الحماسات» لأبي تمام وللبحتري وابن الشجري إلا محاولة لتكريس مفهوم «الأنموذج» والدعوة إلى احتذائه ومحاكاته.

ولندع شيخاً من شيوخ النقاد ابن قتيبة يعلن هذا التصور حيث يقول(١):

«قال أبومحمد: وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها، إذ كان نازلة العَمَد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر لانتقالهم من ماء إلى ماء، وانتجاعهم الكلأ وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان: ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد وألم الفراق، وفرط الصبابة والشوق، ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه، لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب وضارباً فيه بسهم، حلال أو حرام فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له عقّب بإيجاب الحقوق فرحل في شعره وشكا النصب والسهر وسُرى الليل وحرّ الهجير وإنضاء الراحلة والبعير، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمامة التأميل، وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير بدأ في المديح فبعثه على المكافأة وهزه للسماح وفضله على الأشباه وصغّر في قدره الجزيل، فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدل بين هذه الأقسام فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر ولم

ـــــــة الإبداعـــــية

يُطلّ فيمل السامعين ولم يقطع وبالنفوس ظمأ إلى المزيد».

وبعد أن أعلن ابن قتيبة «أنموذجه» الشعري قرر بصرامة أن «ليس لمتأخر أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام فيقف على منزل عامر، أو يبكي عند مشيّد البنيان لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر والرسم العافي، أو برحل على حمار أو بغل ويصفهما لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير، أو يرد على المياه العذاب الجواري لأن المتقدمين وردوا على الأواجن الطوامي، أو يقطع إلى الممدوح منابت النرجس والآس والورد لأن المتقدمين جروا على قطع منابت الشيح والحنوة والعرارة، قال خلف الأحمر: قال لي شيخ من أهل الكوفة: أما عجبت من الشاعر قال:

انبتَ قيصوماً وجثجاثا

فاحتمل له، وقلت أنا:

انبت إجّاصاً وتفاحاً

فلم يحتمل لي؟!»(٢)

ومع أن قصر الإبداع على أنموذج سابق عدوان في حق الشعر وغل للملكة والموهبة، فإن ابن قتيبة يضيق هذا الأنموذج فيمنع على المتأخر أن يحاكي المتقدم في ما كان يجوز للمتقدم من اشتقاق ونحوه، يقول(٣): «وليس له أن يقيس على اشتقاقهم، فيطلق مالم يطلقوا، قال الخليل بن أحمد أنشدني رجل:

ترافع العزُّ بنا فارْفَنعا

فقلت له: ليس هذا شيئاً، فقال: كيف جاز للعجاج أن يقول:

تقاعس العزُّ بنا فاقْعَنْسَسا

ولايجوز لي ؟!»

ويقول ابن قتيبة أيضاً:(٤) «وليس لمحدث أن يتبع

بقلم: الأستاذ الدكتور
ناصر بن سعد الرشيد

المتقدم في استعمال وحشي الكلام الذي لم يكثر ككثير من أبنية سيبويه، واستعمال اللغة القليلة في العرب، كإبدالهم الجيم من الياء، كقول القائل: «يارب إن كنت قبلت حَجّتي» يريد «حجتي»، وكقولهم: «جعل بُخْتَجّ» يريدون «بختي» و«عَجّ» يريدون «علي» وإبدالهم الياء من الحرف في الكلمة المخفوضة كقول الشاعر:

لها أشاريرٌ من لحم تُتَمِّره
من الثعالي ووفرٌ من أرانيها

يريد: «من أرانبها»، وكقول الآخر:

«ولضفادي جَمّةٌ نقانقِ»

يريد «ضفادع»، وكإبدالهم الواو من الألف كقولهم: «افعوا» و«حُبْلُوْ» يريدون «أفعى وحبلى» وقال ابن عباس: «لا بأس برمي الحدو (للمحرم)»

كان الأنموذج الجاهلي الذي استمر طيلة مسيرة النقد العربي على وشك أن يحل محله أنموذج جديد بعد ظهور الإسلام؛ إذ إنّ الإسلام أتى بمفاهيم جديدة وبقيم جديدة وبتصور مغاير للتصور الجاهلي عن الإنسان والكون والحياة وعالم الشهادة وعالم الغيب وعالم ما بعد الحياة، كان الإسلام جديراً أن يأتي بهذه إبداعية مغايرة وبمدرسة فنية جديدة تتمثل تصور الإسلام في الحياة وفي ما بعد الحياة، بيد أن هذا لم يحدث إلا يسيراً، وذلك لأن شعراء تلك الفترة كانوا في أغلبهم قد أشربوا قيم الجاهلية وأصبحوا جزءاً من ذلك الأنموذج قبل الإسلام فحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة وابن الزبعري وأبوسفيان بن الحارث وأبوسفيان بن حرب وضرار بن الخطاب وكعب بن زهير وتميم بن مقبل والنابغة الجعدي وعمرو بن معد يكرب الزبيدي والعباس بن مرداس والشاعرة

□ جاء الإسلام بمفاهيم جديدة في النقد وبتصور مغاير عن الإنسان والكون والحياة.

الخنساء وأضرابهم ممن شكلوا مفهوم «الفحولة» كانوا شعراء في الجاهلية وأسلم بعضهم على كبر وبعضهم من الشباب كابن رواحة وكعب بن مالك أخذتهم مع من سبقهم سنا صدمة الجديد: الإسلام بقيمه وتعاليمه ونسخ بعض من مقومات الشعر آنذاك وغيّر النفس كما غير المفهوم وهذب الرغبة والرهبة اللتين كانتا الدافع لقول الشعر وزرع مكانهما رغبة ورهبة جديدتين ونقلهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد الأمر الذي لم يحتمله شاعر الجاهلية سابقاً فسكت مطلقاً كما فعل لبيد بن ربيعة، أو حاول أن يتفاعل مع الجديد بادئاً من جديد بعد أن طعن في السن، فجاء شعره في إسلامه أضعف من شعره في جاهليته كحسان والنابغة الجعدي وكعب بن زهير وشيم بن مقبل ودع عنك مقولة بعض نقادنا - رحمهم الله تعالى - الذين فسروا هذا الضعف في سياق الخير والشر وأن الشعر يضعف في الخير ويقوى في الشر[5]. فهذه مقولة نقدية لا تقوى أن تقف أمام الحقائق والجدل. ولقد لحظ الأستاذ محمد قطب ما أحدثته الصدمة الجديدة على الشاعر الجاهلي قبلورها بقوله:[6] «ويمكن أن يقال إن من أسباب انقطاع التعبير الفني في تلك الفترة كذلك أن الأغراض «التقليدية» التي كان يقال فيها الشعر قد تغيرت من أساسها بفعل العقيدة الجديدة.. بينما الأغراض الجديدة التي يمكن أن يقال فيها لم تتبلور بعد بلورة فنية..»

ثم عاد الأنموذج الجاهلي من جديد على يد كبار الشعراء الأمويين كالفرزدق وجرير وذي الرمة، واستمر بعد ذلك إلى شعر النهضة على أن هناك اختراقات إبداعية تخللت الشعر لكنها وإن كان لها بعض الأثر عجزت أن تؤسس مذهباً إبداعياً جديداً، وهي أشبه ما تكون بمحاولات التمرد أو الخروج على الأنموذج السائد الذي ارتضاه النقاد ورسمه ابن قتيبة وابن طباطبا، وكان ذلك على يد أبي العتاهية وأبي نواس وصريع الغواني وأبي تمام وابن المعتز، وكانت ردة الفعل عند النقاد عنيفة مثّلها ابن الأعرابي بموقفه من شعر أبي تمام بقوله المشهور «خرق خرق»[7] والأصمعي وموقفه من اسحاق بن إبراهيم الموصلي[8] إذ أن معظم النقاد في تلك الفترة من النحاة واللغويين كالأصمعي وابن الأعرابي والسكري وثعلب والمبرد وابن حبيب والمازني والفراء والأخافشة الذين قاسوا الإبداع بمقياس نحوي أو لغوي صارم، فقعّدوا للفن وللجمال كما قعدوا للغة والنحو فقعدوا به لأن الفن لايقبل التقعيد، فالتقعيد والحدود والتعريفات قيود تفرض على الإبداع ولذلك جاء الخروج والتمرد على هذه القيود من بعض الشعراء، كأبي العتاهية وعبر عنها بقوله حينما أخذ عليه خروج على عروض الخليل[9]: «أنا أكبر من العروض» كما احتج البحتري على أحمد بن العباس ثعلب بمقولته الشهيرة[10]: «ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله، فإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه» لكن هذا لاينفي أن هناك نقاداً من الشعراء المبدعين تركوا لنا بعض الآراء أو المؤلفات النقدية كأبي تمام وابن المعتز وأبي العلاء المعري تبين أنها لم تلق صدى واستجابة وقبولاً ممن كان في يدهم آنذاك سلطة النقد «النحاة واللغويون».

ويجب ألا نغفل قضية عمود الشعر تلك التي عمقت مسألة الأنموذج وجعلته معياراً ومما يتعجب منه الدارس أن تركيز النقاد في أنموذجهم على الشعر فقط، ولقد أهملوا النثر العربي بمجمله إذا استثنينا الجاحظ في كتابه «البيان والتبين» وابن قتيبة في «عيون الأخبار» وابن عبد ربه في «العقد الفريد» الأمر الذي أفقد النقد العربي دراسة «النثر» بأقسامه من خطب وأمثال ووصايا ورسائل، وفوق هذا كله القرآن الكريم والحديث النبوي، وعلى أن الجاحظ وابن قتيبة وابن عبدربه ذكروا شيئاً من ذلك إلا أنهم لم يزيدوا على آداب الخطبة ومستلزمات الخطيب وكيفية الخطاب، والتأثير في السامعين ولم يلامسوا جمال هذه النصوص النثرية ملامستهم للنصوص الشعرية، وهم بفعلهم هذا أقرب مايكونون إلى التسجيل والتوثيق منهم إلى النقد، وأزعم أن النحاة واللغويين جنوا على حديث رسول الله ﷺ وهو يمثل كما هائلاً وكيفاً رائعاً من النصوص النثرية الجميلة حيث وقفوا منه موقفهم المشهور بعدم الاحتجاج به وغيرهم من أقر الاستئناس به، الأمر الذي أثار حفيظة الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى وقال بحدة وعنف حاملاً على النحاة[11]: «لم نجد أحداً من النحويين استشهد بحديث رسول الله ﷺ وهم

يستشهدون بكلام أحلاف العرب وسفهائهم الذين يبولون على أعقابهم، وأشعارهم التي فيها الفحش والخنا ويتركون الأحاديث الصحيحة لأنها تنقل بالمعنى..»

كما كان تعاملهم مع الأمثال وهي ذخيرة أدبية رائعة إذ هي تكثيف بليغ لحوادث وتجارب وتاريخ طويل أن حفظوها لنا وذكروا مناسباتها وقصصها ومدلولها التاريخي أو الاجتماعي والحضاري دون دراستها دراسة أدبية الأمر الذي أسهم في انحسارها حتى أنك لاتجد أمثلة مدونة بعد قرون الآمدي والضبي والأصفهاني وفعل بأمثال القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف مثلما فعل بأمثال العرب فلقد حرص بعض العلماء من غير النقاد المشهورين بالعناية بأمثال القرآن وإبراز مدلولاتها العقدية ودورها التعليمي كما فعل ابن قيم الجوزية في كتابه «أمثال القرآن»[١٣] والماوردي في كتابه «أمثال القرآن» أيضاً، وطبق نفس المنهج والقراءة على الأمثال الحديثية. فقد ألف الرامهرمزي كتابه «أمثال الحديث» وأبوالشيخ الأصفهاني «كتاب الأمثال في الحديث».

وقد يقال عن فن «المقامة» التي كان يمكن لها أن تتطور حتى تصبح جنساً أدبياً رائعاً ما قيل عن «الأمثال»، وأحسب أن مسئولية النقاد تجاه «المقامة» كبيرة وأنهم قصّروا بالدفع بها وتطويرها في أن بدأت تنمو على يد بديع الزمان الهمذاني والحريري حتى تلقفها النقاد من النحاة واللغويين فركزوا على شرح غريبها ونحوها ولغتها دون النظر إليها بصفتها فناً أو جنساً أدبياً، فإن الخشاب والمطرزي والونشريسي مثلاً تصدوا لهذه المهمة، لكنهم قعدوا بها ولم يتجاوزوا نحوها ولغتها مما جعلها تنحسر بل وتموت في عنفوانها.

وهناك أجناس من النثر ربما وجدنا فيها بعض النماذج النثرية الرائعة التي يجب علينا أن نبرزها أو على الأقل نلفت النظر إليها كالمواعظ والمقامات وأحسب أن مواعظ الحسن البصري وابن الجوزي وأحمد الغزالي وابن قيم الجوزية كان يمكن لها أن تصبح جنساً أدبياً لو أنها توبعت من قبل الأدباء وتتبعت من قبل النقاد.

ومما يلفت النظر أن النقاد لم يأخذوا من القرآن الكريم وأسلوبه المعجز أنموذجاً نثرياً كما فعلوا ذلك مع المعلقات والسمطية ولعل السبب يعود إلى أن النقاد اهتموا بالشعر أكثر من اهتمامهم بأي جنس أدبي آخر أو لعلهم تحرجوا وتأثموا أن يعاملوا القرآن الكريم كما يعاملون أي نص بشري أو لعلهم اعتبروه أنموذجاً أعلى لا يطيقه البشر فانصرفوا عن التعامل مع النص القرآني على أساس نقدي أو على أنه جنس أدبي مخصوص وركزوا على دراسة إعجازه وبيان مدار الإعجاز ومناطه كما ركزوا أيضاً على نحو القراءات أو على تفسير القرآن البياني كما هو معروف لدى المهتمين ودرسوا الاقتباس من القرآن وتضمين شيء من آياته نصاً أو تلميحاً وعدوا ذلك باباً من أبواب البلاغة «علم البديع» وسموه «الاقتباس» كما اكتفوا بالاستشهاد ببعض آيات القرآن الكريم لتخدم قواعدهم النحوية أو البلاغية شأنهم في ذلك شأن استشهادهم بأي بيت شعري على أن البلاغة العربية والنقد العربي في نشأتهما مدينان للقرآن الكريم كما يشهد بذلك كتاب أبي عبيدة «مجاز القرآن» وقصة تأليفه مشهورة فلا داعي لذكرها ومن أراد ذلك فليرجع إلى مقدمة هذا الكتاب. كما لاينكر أحد أن أعظم كتابين في البلاغة العربية والنقد كانا يدوران أصلاً حول إعجاز القرآن الكريم بل سُمّيا به الباقلاني، المتوفي سنة ٤٠٣ هـ يعنون كتابه «إعجاز القرآن» والإمام الشيخ عبدالقاهر الجرجاني المتوفي سنة ٤٧١هـ يسم كتابه بـ «دلائل الإعجاز» ولندع كل واحد من الشيخين يعرفنا بكتابه، يقول الباقلاني[١٤]: «وسأل سائل أن نذكر جملة من القول جامعة، تسقط الشبهات وتزيل الشكوك التي تعرض للجهال وتنتهي إلى ما يخطر لهم ويعرض لأفهامهم من الطعن في وجه المعجزة.. فأجبناه إلى ذلك متقربين إلى الله عز وجل ومتوكلين عليه وعلى حسن توفيقه ومعونته.. ونحن نبين ما سبق فيه البيان من غيرنا ونشير إليه ولا نبسط القول لئلا يكون ما ألفناه مكرراً ومقولاً، بل يكون مستفاداً من جهة هذا الكتاب خاصة، ونضيف ما يجب وصفه من القول في تنزيل متصرفات الخطاب وترتيب وجوه الكلام وما تختلف فيه طرق البلاغة، وتتفاوت من جهته سبل البراعة، وما يشتبه له ظاهرة الفصاحة ويختلف فيه المختلفون من أهل

□ أعاد كبار الشعراء الأمويين، كالفرزدق وجرير وذي الرمه، الأنموذج الجاهلي في النقد الذي استمر إلى عصر النهضة.

صناعة العربية».

أما عبدالقاهر فيقول[15]: «ما هذا الذي تجدد بالقرآن من عظيم المزية، وباهر الفضل، والعجيب من الوصف حتى أعجز الخلق قاطبة وحتى قهر من البلغاء والفصحاء القُوى والقُدر، وقيد الخواطر والفكر حتى خرست الشقاشق وعدم نطق الناطق وحتى لم يجر لسان، ولم يبن بيان، ولم يساعد إمكان ولم ينقدح لأحد منهم زند، ولم يمض له حد وحتى أسال الوادي عليهم عجزاً وأخذ مناقذ القول عليهم أخذاً، أيلزمنا أن نجيب هذا الخصم عن سؤاله ونرده عن ضلاله وأن نطبّ لدائه ونزيل الفساد عن آرائه فإن كان ذلك يلزمنا فينبغي لكل ذي دين وعقل أن ينظر في الكتاب الذي وضعناه، ويستقصي التأمل لما أودعناه، فإن علم أنه الطريق إلى البيان والكشف عن الحجة والبرهان، تبع الحق وأخذ به وإلا رأى أن له طريقاً غيره أوما إليه، ودلنا عليه، وهيهات ذلك».

وقصارى القول فإن الباقلاني جعل جهده أن يقارن ويوازن بين أسلوب القرآن وبيانه وثبات هذا البيان في جميع آيات القرآن وبين النصوص العربية الأخرى لاسيما الشعرية منها ليظهر له تفوق القرآن أسلوباً وبياناً وتأثيراً وثباتاً فيثبت له الإعجاز، أما عبدالقاهر فركز على نظم القرآن الذي كان الجاحظ قد سبق إليه واحدة من رسائله المعروفة بـ«نظم القرآن» لكنها مع الأسف فقدت وإن بقي لها ذكر، ومنها نقولات في بعض المؤلفات المتأخرة مثل كتب السيوطي وكان هم الباقلاني أن يثبت تفوق أسلوب القرآن وسموه على غيره من النتاج البشري الفصيح، وكان المؤلفين كان هاجسهما المسيطر أن يدافعا عن إعجاز القرآن ويردا شبه الملحدين والزنادقة الذين يطعنون في إعجاز القرآن من أهل مذهب «الصرفة» ونحوهم عن طريق البرهنة والموازنة، وكان لهذين المؤلفين ريادة نقدية رائعة أسست لبعض النظريات النقدية مثل «نظرية النظم» ونظرية التناسب» وشاركهما في ذلك علمان بارزان مثل الفخر الرازي وابن قيم الجوزية، أما الأول فقد أودع تفسيره الكبير المشهور كثيراً من آرائه البلاغية التي ترتكز على النظم ومسألة التناسب لكنها ـ لعظم حجم المؤلف ـ لم تحظ بهمم الدارسين لصعوبة تتبعها في هذا المؤلف الضخم، أما ابن قيم الجوزية فقد أودع كثيراً من النظرات النقدية والبلاغية التي تعنى بالتناسب ونظم الآيات والسور في كتابه «بدائع الفوائد» وكان يمكن لهذه الكتب الأربعة أن تحدث فتحاً مبيناً في عالم النقد لو أنها تويعت وتلقفها الخلف عنهم بمزيد من العناية والإضافة لكن هذا ـ مع الأسف ـ لم يحدث إذ جنح النقد العربي ممثلاً بالبلاغة العربية إلى التمنطق والجمود على يد عدد من المتكلمين والمناطقة كالسكاكي والعلامة التفتازاني والسيد الجرجاني والسيالكوتي والخطيب القزويني، الأمر الذي جعل الخالفين من البلاغيين يقفون عند شرح متونهم وتبين عويصهم، وأي علم يصل إلى هذا الحد أو يقف به أهله عند مثل هذا فهو من أمارات غوره ونضوبه واغتيال الملكات والمواهب في جيله كما أشار إلى ذلك ابن خلدون في سبب تأخر المغرب العربي في طلب العلم عن المشرق العربي في وقته[16]، وهذا هو ما حاول الناقدان مصطفى صادق الرافعي وسيد قطب ـ رحمهما الله تعالى ـ أن يتفاديا في مؤلفيهما «إعجاز القرآن» و«التصوير الفني في القرآن» وإن هما لم يستطيعا إنجاز نظرية نقدية تستمد كنهها من النصوص القرآنية، لكنهما كالرائدين رسما معالم هذه النظرية لمن أراد أن يواصل المسيرة.

ولا يظن ظان في أن النقد كان محصوراً في هؤلاء اللغويين أو البلاغيين فللمفسرين إسهاماتهم التي يجب ألا تنكر وخصوصاً أهل التفسير البياني كالزمخشري والطبرسي وسيد قطب والكواشي وابن الزملكاني، كما كان هناك مدرستان نقديتان تسيران جنباً إلى جنب مع هؤلاء الصنف من النقاد تتوازيان حيناً وتتقاطعان حيناً آخر، تتفقان مرة وتختلفان أخرى، وهما مدرسة المحدثين ومدرسة أهل النظر «الأصوليون»، ولكل من هاتين المدرستين هدفها ولكل منهما معاييرها فالأولى مدرسة المحدثين أو كما كانت تسمى في أول مراحلها «مدرسة النقد» (ومعلوم تاريخياً أن أول من استعمل مصطلح «النقد» هم المحدثون وليسوا أهل النقد الأدبي) تعتني بمنهج التوثيق فهي تتعامل مع حديث رسول الله ﷺ في سنده ومتنه لكن معاييرها في النظر إلى المتن «النص» تقترب من النقد أو تنضوي تحته وأحسب أن معاييرهم كانت من الانضباط إلى حد الدهشة

فيما رموا إليه، لأن تصحيح النص من أولويات النقد أو من مستلزمات النص المنقود ويكفي أن أورد نصاً لابن رجب الحنبلي يعكس فيه قدرة أهل الحديث على فهم متن الحديث، يقول[١٧]: «حذاق النقاد من الحفاظ لكثرة ممارستهم للحديث، ومعرفتهم بالرجال وأحاديث كل واحد منهم، لهم فهم خاص يفهمون به أن هذا الحديث يشبه حديث فلان ولا يشبه حديث فلان فيعللون الأحاديث بذلك، وهذا مما لا يعبر عنه بعبارة تحصره وإنما يرجع فيه أهله إلى مجرد الفهم والمعرفة التي خصوا بها عن سائر أهل العلوم».

أما الثانية، وهي مدرسة الأصوليين فلها إسهامات كبيرة في النقد اللغوي، لكننا مع الأسف الشديد لم ننتبه إلى هذا النوع من النقد إلا متأخراً مع بدء انفتاحنا على النقد الأوروبي اللغوي أو الألسني ظانين أن تراثنا النقدي الذي كان يعتني في معظم جوانبه على قضايا الشكل والمعنى والسرقة والأخذ والسبق والتصحيح اللفظي أو النحوي أو تتبع المآخذ أو التحلية والتحسين اللفظي والمعنوي أو الضرورات لم يلتفت إلى ما توجه إليه النقد الحديث من دلالة وعلاقات بين المفردات وبين الجمل وتفسير صوتي لبعض الظواهر اللغوية أو الصرفية أو العروضية وتأويل وتفتيق وتفكيك للبنى النصية وتحليل لها واستنباط مدلولات لها. لكننا لو رجعنا إلى تراثنا الأصولي «أصول الفقه» لألفينا أن هناك ثروة علمية لغوية من أبحاث صرفية ونحوية وبيانية واشتقاقية في مقدماتهم اللغوية، وفي ذلك يقول الأستاذ أمين الخولي: «لايزال كل علم من هذه العلوم يعدون بحث الأصوليين فيه كان ينبغي الاتصال به والوقوف عليه، وفاء بحق الدرس، وتقديراً لنزعتهم العلمية في تناولهم لهذه المسائل»[١٨].

وسأحاول في هذه التعليقة المختصرة أن أشير إلى بعض المسائل التي تضمنها البحث الأصولي:[١٩]

١ـ أنواع الدلالة في اللفظة المفردة: إن تناولت كل المعنى فالعلاقة بين اللفظة ومعناها علاقة مطابقة وإن تناولت جزء المعنى فهي علاقة تضمن، وإن تناولت شيئاً خارجاً عنها ملاصقاً لها فهي علاقة التزام وقد أشار الإمام الغزالي في محاولة للربط بين مشكلة المعنى والقوى الإنسانية المدركة لها بوضع حدود للمحتوى الفكري وعلاقته بالكلمة المنطوقة فيقول[٢٠]: «إن دلالة اللفظ على المعنى تنحصر في ثلاثة أوجه وهي: المطابقة والتضمن والالتزام..» واعتبروا اللغة أصواتاً دالة وقد تتغير تلك الدلالة بتغير بنية الكلمة كما تتغير أيضاً بوضعها في تركيب.

٢ـ كما جعل الأصوليون النص «من حيث استنباط الدلالة، منطوقاً ومفهوماً ومفهوم مخالفة كذلك استنبطوا دلالات من النص خارجة عنه أسموها تارة بالمسكوت عنه[٢١] وتارة أخرى بما ليس في النص كما اهتموا بالسياق وأدركوا قيمته في استنباط الأحكام الشرعية[٢٢].

٣ـ تناول علماء الأصول قضية «الحقيقة والمجاز» من جانب الأصالة والفرعية لمفردات اللغة وأن الاستعمال اللغوي هو الذي يقرر الحقيقة أو المجاز فيكتسب اللفظ الحقيقة عن طريق استقرار الاستعمال وشيوعه كما يكتسب المجاز عن طريق الاستعمال أيضاً، ولكن في غير ماصنع له وما استقر فيه لوجود علاقة بين محل الحقيقة ومحل المجاز، وذلك هو نفس الاتجاه الذي أشار إليه المحدثون من أن الحقيقة لا تعدو أن تكون استعمالاً شائعاً مألوفاً للفظ وليس المجاز إلا انحرافاً عن ذلك المألوف الشائع.

٤ـ العلاقة بين المحتوى العقلي واللفظ وما أثاره الغزالي حول وجود الفكرة أولاً ومهمة اللفظ في إخراجها وما يقابل ذلك لدى علماء الغرب أيضاً ومنهم «أولمان» الذي تكلم عن دورة المعنى وارتباطها بالدلالة (وهي المحتوى الفكري وقيام الرمز «وهو اللفظ» بإخراجها، وأن المعنى هو ذلك المصطلح الذي يطلق على العلاقة المتبادلة بين الدلالة واللفظ.

٥ـ دارت أبحاث الأصوليين حول المضمون عن طريق تحليل النص ولم تتجه إلى معرفة المفاهيم اتجاهاً شكلياً، بل كانت آراؤهم تقوم على أساس من منطق اللغة العربية نفسها.

٦ـ أظهر الأصوليون موقف اللغة من صاحب النص والتقسيم الثلاثي الذي ذكره الغزالي في حديثه عن البيان من: إعلام ودليل وعلم يدور كله حول اللفظ والفكرة وصاحب النص.

٧ـ تناول الأصوليون قضية «القصدية» مقصدية صاحب النص أو مقصدية الشارع الحكيم عن طريق

□ لم يقتصر النقد على اللغويين والبلاغيين فقط.. وإنما كان للمفسرين إسهاماتهم التي لاتنكر.

معرفة اللغة وأساليبها في التعبير لتعريف ماهو في حاجة إلى توضيح وإظهار وما يستتبع ذلك من تحديد الفكرة للوصول إلى مقصد صاحب النص في تحقيق المصلحة الإنسانية ومثل هذه الدراسة الأصولية وتحليلها للنص ومحاولة التعمق بحثاً وراء مقصد الشارع أو العلل التي توجه دلالتها كانت سبباً من أسباب اتساع مجال البحث فيها، وأن هذا العمل لم يكن وقفاً على النص التشريعي وحده بل تناول النص بصفة عامة وكان ستوجه هذا العمل هو النفاذ إلى دقائق المعنى.

٨- يمكن أن يوصف منهج الأصوليين بانه منهج عقلي نظري ذو اتجاه منطقي في التفكير.

وإذا ما تجاوزنا النقد العربي القديم واتجازاته وإشكالاته ثم نظرنا في النقد العربي الحديث أو المعاصر فلن نعدم أن نجد أن هناك محاولات جادة في الخروج من إشكالات النقد العربي القديم ونفث روح جديدة ودم جديد في النقد، لاسيما بعد أن جدت أجناس أدبية كالرواية والقصة والمسرحية حتى لم يعد النقد محصوراً في الشعر وبعض أجناس النثر فهناك محاولات فردية لاترقى إلى أن تصل إلى مدارس لكنها اجتهادات ترمي إلى تجديد في النقد أو محاولة إحيائه بعد أن تعرض - كما هو معروف تاريخياً - لارتخاء وموات كتلك المحاولات التي قام بها أحمد فارس الشدياق والشيخ حسين المرصفي والشيخ نجيب الحداد وروحي الخالدي وسليمان البستاني وقسطاكي الحمصي وخليل مطران ثم تلتها مايمكن أن نسميها بمدارس نقدية ولو تجاوزاً مثل مدرسة الديوان التي قام بها العقاد وشكري والمازني، وحاولت أن تأتي بتصور جديد لمفهوم النقد وقضاياه الهامة كالشكل والمضمون والوحدة العضوية مع تشددها في مسألة موسيقى الشعر الخارجية فهي ترى «أن الوزن شيء ضروري في الشعر وليس هو بالشيء المصطلح عليه، ولكنه جوهري لابد منه»(٢٣)، وهذه المدرسة كانت متأثرة بالمدرسة الرومانسية الانجليزية وكانت تعجب كثيراً ببعض شعراء انجلترا وأدبائها ونقادها مثل ستيوارت ميل، وشيلي، وبايرون، ووردزورث وغيرهم.

ثم جاءت مدرسة المهجر والتي يمثلها ميخائيل نعيمة بكتابه «الغربال» وبدأه بثورة عارمة «على القيم الشكلية الباردة التي وسمت الشعر العربي ردحاً من الزمن وجرت على ألسنة «النظامين» في العصر الحديث سخيفة ممجوجة»(٢٤) وقد بين ميخائيل نعيمة ذلك حين قال(٢٥): «ما تعود البعض أن يدعوه نهضة أدبية عندنا ليست سوى نغمة هبت على بعض شعرائنا وكتابنا من حدائق الأدب الغربية، فدبت في مخيلاتهم وقرائحهم كما تدب العافية في أعضاء المريض بعد إبلاله من سقم طويل، والمرض الذي ألمّ بلغتنا أجيالاً متوالية كان شللاً أوقف فيها حركة الحياة وجعلها بعد عزها جيفة تتغذى بها أقلام الزعانف المستعبدين وقرائح النظّامين والمقلدين».

وطرح نعيمة في كتابه هذا عدداً من القضايا النقدية الهامة كتعريفة للنقد ولوظيفته وكدعوته إلى الفصل بين العمل الأدبي وصاحبه وأن نقد ذلك العمل لايعني بالضرورة نقداً لصاحبه وأن من مهام النقد إبراز نواحي الجمال الخالدة وتقديمها إلى الناس إسهاماً منه في تربية أذواقهم ورفع مستواهم الفني والفكري، ومن القضايا التي طرحها نعيمة مسألة «العروض» حيث يرى أن الأوزان والقوافي ليست من ضرورات الشعر «فرب عبارة منثورة جميلة التنسيق موسيقية الرنة كان فيها من الشعر أكثر مما في قصيدة من مائة بيت بمائة قافية»(٢٦).

ولاشك أن لمدرسة «الغربال» أثراً واضحاً في مسيرة النقد العربي الحديث إذ أنه أبدعها وأنشأها على «نحو ما فهم من آثار الغربيين وماجاء نابعاً من ذوقه الخاص».

وهناك مدرسة «أبولو» التي استقطبت عدداً من الشعراء الكبار ومن الناشئة وهي مدرسة «لم تتبنّ فكرة معينة تتعصب لها أو مذهباً شعرياً ترفض ما سواه، وإن فتحت أبوابها لكل المحاولات الأدبية الناجحة ولكل الآراء التجديدية سواء أكانت شعراً مرسلاً أم نثراً متحرراً»(٢٧) ولعل توجهها المتسامح دفع بعض النقاد المعاصرين إلى نفي صفة المدرسة النقدية عنها، فهذا الدكتور شوقي ضيف يصفها بانها «تفتقد التخطيط الفني منذ أول الأمر، وأنها ضمت جماعة من الشعراء لم تضع أمامهم منهجاً معيناً في صياغة الشعر ونظمه، ولذلك لم يكتب لها

البقاء طويلاً»[٢٨] ومع هذا التسامح في هذه المدرسة فإن الاتجاه الشعري والنقدي لهذه المدرسة هو «الرومانسية المذهبية» كما سماها الدكتور كمال نشات الذي دافع عن مذهب أبولو في الشعر[٢٩].

وأحسب أن من الإسهام النقدي المهم كتاب «قضايا الشعر» لنازك الملائكة حيث ركزت في هذا المؤلف على «الفهم العروضي للشعر وانطلقت من كون الشعر الجديد «ظاهرة عروضية قبل كل شيء بيْدَ أنها تناولت قضايا شعرية أخرى لا تقل أهمية في فهم الشعر المعاصر عن الظاهرة العروضية».

دعت نازك في كتابها هذا إلى أن هناك حرية ممنوحة للمبدع في قضية الوزن والموسيقى لكنها ليست حرية مطلقة لا ضابط لها، ومن هذا المنطلق هاجمت نازك «قصيدة النثر» لأنها تخلو من الوزن فإن القصيدة «إما أن تكون قصيدة وهي إذ ذاك موزونة وليست نثراً وإما أن تكون نثراً فهي ليست قصيدة، فما معنى قولهم قصيدة النثر إذن»[٣٠] أما حركة النقد المعاصر فتعجُّ برؤى كثيرة متباينة وتوجهات لمّا تتبلور بعد تصطبغ بشوجهات أصحابها الأيدلوجية من بنيوية وحداثية وتفكيكية ولسانية يربطها جميعاً نظام واحد وهو أنها نتاج غيرنا جلب لنا فلننتظر ما تتجلى عنه هذه الموجة وإن كنت أرى أنها لن تمكث في الأرض لغربتها من ناحية ولارتباط بعضها بأيدلوجيات تهاوت وسقطت من ناحية أخرى، ولسرعة تدافعها وتبدلها من ناحية ثالثة، وعندي أن المدرسة الغربية ربما تكون أقرب المدارس هذه إلى أن يكون لها بعض الأثر لاسيما أن بعض أصحابها تأثروا بالإمام الشاطبي الأصولي وخصوصاً فيما يتعلق بمقصدية النص[٣١]، فهي إذن بحمولاتها الأيدلوجية لن تستطيع أن تحقق لنا هويتنا النقدية التي بدورها ستؤسس لهويتنا الإبداعية، وإذ ذلك كذلك فكيف بنقد يحقق هويتنا الإبداعية؟!

قبل الإجابة على هذا التساؤل الخطير فلا أرى مناصاً من طرح نقاط أربع بين يدي هذا التساؤل:

الأولى: لايمكن تجاوز حقيقة أن هناك توتراً بين الناقد والمبدع منذ قدم كليهما وأن هذا التوتر مستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهذا التوتر ظاهرة سننية وهو علامة واستشعار ومحقق لمقصد من مقاصد النقد وتاريخنا النقدي عامر بهذا التوتر ويكفي أن نستشهد ببعض الوقائع مثل التحكيم الذي أنيط بالنابغة في سوق عكاظ بين حسان بن ثابت وبين الخنساء وحكم للخنساء مبدياً حيثيات الحكم ومبيناً سبب تفضيل الخنساء على حسان وهو حكم نقدي[٣٢]، ومثل التوتر المشهور بين الشاعر المتمرد الفرزدق وبين نحاة عصره، خاصة عبدالله بن إسحق الحضرمي الذي كان يكثر من انتقاداته النحوية واللغوية للفرزدق حتى برم به الفرزدق وقال له قولته المشهورة: «علينا أن نقول ويمكن أن تتأولوا» ثم هجاه بالبيت المشهور:

ولو كان عبدالله مولى هجوته
ولكن عبدالله مولى مواليا[٣٣]

ومثل ما وقع لبشار بن برد مع خلف الأحمر بمحضر أبي عمرو بن العلاء حين استنشداه قصيدته التي مطلعها:

بكّرا صاحبيَّ قبل الهجير
إنّ ذاك النجاح في التبكير

فقال خلف: لو قلت يا أبا معاذ مكان (إن ذاك النجاح): بكراً فالنجاح في التبكير كان أحسن فقال بشار: «إنما قلتها (يعني قصيدته) أعرابية وحشية فقلت: (إن ذاك النجاح في التبكير) كما يقول الأعراب البدويون، ولو قلت: (بكراً فالنجاح في التبكير) كان هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذلك الكلام ولايدخل في معنى القصيدة التي قلتها»[٣٤]

وشبيه بهذا مادار بين المتنبي وسيف الدولة في بيتين للمتنبي:

وقفت وما في الموت شك لواقف
كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمرُّ بك الأبطال كلمى هزيمة
ووجهك وضاح وثغرك باسم

فقد أنكر عليه سيف الدولة تطبيق عجزي البيتين على صدريهما، وقال له: ينبغي أن تطبق عجز الأول على الثاني وعجز الثاني على الأول، ثم قال له: وأنت في هذا مثل امرئ القيس في قوله:

كأني لم أركب جواداً لذة
ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبأ الزِّق الرويَّ ولم أقُلْ
لخيلي كري كرَّة بعد إجفال

□ كتاب «قضايا الشعر» كان إسهاماً نقدياً مهماً لنازك الملائكة ركزت فيه على الفهم العروضي للشعر.

قال: ووجه الكلام في البيتين على ماقاله أهل العلم بالشعر أن يكون عجز الأول على الثاني والثاني على الأول ليستقيم الكلام، فيكون ركوب الخيل مع الأمر للخيل بالكرّ، وسبيء الخمر مع تبطن الكاعب، فقال أبوالطيب: أدام الله عزّ مولانا، إن صحّ أنّ الذي استدرك هذا على امرئ القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ومولانا يعرف أن البزاز لايعرف الثوب معرفة الحائك، لأن البزاز يعرف جملته والحائك يعرف جملته وتفصيله لأنه أخرجه من الغزلية إلى الثوبية، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد، وقرن السماحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردى ليجانسه ولما كان وجه المنهزم لايخلو من أن يكون عبوساً وعينه من أن تكون باكية قلت: ووجهك وضاح لأجمع بين الأضداد في المعنى»[٣٥] وما جرى لأبي تمام خاصة مع نقاد عصره أكبر شاهد على قيام التوتر بين المبدع والناقد.

الثانية: أن دور النقد وتقعيداته وتنظيره لم يستطع أن يوجه الشاعر المبدع وأن يؤطر نتاجه في زمن الإبداع، وحينما التزم الشاعر بالتقعيد وقبل التأطير في عصور الإسلام المتأخرة وأصبح همه أن يرضي النقاد والبلاغيين باحتذاء تقعيداتهم والإكثار من محسناتهم ضعف الإبداع ووهنت الملكة خصوصاً وأن النقد العربي لم ينطلق من فلسفات لها تصوراتها ورؤاها المختلفة في الكون والحياة والإنسان وإن كان همُّ النقد منصبّاً على البحث عن مواطن الجمال الذي يخضع للذوق أكثر مما يخضع للقانون والقاعدة والرؤية الفلسفية، ولهذا فإن النقد العربي (في عصور الإبداع) لم يستطيع أن يحقق شيئاً ذا بال في توجيه الإبداع، وجملة ما حققه إما إصلاح عبارة مختلّة أو تعديل بيت مكسور أو تقويم إقواء[٣٦] وهنا أراني ملزماً أن أطرح سؤالاً يحمل بعضاً من ارتيابي في العلاقة بين الناقد والمبدع وأنها في الحقيقة لم تتغير كثيراً وأنه يصعب تغييرها مفاده: هل يمكن أن تحدّ المبدع بقوانيننا النقدية وأطرنا الفلسفية التي قد لا يؤمن بها أصلاً؟ الجواب عندي: تحقيق هذا مطلب عسير مالم يكن المبدع هو الناقد والناقد هو المبدع كما هو شأن كثير من مدارس الإبداع والنقد معاً إذ كان الناقد هو المبدع فالمنظرون مثلاً للرومانسية الغربية هم أدباؤها ومبدعوها والمنظرون للسريالية هم كذلك والمنظرون للوجودية هم مبدعوها ولهذا تواءم النقد والإبداع وانتظمت الرؤية الفلسفية التي يمثلها النقد وراء المذهب الفني الذي يمثله الإبداع ومن هنا يجب علينا أن نبدأ وننطلق لنؤسس للهوية الإبداعية، ولنا أيضاً في ذلك شواهد من تاريخنا العربي حين كان المبدع هو المنظّر والمنظّر هو المبدع كأبي تمام وابن المعتز وأبي العلاء المعري ونازك الملائكة وميخائيل نعيمة وأبي شادي ومحمد حسن عواد.

الثالثة: أرى أنه لابد من حسم الخلاف القديم الجديد في العلاقة بين النقد والإبداع، أيهما أسبق من صاحبه وهل النقد عمل مستقل عن الإبداع أم أنه خادم للإبداع بمعنى أن النص لابد أن يكون قد تشكل قبل نقده فتكون حينئذ وظيفة النقد أن ينطلق منه مقوماً أو حاكماً أو مصححاً أو مبدعاً، فإن سلّمنا بأن النقد خادم للنص وأنه لايمكن أن يتأتى نقد بغير نص يؤسس عليه زدنا الأمر تعقيداً وأقررنا بأن أثر النقد في تحقيق الهوية التي نريد أو المذهب الذي ننشد لن يكون أمراً ذا بال، وأحسب أن المذاهب النقدية قبل أن تضع تصوراتها الفنية كالرومانسية مثلاً أو السريالية الغربية كانت قد اتخذت من إبداعات سابقة لها وقبل قيامها نماذج لها وأمثلة كما فعلت السريالية مثلاً مع شعر بودلير ورامبو وأناشيد الدورو وكلها كانت قبل أن يتأسس هذا المذهب بسنوات، بل إن هذه النماذج كانت قد ماتت قبل قيام هذا المذهب، أو بمعنى آخر، فإن هذه المذاهب تعتمد في تأسيسها على المنهج الاستقرائي لمجموعة من النصوص السابقة التي تجعل منها في جملتها منطلقاً تؤسس عليه رؤاها النقدية والفنية، وما المنهج النقدي العربي إلا منهج استقرائي جعل من النصوص أمثلة لقواعده النقدية وشواهد عليها واعتمد تخريج ما يندُّ على هذه القواعد وتوجيه ما يشذ عنها حيناً واعتباره معيباً حيناً آخر.

أمّا إذا سلّمنا بأن النقد سابق للإبداع أي أن النظرية تسبق التطبيق فيمكن حينئذ أن نضع مجموعة من الرؤى الفلسفية والتصورات النقدية

ونطلب من المبدع أن يحتذيها، وهنا فلن نضمن أن نحلّ مسألة التوتر بين الناقد والمبدع التي أشرنا إليها آنفاً، وهذا التصور (النظرية تسبق التطبيق) قد يكون منسجماً مع الأطروحات العلمية والمباحث التطبيقية أمّا مع القرائح المتمردة ذات الإبداع المحلق فلن تجدي معه وسيقول لهؤلاء الفلاسفة المنظرين ماقاله مثلهم قبلاً الفرزدق لعبدالله بن إسحاق الحضرمي:

ولو كان عبدالله مولى هجوته

ولكن عبدالله مولى موالياً

وقد حاولت فئة من النقاد المحدثين والمعاصرين أن يوفّقوا بين الأمرين ويبتغوا ثالثاً بين السبيلين فتفتّقت مواهبهم عن أنّ «الناقد مبدع» بمعنى أنه مشارك في النص وليس خادماً له، وهذه الدعوى - وإن كانت جذابة - إلا أنها في نهاية المطاف بعد قليل من النقاش ستؤول إلى الفئة الأولى التي ترى أن النص سابق للنقد، فهم بمجرد أن أسسوا نقدهم المبدع كما يسمونه على نص قائم سابق فقد اعترفوا بسبق النص على نقدهم.

الرابعة: ساحتنا النقدية تعجّ بالنقد المستورد فهل يمكن أن نجد في هذا النقد مايساعدنا على تحقيق هويتنا الإبداعية؟ وهنا تأتي مسألة التبعية الفكرية التي نحاول أن نتخلص منها في البحث عن تحقيق هويتنا، إذ أنه من البداهة بمكان أن النقد الغربي المستورد مؤسس على قيم غير قيمنا قد تتفق معه حيناً وقد تصطدم معه حيناً آخر وهو نتاج تراكمات تاريخية وثقافية هائلة تخص ذلك المجتمع الذي انبثقت منه فلسفات هذه المذاهب ورؤاها للكون والحياة والإنسان، وأحسب أن هذا لن يساعدنا البتة في تحقيق هويتنا الإبداعية ومن نظر في واقع النقد القائم اليوم على مدارس النقد الغربية أحس بغربتها وأدرك أنها إلى الترجمة أقرب منها إلى الإنشاء، لكنّ هذا لا يجرمنا ألا نستفيد من بعض وسائلهم ومناهجهم المناسبة التي نرى فيها ما يعيننا على تلمس السُبل لتحقيق هويتنا الإبداعية وأخيراً، فاسمحوا لي أن أقول إن تحقيق الهوية الإبداعية لا يمكن أن تتم بمعزل عن تحقيق الهوية الفكرية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية فكل هذه جميعاً تدخل في سياق ثقافي واحد يأخذ بعضه برقاب بعض ولابدّ لمرافق الثقافة الهامة وخصوصاً التعليم والإعلام من الإسهام في تسهيل تحقيق هذه الهوية.

واسمحوا لي أن أقول: إن تحقيق الهوية بشموليتها وعموميتها لن يتحقق إلا بتحقيق الوسطية التي تجعل منا شهداء على الناس وأهم شروطها أن نطرح شعار: «لا انكفاء ولا ارتماء» وأن نجتهد تحت رايته.

□ هل يمكن للنقد الغربي أن يحقق هويتنا وقد قام على قيم وتراكمات تخص مجتمعاته؟

■■ الإحالات والمراجع

(١) الشعر والشعراء: ١/ ٢١،٢٠
(٢) نفس المصدر والجزء:٢٢
(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة
(٤) نفس المصدر والجزء: ٤٥
(٥) الموشح:٦٢
(٦) منهج الفن الإسلامي:٧
(٧) أخبار أبي تمام:١٧٦
(٨) انظر نزهة الألباء:١٧١ والوساطة:٥٠
(٩) مختار الأغاني:١/ ١٦
(١٠) العمدة: ١/ ١٠٤ ودلائل الإعجاز:١٩٥
(١١) مقدمة شرح الحماسة للمرزوقي:٨،٩
(١٢) خزانة الأدب:١/ ٢٦
(١٣) انظره بتحقيقنا
(١٤) إعجاز القرآن: ٢٤،٢٥
(١٥) دلائل الإعجاز: المدخل:ت
(١٦) بدائع السلك لابن الأزرق: ٢/ ٣٥٤
(١٧) شرح علل الترمذي: ٨١٦
(١٨) التصور اللغوي عند الأصوليين: ١٦٧،١٦٨
(١٩) مأخوذة مع بعض التصرف من كتاب «التصور اللغوي عند الأصوليين: ١٦٨-١٧٢
(٢٠) المستصفى:١/ ٣٣٠
(٢١) أساس القياس:٦٥
(٢٢) نفس المصدر:٧١
(٢٣) الشعر غاياته ووسائطه، الملزني:٢٤
(٢٤) حركة النقد الحديث والمعاصر:٧٧
(٢٥) الغربال:٧
(٢٦) نفس المصدر:١١٨
(٢٧) حركة النقد الحديث والمعاصر، إبراهيم حاوي:٨٦
(٢٨) الأدب العربي المعاصر في مصر، شوقي ضيف:٦١
(٢٩) أبوشادي وحركة التجديد في الشعر الحديث:٤٢٠
(٣٠) قضايا الشعر المعاصر:١٥٧
(٣١) دينامية النص، محمد مفتاح:٣٨
(٣٢) انظر مثلاً المصون: ٣ وضرائر الشعر لابن القزاز:٤٨
(٣٣) الشعر والشعراء:١/ ٣٤ وطبقات فحول الشعراء:١/ ١٨
(٣٤) المفتاح للسكاكي: ٧٥
(٣٥) شرح ديوان المتنبي للعكبري: ٣/ ٣٨٦
(٣٦) الشعر والشعراء:١/ ٩٣ وضرائر الشعر:٧٩

□□□

أدب الطفل من منظور إسلامي

السـندباد والمعـ

(١)

الأدب صناعة، شأنه شأن كثير من الصناعات التي تتعلق بالنشاط البشري ولكنه من أشرف الصناعات لأنه يصوغ وجدان الإنسان، ويشكل نظرته نحو الكون والمجتمع.

والأدب من هذا المنطلق يتكامل مع الدين ويتعاونان معاً، أي الأدب والدين، في تشكيل إنسان صالح يكون خليفة الله في أرضه، ينصر الخير عن طريق الدين، ويحقق الجمال عن طريق الأدب.

تلك هي المقدمة الأولى التي تتعلق بمفهوم الأدب، أما المقدمة الثانية فهي تتعلق بالجزء الآخر في العنوان وهو مفهوم الطفل.

□□□

يقول الفلاسفة إن الطفل هو أبو الرجل، وتلك حقيقة لاينكرها أحد فالطفل هو البذرة الأولى التي تشكل الرجل، وسنوات الطفولة هي المسئولة فيما بعد عن تصرفات العاقل وداخل كل رجل كبير طفل صغير، فلو أن هذا الطفل قد ربي تربية صالحة، تحترم إنسانيته وتراعي تكوينه الفطري، فإنه في المستقبل يرد الجميل بأحسن منه، والعكس صحيح أيضاً، فلو أن هذا الطفل عومل بطريقة تتنافى مع آدميته، وتحطم مواهبه فإنه فيما بعد ينتقم من هذا المجتمع الجائر، ويرد له الكيل كيلين.

وخلال هاتين المقدمتين نصل إلى نتيجة مؤداها: إن أدب الطفل هو علم صناعة المستقبل لأن هذا العلم في عبارة موجزة: يشكل وجدان الصغير، الذي سيصبح فيما بعد كبيراً يتولى مقاليد الأمور، وتكون تصرفاته انعكاساً إلى حد كبير لمرحلة الطفولة الأولى، التي تشبه جبلاً من الجليد على حد تعبير فرويد، يتخفى في أعماق المحيط ويتحين الفرصة بين الحين والحين، لكي يطل برأسه فوق السطح.

(٢)

وقد تعرضت صناعة المستقبل المتمثلة في أدب الطفل في عالمنا العربي إلى خطرين كبيرين، أولهما يتمثل في الكتب المدرسية الجافة، التي تحد من خيال الطفل وتلصقه بالوقائع التاريخية المقررة، أما الآخر فهو يتمثل في أجهزة الإعلام العربي، التي تتيح للخيال أن يشطح ويجمح دون رقيب ولا ضابط.

(٣)

أما الكتب المدرسية فهي التي تصدرها وزارات المعارف، بهدف تربية الصغير، وتزويده بالمعرفة، وتحصينه بالخلق القويم، وهي أهداف نبيلة في حد ذاتها، ولكنها تعرض بطريقة لا تتناسب مع مدارك الصغير ولا تنمي خياله، ولا تثير مشاعره، فهي غالباً ما تتمسك بالأحداث التاريخية التي قد يرى في الخروج عليها شيئاً يمس من جلال هذه الأحداث، وهي غالباً ما تركز على القادة العسكريين، ممن أحرزوا بطولات حربية وممن لا يحفلون بالعواطف في ميدان القتال.

وكل ما تفعله هذه الكتب أنها تعرض هذه الأحداث، بأسلوب سلس، يربي الحصيلة اللغوية عند الطالب، ويملأ ذهنه بالمعلومة التاريخية، ثم تعقب كل ذلك بأسئلة تقليدية تقيس قدرات الصغير على الاستظهار والتحصيل.

وتكون النتيجة واحداً من أمرين: إما أن الصغير قد

ـلم الصـــالح

بقلم: أ.د.
عبدالحميد ابراهيم*

يندمج في هذه الكتب ثم يخرج وهو في بعد واحد، يحيط بالمعلومة ولكنه يفتقد القدرة على التخيل والابتكار، وإما أنه يتمرد على هذه الكتب، ويبحث عن ضالته في القراءة الرخيصة، التي تزاحم عليه الأسواق.

(٤)

وعلى النقيض من ذلك تماماً تأتي الأجهزة الإعلامية التي تدع التصورات الخيالية تنشط دون رقيب ولا ضابط ويهمها بالدرجة الأولى عملية الإبهار التي تنقل الصغير من إثارة إلى إثارة ومن مفاجأة إلى مفاجأة ومن مغامرة إلى مغامرة والصغير يتابع ذلك لاهث الأنفاس مغيباً عن وعيه، قد تحول إلى شيء تسيطر عليه أجهزة الفيديو كليب، وغيرها من تلك الميكنة العجيبة.

وقد روجت هذه الأجهزة للنموذج الغربي وقللت من شأن النموذج القومي، فبدا الرجل الأبيض في الأفلام السينمائية صورة للتحضروالتمدين، يتجول في أحراش أفريقيا وصحراء الشرق ينشر رسالة السلام ويعالج المرضى أو يرحم الحيوانات، ويعتز بمعرفته وذكائه، بينما تبدو صورة الرجل الأسود في مظهر التابع المبهور بسيده، تبدو على ملامحه القسوة والغفلة والجهل والتخلف.

(٥)

وقد كانت الأجهزة الغربية أشد خطورة من غيرها فقد استطاعت مع مرور الزمن أن تشكل وجدان إنسان المنطقة، وأن تغرس في داخله عقدة الخواجة التي جعلته ينظر إلى تاريخه وموروثاته نظرة عدم الثقة، يلتمس الحلول في حضارة الرجل الأبيض، وينتظر منه الرأى والتوجيه حتى فيما يمس خصوصياته وثقافته.

والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، ولكننا سنقف

السندباد والمعلم الصالح

بشيء من التفصيل عند مثال واحد، يتناسب مع موضوع أدب الطفل، وهو صورة السندباد في الأدب العربي الحديث فهي صورة لا تنتمي إلى الموروث الثقافي ولا إلى الرؤية التاريخية، ولكنها تضرب بجذورها إلى الرؤية الأوروبية وتعكس ثقافة الحضارة الغربية.

ومن هنا سنقف أولاً بالتفصيل عند صورة السندباد وهي محملة برؤية حضارتها، ثم نتبعها ثانياً بصورة السندباد في الأدب العربي الحديث وهي محملة برؤية حضارة مختلفة

(٦)

تروي شهرزاد حكاية السندباد أمام شهريار وتبدأ روايتها بالحديث عن حمال فقير تسميه بالسندباد أيضاً، وتصفه الليالي بأنه السندباد البريّ، أو السندباد الحمّال، في مقابل السندباد البحري الذي يقوم بدور البطل الرئيسي في الحكاية.

جلس السندباد الحمّال بجانب قصر جميل وشاهد النعيم الذي يعيش فيه صاحب القصر من غلمان وبساتين وفاكهة وأطعمة وغناء وشراب وحدثته نفسه بالمقارنة بين حاله وحلم صاحب القصر، وأنشد في ذلك شعراً يقول فيه:

وأصبحت في تعب زائد
وأمري عجيب وقد زاد حملي
وغيري سعيد بلا شقوة
وما حمل الدهر يوماً كحملي
ينعم في عيشه دائماً
ببسط وعز وشرب وأكل
وكل الخلائق من نطفه
أنا مثلُ هذا، وهذا كمثلي
ولكن شتان ما بيننا
وشتان بين خمر وخل
ولست أقولُ عليك افتراء
فأنت حكيم حكمت بعدل

تنتهي هذه الأبيات: والحمال يعلن أنه لا اعتراض على حكم الله، وهو لم يقدم على هذه الأبيات إلا بعد تردد شديد، وبعد مقدمة طويلة تزيد على سبعة أسطر بينما هذه الأبيات لاتزيد على سبعة أبيات. والحمال في هذه المقدمة الطويلة يستغفر الله في هذه الوسوسة، ويقول:

سبحانك يارب يا خالق يارازق، ترزق من تشاء بغير حساب، اللهم إني أستغفرك من جميع الذنوب، وأتوب إليك من العيوب، يارب لا أعترض عليك في حكمك وقدرتك، فأنت لا تُسأل عما تفعل وأنت على كل شئ قدير، سبحانك تغني من تشاء، وتفقر من تشاء وتعز من تشاء، وتذل من تشاء، لا إله إلا أنت، ما أعظم شأنك وما أقوى سلطانك، وما أحسن تدبيرك، قد أنعمت على من تشاء من عبادك.»

وتمضي هذه المقدمة الطويلة لتخفف من نبرة التمرد في شعر الحمال ولكن الأمر لايقف عند هذا الحد، فالسندباد صاحب القصر يسمع بهذه الأبيات، ويستدعي الحمال، فيسأله عنها، ويعتذر الحمال عن هذه الأبيات ويقول:

«بالله عليك لا تؤاخذني، فإن التعب والمشقة وقلة ما في اليد، تعلم الإنسان قلة الأدب والسفه.»

ويهدئ السندباد من روعه ويقربه إليه، ويريد أن يلقنه درساً حتى لايخدع بالظاهر ويحكم على الأشياء دون أن يدرك حكمة الله. إن السندباد هنا يتحول إلى معلم، ويأخذ في قص مغامراته على الحمال ويقول:

«ياحمال اعلم أن لي قصة عجيبة، وسوف أخبرك بجميع ما صار وما جرى لي، من قبل أن أصير في هذه السعادة وأجلس في هذا المكان الذي تراني فيه، فإني ما وصلت إلى هذه السعادة وهذا المكان إلا بعد تعب شديد ومشقة عظيمة، وأهوال كثيرة وكم قاسيت في الزمن الأول من التعب والنصب، وقد سافرت سبع سفرات، وكل سفرة لها حكاية تحير الفكر وكل ذلك بالقضاء والقدر وليس من المكتوب مفر ولا مهرب.»

وهنا تفسح شهرزاد المكان وتدفع بالسندباد إلى المقدمة لكي يروي بضمير المتكلم مغامراته. إن الأمر لم يعد يحتاج إلى هذه الطقوس التي تحاور فيها شهرزاد الملك السعيد، وتجلس بينهما دنيازاد لكي تقوم بدور التسخين وإذكاء الموقف إنها تختفي ولا يبدو دورها إلا في الجملة

المحفوظة التي تعلن فقط عن بداية ليلة جديدة، وهي «**بلغني أيها الملك السعيد**» وبعدها ينطلق السندباد في حكاياته إن الجو جوٌ إثارة، والقارئ يلهث مبهوراً مع كل حكاية، وشهرزاد بذكائها القصصي لا تتدخل، ولا تفرض حواراً مع شهريار أو مع دنيازاد إنها تختفي لتترك السندباد، يثير التشويق والإبهار مع كل حكاية جديدة وتتوالى المغامرات، وعقب كل مغامرة يرحب السندباد بصديقه الحمّال، ويعشيه، ويأمر له بصرة مثقال ذهباً، فيأخذها الحمّال ويدعو له ثم ينصرف وهو ينتظر متلهفاً الحكاية التالية.

وتنعقد بينهما صداقة، ويصبح كل منهما ملازماً للآخر، السندباد يعطي ويمنح، والحمال يأخذ ويدعو، دون أن يحقد أحدهما على الآخر، أو ينتقم أحدهما من الآخر، إلى أن تنتهي آخر الحكايات، فيدور بين الصديقين الحوار الآتي:

«**فانظر يا سندباد يابري ما جرى لي، وما وقع لي، وما كان من أمري، فقال السندباد البري للسندباد البحري: بالله عليك لا تؤاخذني بما كان مني في حقك**».

تحمل حكاية السندباد ظلالاً من قصة موسى مع صاحبه الخضر، فإن موسى كان يحكم بحسب الظاهر، فأراد صاحبه أن يلقنه درساً، ينبهه إلى الحكمة الإلهية التي تتجاوز الأسباب الظاهرية ويتلقى موسى الدرس مرة وثانية وثالثة إلى أن يعيه تماماً ويقول لصاحبه «**لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا** (٧٣)» (الكهف/٧٣) ومن هنا ليس غريباً أن تتكرر جملة «بالله عليك لاتؤاخذني لما كان مني» في مقدمته حكاية السندباد وفي خاتمتها.

وليس هذا هو الشيء الوحيد الذي تحمله حكاية السندباد من الرؤية الإسلامية، فهي إلى جانب ذلك، أو بسبب ذلك، تنتهي نهاية دينية، تهون من شأن الدنيا، وتحذر من الاعتراض على قضاء الله وقدره، وتذكر بالموت الذي تصفه في جمل كثيرة، تنتهي بها الحكاية فتقول:

«**ولم يزالوا في عشرة ومودة، مع بسط زايد وفرح وانشراح، إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب القصور، ومعمر القبور، وهو كأس الممات، فسبحان الله الحي الذي لايموت**».

إن الجمل التي تتحدث عن السعادة في هذه النهاية، أقل بكثير من الجمل التي تتحدث عن الموت، وكل هذا في إيماءة قوية للتهوين من شأن الدنيا.

وليس المراد هو مجرد التهوين من شأن الدنيا، أو التذكير بالموت فحسب أو غير ذلك من تعبيرات يبدو على ظاهرها الجانب الوعظي، ولكن المراد بالدرجة الأولى هو لفت النظر إلى حل المشكلات بطريقة هينة يسيرة، لاتصل إلى حد العنف وإراقة الدماء، فما دامت الدنيا هينة، وكل انسان مصيره إلى الموت، وسبحان الله الحي الذي لايموت، مادام كل ذلك وارداً ويمثل الحقيقة، فإن كل شيء قابل للحل، يكفي أن الموت وحده هو حلال العقد.

نحن إذن في لب مشكلة الفروق بين الغني والفقير، وهي مشكلة في ظل الرؤية الإسلامية طبيعية ومن سنة الحياة ومن هنا لا تضخمها ولا تطلق عليها عبارات عنيفة، من مثل التناقض الطبقي، إنها تسميها فقط اختلاف الدرجة بين الناس، وهي تجعل هذا الاختلاف من سنة الحياة فكل انسان مسخر لخدمة الآخر، وكل إنسان له مواهبه، كل إنسان محتاج للآخر، فليس هناك داع للتضخيم من هذه المشكلة، واعتبار أن الإنسان يقاس فقط بما عنده من مال، إن هذا حكم بالظاهر فكم من صاحب قصر لا يعيش سعيداً، وكم من مال وراءه تعب ومشقة زائدة، إن التضخيم من هذه المشكلة وترديد عبارات من مثل الصراع الطبقي إنما يعكس رؤية تضخم من أمر الدنيا وتجعلها هي همّ الإنسان فلا حياة بعدها، ولاسعادة إلا فيها وغير ذلك من الفلسفات المادية التي تقف عند حدود الظاهر إلى «العبد الصالح» الذي يلقنها درساً لاتنساه.

وقد عكست حكاية السندباد هذا الحل الإسلامي، فالحمال يتلقى درساً ينصرف بعده عن تلك الوسوسة، ويعتذر مراراً لصاحبه ومعلمه وتنعقد بينهما صداقة تذوب خلالها مشكلة الغني والفقير ويعيشان معاً

السندباد والمعلم الصالح

كصديقين وليس كغني وفقير، بل كإنسان يتعامل مع إنسان ويتفي الحقد فلا إسالة دماء، ولا ديكتاتورية طبقة.

(٧)

كانت هذه قراءتنا الخاصة لمغامرات السندباد، والتي تنطلق من رؤية الحضارة العربية الإسلامية، وفي ظني أن مثل هذه النوعية من القراءة في غاية الأهمية لأنها تتلاقى الخطرين الكبيرين، اللذين أشرت اليهما أول هذا المقال، والمتمثلين في الكتب المدرسية الجافة من ناحية، وفي الإعلام الغربي من الناحية الأخرى.

إن مغامرات السندباد لاتقوم على النبرة الوعظية الجافة، ولكنها تقوم على خيال مبتكر يحلق في كل اتجاه، ويرضي الصغار والكبار معاً وهي في الوقت نفسه لاتقف عند حد الاثارة و«الفانتازيا» الخيالية دون رقيب ولا ضابط لأنها تقدم أحداثها ملونة برؤية حضارية، يخرج منهما القارئ، صغيراً أو كبيراً وقلبه ممتلئ باليقين والرضا.

(٨)

ولكن صورة السندباد في الأدب العربي الحديث، بعيدة عن هذه الرؤية الأصيلة، وقريبة في معظم الأحيان في الرؤية الغربية التي تنعكس خلال التصورات الآتية.

١ـ قد تتحول مغامرات السندباد إلى مجرد مغامرات خيالية «فانتازية»، تقوم على الإبهار، واستخدام الحيل الميكانيكية، والخدع الأمريكية التي تعتمد على أجهزة الفيديو كليب ويكون همها الإثارة والإبهار، دون أن تصدر عن رؤية حضارية أو هدف تربوي.

٢ـ قد يتحول السندباد إلى إنسان متمرد، لايصطلح مع التراث ولا يدرك القوة العليا، ويكون في مثل هذه الحالة أشبه بروميثوس، سارق النار في الأساطير الإغريقية، الذي يتحدى الآلهة ويسرق منها المعرفة وهي أسطورة تقوم في أصولها على افتراض روح عدائية بين الله والإنسان تدفع الأخير إلى التمرد والعصيان، إنها امتداد لصورة الشيطان الذي يدفعه الكبرياء إلى الخروج على الإله وعصيان أوامره والشيطان ينتسب إلى خلق آخر غير خلق الإنسان، فهو مخلوق من مارج من نار يحرق كل ما حوله أما الإنسان فهو مخلوق من طين، ينبت الزرع ويسقي الضرع، ولا يفترض سوء نية أو عداوة مع الله، فهو يعمل في ظل إله رحيم، يحث على المعرفة، ولايعادي الإنسان، ولايلجئه إلى التمرد وسرقة النار.

٣ـ وقد يظهر السندباد في صورة معارضة لصورة السندباد التقليدي، فهو لايغامر ولا يسعى للاكتشاف، بل يبدو إنساناً محبطاً. لايعيش لشيء ويتحرك في قاع المجتمع، ويلتقي بالمثبطات في كل مكان، ويحمل في داخله بذرة سقوطه وينتهي به الأمر إلى الإحساس العبثي، فيستسلم وينفض يده من الأمر كله.

وغير ذلك من صور تحور من تراثنا، وتشوه رؤيتنا الحضارية وتجعلنا نتنبه ألف مرة ومرة لما يرد إلينا من الخارج، ويشكل وجدان أطفالنا وتستفزنا إلى أن نستثير تراثنا، ونتعامل معه دون وسيط، ونستخرج منه الرؤية التي تتناسب مع حضارتنا، ومع موقفنا من القوة الكونية التي تعمل في ظلالها، وتتصالح معها، وتدفعنا إلى الثقة واليقين.

---

* رئيس حركة التأصيل الأدبي والفكري بالقاهرة

يانفحة الطهر

في رثاء سماحة الشيخ
عبدالعزيز بن عبدالله بن باز - رحمه الله

إليك من أي صوب تهتدي السبل؟
يبكيك من يحمل الأسفار جاء بها

ماذا نقول؟ وصوت الشعر ينخزلُ
إليك يرقص في أحداقه الأملُ

آن انطلاق الأسى المكبوت من مهج
جاؤا إليك يغذون المسير وفي

حرّى تنوء بحمل ليس يُحتملُ
قلوبهم مثل ما من نبعك انتهلوا

هذا ابن باز يدوّي بين أضلعه
إليك يا من نذرت النفس تبذلها

الأي والذكر والتسبيح والوجلُ
لله لم تنتقص من جهدك العللُ

يازينة الأرض ما ذابت ولا ذبلت
تغار لله كم أخمدت من فتن

يانفحة الطهر مما أعقب الرسلُ
أهل الضلال على وقفاتك انخذلُوا

مصابنا بك يا مصباحنا جلل
يبكيك مجلسك المحفوف ما نُطقت

وجرحنا بك لاتلفيه يندَملُ
عوراء تنبس إلا صدها الخجلُ

يوم الخميس ولون الشمس مكتئب
أشْرَبت حبَّك كل الخلْق من خُلُق

على فراقك يبكي السهلُ والجبلُ
سمح ومن سيرة قد خطها الأولُ

نبكيك يا أيها الشيخ الجليل وما
لم تلتفت نحو دنيا الناس منشغلاً

نلام إن أحرقت أجفاننا المقلُ
واللاهثون على دنياهم شغلوا

إن لم نشيّعك بالدمع الغزير فمن؟
يامن وصلت إلى العلياء في شرف

عليه بعدك دمع العين ينهملُ
واللاهثون وراء الوهم لم يصلوا

نبكيك في لحظة التوديع يارجلاً
يكفيك أنك حزت الفضل ما اجتمعت

كل المواقف تحكي أنك الرجلُ
مثل اجتماع على تفضيلك الدول

تبكي المساجد كم أحييت من حلق
تبكي عليك جموع الناس قد ذرفت

للعلم أثمر فيها العلم والعملُ
دموعها وإلى الرحمن تبتهل

شعر:
د. عبدالله بن صالح المسعود

قصة قصيرة

امرأة عاملة

نظرت إلى صورتها في المرآة بعد أن ارتدت ملابسها وأتمت زينتها الصباحية التي تتقنها بفن رفيع يشهد به كل الزملاء، وانساح في قلبها شعور بالرضاء كسا ملامحها تألقاً جديداً، وتمتمت تحدث نفسها: «حسناً.. اليوم ها أنذا أخرج مبكرة كما ينبغي.. لسوف أصل إلى العمل وأكون على مكتبي قبل بقية الزملاء، ولن يجد رئيسي اليوم مبرراً لمؤاخذتي!.. ماذا أفعل له!.. وأنا أعرف جيداً أنه ليس التأخير هو الذي يدفعه إلى مؤاخذتي!».

في طريقها إلى باب شقتها مرت على حجرة طفلها حيث ينام مع فوزية التي تعنى بشئونه وبشئون البيت كله في غيبتها، وأيضاً في حضورها القليل!

كان تامر الذي لم يتم العامين بعد يتثاءب في فراشه، يفتح عيناً وتغمض بقايا النعاس العين الأخرى.. اعتملت في صدرها رغبة قوية لأن تحمله، لأن تضمه إلى صدرها وتقبله قبل أن تذهب، ولكن ما أن همت بذلك حتى انطلق يصرخ صراخاً حاداً مزعجاً أتى بفوزية إليه تجري من مكانها البعيد في المطبخ، فألقى الطفل بنفسه إلى ذراعيها المفتوحتين، وغمر وجهه في صدرها ثم مالبث أن كف عن البكاء!.. تمتمت رضوى في صوت هامس: «ياغبي»!.. أمك؟!

.. وقفت هنيهة صغيرة لاتدري ماذا تفعل، ثم تحركت قدماها خارجة من الحجرة إلى الشارع الفسيح المفعم بالضوضاء.

في زحمة الطريق نسيت الأمر.. أو على الأصح استطاعت أن تتناساه، ولكن في قلبها غامت سحابة من كآبة أطفأت ملامح حيويتها وغشت وجهها بسحة قلق، رغم حرصها على الاحتفاظ بتألقها في مواجهة النظرات، فهي تحس أن تألقها واعتدادها بنفسها مع بسمتها المشرقة، هي من أسرار نجاحها في عملها، فالجميع هناك معجبون بها سواء منهم من أحبها أو من ملأت قلبه الغيرة من نجاحها، وهم على كل حال يحبون بسمتها الدائمة في وجوههم وكلماتها اللطيفة المجاملة!.. وهل من سبب لنفرتهم من زميلتها «أماني» غير جدها الدائم وصرامتها وكلماتها القليلة الرادعة، وعدم ميلها إلى الاشتراك في جو الهذر الذي يحبون أن يقضوا فيه جزءاً من الوقت للترويح من عناء العمل الممل!

حين وصلت إلى مكتبها لم يكن في الحجرة إلا واحد فقط من زملائها، قالت:

- هذا خير، اليوم لن يجد الأستاذ محمود ما يؤاخذني من أجله!.. فها قد حضرت قبله وقبل أغلب الزملاء!.. ثم أتبعت كلماتها بضحكة لطيفة سالبتْ أن تبددت في سحابة الكآبة التي أحستها تنتشر وتغطي مساحات الصفو!..

«توشك فوزية أن تصبح هي ربة البيت!.. بل توشك أن تكون هي الزوجة وهي الأم»!.. همهمت بالكلمات في داخلها بغير صوت، ثم غرقت في صمت عاقها عن متابعة حديث زميلها!

بقلم: حميده قطب

فوزية شابة لم تكمل الثلاثين، توفي زوجها في حادث منذ اربع سنوات وترك لها طفلتين، فاضطرت أن تعمل لتعولهما وتعول أمها التي أودعت عندها أطفالها، سمحة بشوشة الوجه، تنير ملامحها مسحة من جاذبية تحبب فيها الناس، تعمل بصدق وإخلاص ولاتمل العمل ولا تشكو، حملت عنها كل أعباء البيت، حتى أشياؤها الخاصة وأشياء رب البيت يجدانها مرتبة في أماكنها من حجرة نومهما!

حين أرسلها إليها مكتب التخديم الذي تتعامل معه منذ قرابة سنتين؛ وكانت على وشك أن تضع طفلها الثاني هذا، استبشرت بها خيراً، وقد كانت في حاجة ماسة لمن يرعى طفلها بعد أن تنتهي إجازات الوضع وتعود إلى عملها، وكانت مأساتها في طفلها الأول الذي ذهب ضحية نزلة شعبية حادة لم تجد رعاية طبية سليمة بسبب إهمال من الخادمة التي كانت عندها في ذلك الوقت، ماتزال تؤرقها وتدمي قلبها!.. لقد دفعها ذلك لأن تعامل فوزية كانما هي شريكة في البيت، أحد أفراده الأساسيين، لا عاملة تؤدي عملاً محدداً وتأخذ مقابله اجراً، حتى تعطي من قلبها ومن إخلاصها ما يكفل سلامة الطفل الذي يهمها أمره قبل كل شيء آخر في المنزل!.. وقد نجحت ووصلت إلى هدفها كاملاً، فلقد تقبلت الشابة هذه المعاملة الطيبة بالمثل لأهل البيت وبادلتها بإخلاص ومودة وإتقان في العمل.. وهل تتطلب ربة بيت أكثر من هذا فيمن تعمل عندها!.. إن صديقاتها كلهن يحسدنها عليها، كل هذا صحيح، ولكنها اليوم قلقة من وضع فوزية هذا في بيتها!.. اليوم تهتز في نفسها أوضاع كثيرة ومفاهيم كانت في فكرها ثابتة!.. لقد تبهها سلوك طفلها في الصباح إلى أوضاع مخيفة لم تعمل لها حساباً ولم تتنبه إليها من قبل!.. صحيح أن فوزية تريحها إلى أقصى حد ممكن، ولكن على حساب ماذا؟!.. على حساب مكانتها هي في بيتها!.. فهي تستطيع الآن أن تتيقظ إلى التغير الكبير في سلوك زوجها، لقد كاد هو أيضاً أن يستغني عن خدماتها!.. طلباته الكثيرة الصغيرة، وهي تعرف منذ بدء حياتها معه أنه كثير الطلبات، وأن طلباته دائماً نابعة من مشاعره، من حبه وتعلقه وعمق ارتباطه بها، الآن تستطيع أن تلحظ أن كل هذه الطلبات لم يعد يتوجه بها إليها!.. بل غدت موجهة إلى فوزية!

حتى إفطاره في الصباح، وحتى حاجات هندامه واستعداده للخروج إلى عمله أصبحت موكولة إلى فوزية!.. هي مضطرة إلى الخروج قبل صحوه من نومه خمسة أيام في الأسبوع!.. فعلى فوزية إذن أن تحل محلها!.. أن تقوم هي له بهذه الأعمال الحميمة، وأن تحضر هي له كل تلك الاحتياجات!..

لقد ترددت كثيراً في أول الطريق أن تكل إليها ذلك، ولكن ماذا كان في يدها لتحل هذا الإشكال!.. فمنذ ترقيتها الأخيرة إلى عملها الجديد أصبح عليها أن تذهب مبكرة عن ذي قبل، واختلفت بذلك مواعيدها عن ميعاد زوجها!.. هناك بعض المكاسب دون شك!.. لقد كسبت الترقية، وكسبت زيادة طيبة في مرتبها، وكسبت مكانة ناجحة في عملها.. ولكن.. كم خسرت في الكفة المقابلة؟!.. وهل روابط العيش الواحد تتحقق وتقوى إلا من خلال هذه الاحتياجات المتبادلة بين الشريكين؟

نعم، لقد كانت في غمرة أفكارها التحررية وهي فتاة صغيرة في الجامعة، وفي حرارة صراعاتها من أجل حقوق المرأة ونقاشاتها الحادة مع زملائها وزميلاتها، خاصة أولئك الذين ينتمون منهم إلى الفئات الرجعية، كانت تأنف من تلك الخدمات وتعتبرها مهينة تحط من قدر المرأة وتجعلها في مكان الخادمة!.. وكانت تقول كما يقول أكثر المثقفات إن دور المرأة لا يجوز أن يكون هو عمل البيت وخدمة الرجل، فالمساواة بينها وبينه تقضي بأن تشاركه في جميع الأعمال ويشاركها هو في أعمال البيت.. سواء بسواء!

حقاً لقد كانت تأنف من أن يكون لها مثل هذا الدور في يوم من الأيام!.. ولكنها عندما مارست الحياة واقعاً مع هذا الزوج لم تجد الأمر مطابقاً لما كانت تراه من قبل!.. على العكس من ذلك لقد أحست بسعادة وطمأنينة وهي تقوم بهذه الخدمات اليومية الصغيرة لزوجها.. أحست أنها «مالكة».. مالكة تدير شئون مملكتها الصغيرة هذه؛ ولم تشعر أبداً أنها خادمة مسخرة لخدمة الرجل!.. أكثر من ذلك أنها أدركت حقيقة دور هذه الأعمال الصغيرة في توثيق رباط العيش بين الزوجين، وفي تعميق أواصر الحب والمودة بينهما وعرفت على الطبيعة أن الزوج يؤدي هو أيضاً من الخدمات في هذه الحياة المشتركة ما يوازن الميزان، وما يجعل المساواة واقعاً معيشاً في كل لحظة، لا مجرد شعارات مرفوعة تبدو في ظل هذا الواقع ضرباً من السفسطة!

ولكن فاهي، بكل أسف، قد تخلت عن مملكتها بمحض إرادتها لتدعم نجاحها في هذا العمل الذي تغرق فيه كل يوم من الصباح إلى آخر اليوم، ولتشد الطريق أمام مكائد الثعالب والذئاب التي تحفر لها وتحاول أن توقع بها! وها هي ذي ناجحة إلى حد كبير رغم كل الصعاب، ولكن مابال كل الموازين تؤج في يدها رغم ذلك النجاح!

النجاح!.. النجاح هنا.. نعم.. ولكن هناك؟!.. هناك قد غدت

فوزية هي ربة البيت الحقيقية!.. وهي أم الطفل الوحيد الذي تطلعت إلى وجوده في حياتها!.. وهي أيضاً محط مطالب الزوج!.. فأين هي من حياة هذه الأسرة؟!.. أين هي من بيتها؟.. من حياتها الحميمة؟!.. لقد غدا بيتها قصراً.. ولكن من ثلج!.. الموارد المالية الطيبة جعلت منه بيتاً أنيقاً مرتباً منعماً حافلاً بالآلات.. ولكن أين حرارة الحب؟!.. أين عبق الحياة الأسرية التي يغمرها السكن والمودة الذي تكاد تلمسه وهي عند صديقتها هدى؟!.. ثم أين ذلك الصباح الحي الذي عاشته في الأيام الأولى من زواجها، حيث لايطيق الزوج أن يخرج من البيت قبل أن يراها!.. بيتها مودته وامتنانه، يشكر لها بالكلمة المحبة، أو حتى بدون أية كلمات، كل خدمة صغيرة أو كبيرة قامت بها من أجله.. تحس في نظراته عمق حاجته إلى وجودها بجواره، وعمق ارتباطه بها الذي لايستبدله بشيء، وجوعة قلبه التي لاتسدها كل مشاغل الأرض ولا كل مباهج النجاح!.. أين ذلك كله وقد أوكلت صباحه إلى فوزية، وغدت تخرج هاربة على أطراف أصابعها حتى لايصحو قبل أن تغادر فيؤخرها عن الموعد الرسمي للوصول؛ خاصة بعد أن تعقبها رئيسها، ذلك النذل وهي تعلم جيداً أغراضه!

وحتى هذا الوغد الصغير!.. لقد استبدل صدراً بصدر وقلباً بقلب، ولا يدري أن قلباً في الدنيا كلها لايستطيع أن يعطيه ما يعطيه هذا القلب، ولا أن يسعه صدر بما يسعه هذا الصدر!.. لكن من أين له أن يدرك هذا وقد حرمته هذا الصدر إلا بين الحين والحين، وحرمته لبنه الذي وهبه الله له حتى تستطيع أن تقوم بتبعات العمل!.. وكذلك أصبح الصدر الحنون عنده هو هذا الذي يجده مفتوحاً له نهاره وليله لايغيب! ترى أين تلك الكلمات الكبار وقد كانت تؤمن بها إيمانها بالحياة.. تلك الشعارات التي أعطتها حماستها ونقاشاتها وصراعاتها.. أين هي من واقع العيش.. أين هي من نبض القلب وحاجة النفس؟!

من رحمة الله بها أن زوجها رجل مستقيم لا يدفعه هوى أو غضب إلى السقوط في الخطأ!.. ومن حسن حظها أن فوزية، رغم بشاشتها وعدم تحفظها وجاذبية ملامحها، ليست فاسدة الخلق.. فكم سمعت وتسمع عن مآسي في البيوت بسبب الخدم!.. لكن هل تستطيع أن تظل آمنة!.. أن تغض النظر دوما عن هذا الفراغ الكبير الذي يتركه غيابها مع وجود امرأة أخرى تقضي لزوجها بمهارة كل احتياجات العيش.. احتياجات صغيرة.. نعم.. لكنها مهمة رغم صغرها!

كان الجمع قد اكتمل ماعدا واحداً.. فقد تغيبت مدام أماني طالبة إجازة عارضة.. الأصوات تطن في أذنيها دون أن يحل رأسها المستغرق في أفكاره شفرتها!

ولكنها تنبهت على صوت أحد زملائها يقول:

- مدام رضوى ليست في «الفورمة» اليوم.. خيراً؟!

- ابني مريض!

قال رئيس المجموعة بلهجة يشوبها الحنق:

- قلنا القعدوا في بيوتكم وارعوا أطفالكم، قلتم: المساواة.. حقوق المرأة.. حرية العمل.. اتعبتم أنفسكم وأتعبتمونا معكم!

- رفقاً بالقوارير يا أستاذ محمود

- أماني.. إجازة عارضة بسبب مرض ابنها!.. رضوى.. ليست في «الفورمة» لأن طفلها مريض!.. كيف يسير العمل؟!

- هل قصرت في شيء من عملي؟!.. جئت قبل الجميع، ماعدا الأستاذ حسن.. ومن ساعتها وأنا أشتغل بدون كلمة.. وأنتم تشربون قهوتكم وتناقشون الأخبار!

- الحق، مدام رضوى لاتقصر أبداً حين يكون مزاجها مضبوطاً!

- لكن حين يكون مزاجها معتلاً؟!.. تقلب مزاج الكل!

- لكن هي عوّدتنا أنها دائماً مرحة.. وجهها المبتسم دائماً يفتح نفسنا للشغل.. حتى لو لم تشتغل هي، الشغل يستفيد!

قال الأستاذ محمود ساخراً:

- من أجل ذلك تطالبون بعمل المرأة؟!.. لمصلحة العمل!.. هه؟!

- نعم ياسيدي.. وجودها نفسه نعمة!

- نعمة أو نقمة.. لقد كتبت علينا!

الكلمات.. معها أو ضدها، منصفة أو ظالمة أو ساخرة، تقع في نفسها موقعاً لاذعاً!.. لماذا هي هنا الآن.. وسط هؤلاء الرجال الغرباء!.. وحياة قلبها هناك، تفلت من بين يديها!

تحاول.. بكل جهدها تحاول أن تركز في الأوراق أمامها.. أن تنسى مؤقتاً أمر البيت.. أمر تامر وأبيه.. تحاول أن تبعد عن عينيها صوراً تهز قلبها.. لكن الصور تنفذ إلى عينيها.. تخترق الكلمات المكتوبة.. تختلط بمعانيها وتتداخل بين سطورها.. كلمات من كلمات صديقتها هدى تداهمها.. وجمل من جملها القوية التي طالما دافعت بها في نقاشهما الطويل تلح على أعصابها! تطغى على كل الأفكار التي تحملها الأوراق أمامها!.. ترى أيهما المخطيء وأيهما المصيب؟!.. قالت لها يوماً حين شكت لها من فتور عاطفة زوجها، أن ذلك لايأتي إلا بسبب خلل في نمط الحياة!.. نفت أن مرور الزمن من شأنه أن يوهن العاطفة بين الشريكين، بل أكدت لها أنه يوثق عوامل المحبة والمودة بينهما فلا يعود الترابط قابلاً للهزات التي تحدث عادة في الفترة الأولى من الزواج، وكل من الزوجين

يتعرف على صاحبه وتتكشف له شخصيته دون هالات البعد!

فأين هي من ذلك وهي ترى كم غدت الحياة بينها وبين زوجها روتينية باردة، وقد اختفت منها تلك الكلمات الحلوة التي كانت تنعش حياتها في عامها الأول معه!.. أين قبلة الامتنان قبيل مغادرة الدار أكثر الأوقات!.. أين الملامح المشوقة التي لاتريد مغادرة البيت قبيل الخروج.. لقد ذهب ذلك كله وحلت مكانه رتابة أداء واجب العيش!

من أجل أي شيء ضيعت ذلك الهناء القلبي؟!.. من أجل أفكار لم يتحقق منها شيء حتى اليوم!.. الذي تحقق هو العكس، فالذي يحدث في أكثر الأحيان أنها هي التي تحاول أن تلاين وتسترضي حتى حين يكون هو المخطيء، حتى تعوض ذلك الفراغ الذي يملأ الحياة بغيابها! فماذا بقي من تلك الشعارات!.. وهل فقدت متاعات قلبها فقط من أجل هذا الدخل الذي ظنت أنه يغنيها عنه؟!.. وهل حقيقة هي تستطيع أن تستغني عنه بكل مال الدنيا؟! ثم.. ما الذي يتبقى لها من ذلك المال الخاص في نهاية كل شهر؟!.. ربعه تأخذه فوزية، وربعه الثاني تنفقه في المواصلات والملابس التي يستدعي العمل تكديسها؛ وتساهم بالنصف الباقي في ضروريات العيش!

.. لكم نصحها زوجها منذ بدء حياتهما معاً أن تترك هذا العمل وتتفرغ لهذه الحياة!.. ولكم أكد لها أنه يستطيع أن ينفق على بيته دون مشاركة منها!.. ولكم أبدى لها رغبته في ذلك؛ ولكنها بكل اعتداد أبت!.. كانت أفكارها مستغرقة في عنجهية المساواة!

واليوم؟.. اليوم لاتستطيع التراجع وقد رتبت حياتها على ذلك، ورتب هو عمله ودخله وميزانيته على أساس هذه المشاركة!.. لقد فقدت راحة كانت طوع يدها دون مقابل حقيقي!.. هل كانت هدى على حق فيما قالت؟!

هدى صديقتها الحميمة وزميلة دراستها، هي الأقرب إلى قلبها من كل الصديقات رغم أنهما على طرفي نقيض في مفاهيمهما، ورغم أن أفكارهما تتناطح دوماً!.. تلجأ إليها كلما حزبها أمر فتجد عندها من المودة والإخلاص ما لاتجده عند غيرها ممن تتوافق أفكارها معهم!.. وقد يحتدم بينهما النقاش حول الأمر المعروض، ولكنها تخرج من عندها دائماً مرتاحة القلب، توقن أنها تبثها نصيحة خالصة لاتبغي منها غير الخير لها.. وفي أكثر الأحيان تأتي الأيام بمصداق ما قالته لها، نصحاً أو تحذيراً! لاتنسى ماقالته لها مرة حين اعترضت هي على تركها للعمل واستقالتها بعد زواجها بفترة قصيرة بعد أن رزقها الله بطفلها الأول!.. كانت تحاول أن تقنعها بالبقاء في العمل، لتنفق على البيت كما ينفق زوجها فتكون رأسها برأسه وتكون كلمتها نافذة مثل كلمته!.. قالت لها وقتها أنها لم تدخل بهذا الزواج ساحة معركة، وإنما دخلت عشاً يضم إلفين ليتكاملا، لا ليتنافسا ويتحاربا، قالت لها إن الإنفاق هو واجبه، وهو دوره الرئيسي! وعليها هي واجبات أخرى لاتقل قيمة عن الإنفاق، إذا أدتها على الوجه الأكمل، فرأسها مع رأسه وكلمتها مع كلمته تسيِّر دفة السفينة!.. قالت لها: إنها خلقت حرة مثله تماماً، وأنها ليست رقيقاً يشتري حريته بالمال!.. قالت: إن واجبها هو صناعة الإنسان، وهي أثمن من كل الصناعات، فعلى كفاءتها في هذه الصناعة تتوقف صورة المجتمع الإنساني بكامله!.. قالت إن مهمتها في حقيقتها أكبر المهمات، فهي التي تربي إنسان كل المهمات!.. آه.. لو استمعت إلى نصائحها!.. ولو استمعت إلى نصائح زوجها لكانت الآن هانئة في بيتها مثل هدى؛ ولكانت معفاة من مشاكسات هذا الرجل الخبيث، وهي تعرف لماذا يدس لها عند الرؤساء، فلقد دعاها الوغد يوماً إلى العشاء معه بحجة التحدث في شئون مهمة خاصة بالعمل فاعتذرت.. اعتذرت بكل لطف، ولكنه لم ينس ذلك لها! ومنذ ذلك التاريخ وهو يحاول الإيقاع بها!

تذكرت كم تردد أهلها حين تقدم إليها زوجها قبل قبوله، كم بحثوا وكم سألوا وكم درسوا كل شيء يخصه، حتى لاتقع حياتها في منغصات مع شخص رديء الطبع أو سيء الخلق، ثم ها هو ذا واجب العمل يحتم عليها أن تعايش كل من هب ودب، وأن تقع تحت رئاسة أي رديء طبع وساقط خلق!.. أليس هذا من الجنون!

من كلمات هدى التي لاتنساها ما قالته حين حكت لها عن مشاكسات رئيسها تلك، قالت: «إذا كان حتماً في نظام دنيانا أن يكون لكل عمل شخص مسئول، فليكن هذا الشخص في حياتها هو الذي اختارته على عينها وانتقته من بين الناس، أن يكون هو من يحمل له قلبها محبة ومودة وتربطها به أواصر قربى لا تنفك، ويتوجه قلبه لها بحب واحترام ورباط لاينفصم إلا أن يكون ذلك الغريب الذي لايربطها به رباط!

تحس أن كل الزملاء يختلسون إليها النظر، يستغربون استغراقها في الصمت وتحديق عينيها في الأوراق التي تنظر إليها ولاتعي ماقيها!.. إلى متى تهاجمها هذه الأفكار وتمنعها من قراءة هذه الأوراق التي لابد أن تنهي عملها فيها اليوم!.. لقد نسيت حتى أن تقلب الصفحات لتبدو للعيون المتلصصة وكأنها تقرأ!.. إن عليها أن تطرد كل الأفكار الآن؛ تؤجلها حتى تنتهي هذا العمل على الأقل، ففي نهاية اليوم عليها أن تسلم هذه الأوراق ومعها ملاحظاتها!.. لابد أن تجمع

أعصابها حتى تفقه ما تقرأ.. بل عليها أن تستوعب جيداً ماتقرأ حتى تصوغ تقريرها على أحسن وجه!

فلو لم تتم هذا اليوم فسوف يكون ذلك حجة لرئيسها في تشويه سمعتها عند رئيس القسم!.. لابد إذن أن تغلق الطريق على كل الأفكار الأخرى!.. حين تعود اليوم تذهب إلى هدى وتناقش معها الأمر: المشكلة والمخرج!

اعتدلت في جلستها.. حاولت أن ترسم على وجهها ملامح هدوء باسم، غرزت عينيها في الأوراق وركزت كل انتباهها.. حين تستغرق في القراءة فسوف تشدها جاذبية الموضوع من ذلك النوع الذي تخبط فيه أفكارها.. إذن لتبدأ..

صفحة.. اثنتان.. ها هي الثالثة والرابعة.. تنجح في افتلاع قلبها من وهدة الدوامة.. الموضوع شائق حقاً.. تستمر.. ها هي الصفحة العاشرة.. تقترب رويداً رويداً من لب الموضوع.. تبدأ في تكوين رأيٍ حوله.. سوف تكون ملاحظاتها ذات وزن.. هي ذات قدرة ممتازة في عملها لايدانيها فيها أحد من زملائها.. ولا رئيسها هذا.. لكن وا أسفاه!.. لو لم يكن هذا التمزق الذي لاتجد منه مخرجاً!.. أوه !.. فهل ستعود إلى تلك الدوامة؟!.. كلا، لم يعد الوقت يسمح!.. لابد أن تشتغل بكل لحظات الوقت وبكل تركيز الذهن..

فجأة يفتح الباب المؤدي إلى الحجرة الواسعة بعد دقات خفيفة لاتثير انتباهها، يدخل شاب في مقتبل العمر يبحث بعينيه في الوجوه خلف المكاتب.. يذهب ناحية الأستاذ محمود ويهمس إليه بسؤال، ثم يتجه ناحيتها.. تقع عيناه عليها فيقصدها.. يسر في أذنها بكلمات قليلة.. يتبادلان بضع كلمات همساً ثم ينسل خارجاً!

وجوه الرجال خلف مكاتبهم تتجه إليها متسائلة، إلا وجه الأستاذ محمود الذي يغرز عينيه في الأوراق التي أمامه!

في بضع ثوان تلم رضوى أوراقها فوق مكتبها.. تسوي هندامها وتخرج من الحجرة تتبعها النظرات الصامتة!.. في الممر الطويل الذي يفصل بين الحجرتين تخرج مرآتها الصغيرة من حقيبتها وتسوي زينة وجهها ثم تهيىء ملامحها لمقابلة رئيس القسم، كذلك تحكم وضع ملابسها البالغة الأناقة.. ترى لماذا يستدعيها رئيس القسم: ترى هناك دسيسة من ذلك الرجل المزعج الخبيث؟.. الله يستر!

أمام الرجل الوقور البالغ التهذيب خلف المكتب الأنيق وقفت في أدب جم وانتباه بعد أن أحنت رأسها بتحية لطيفة مبتسمة.. سمعت صوته يبدأ حديثه معها هادئاً:

ـ السيدة رضوى عبدالعزيز؟

ـ نعم .. أنا

حدجها بنظرة من وراء نظارته شملتها لثوان معدودة ثم قال في لهجة حازمة:

ـ تبلغني عنك ياسيدة رضوى أمور كنت أتمنى ألا تبلغني عنك!

ـ خيراً «يافندم».. أنا أؤدي عملي هنا بكل إخلاص وجدية.

ـ يقال إنك تأتين دائماً متأخرة.. كذلك أنك كثيراً ما تثيرين موضوعات شائكة.. وتناقشين كثيراً.. وتشغلين بقية الموظفين عن عملهم!

ـ أنا؟!.. من هؤلاء الذين يقولون ذلك؟!.. أنا أتحداهم يا أفندم.. سيادتك تستطيع أن..

قاطعها قائلاً:

ـ لادا عي للانفعال.. أنا أجبت فقط أن أنبهك لما يقال عنك.. ولن أفعل شيئاً أكثر من ذلك الآن.. لكن.. لكن إذا استمرت هذه الشكوى فلا بد أن يكون لي موقف آخر!

ـ يابيه إعمل تحقيق!.. اسأل كل الموظفين الذين معي، بل اسأل كل موظفي القسم.. أنا معروف عني مدى جديتي واستقامتي في عملي..!

ـ يارضوى، أنت إنسانة لطيفة، وتستطيعين أن تحلي مشاكلك مع زملائك بلطف!

رفعت رأسها لتقول شيئاً فواجهتها ابتسامة في عينيه ذات مغزى أصبحت بعد تجارب السنوات في العمل تدرك معناها.. أما نظرته فهي تنسكب دون انقطاع فوق تقاسيم جسدها الأنيق التكوين!

قال: يارضوى.. أحب أن أسمع عنك كل خير.. لا أحب أن أسمع عنك إلا ذلك!.. عودي إلى مكتبك وأكملي عملك.. في ألف سلامة.

شكرته بصوت مبحوح لايكاد يسمع واستدارت لتخرج.. قلبها يمتلىء بالدموع.. وعيناها.. تمثلت أمام عينيها صورة هدى بغطاء رأسها الواسع الذي ينسدل على جسدها ويغطي تفاصيله حتى أسفل وسطها.. لطالما هاجمت هذا الزي الذي يخفي معالم جمالها ويقربها من نساء الريف في العصور الغابرة!.. تمنت في تلك اللحظات الثقيلة أن كان هذا الغطاء يحول بين جسمها وبين تلك النظرات المتساقطة فوقه «كميازيب» الوسخ!.. همست إلى نفسها في أسىً: «ترى هل تكون أفكار هدى التي تجادل فيها دوماً، والتي تنتشر رغم كل مقاومة، هل تكون هذه الأفكار معالم المستقبل.. ترى هل تكون هي الحل؟!

□□□

غناء أبوي

شعر: أ.د.
عبده محمد بدوي

إذا مـارَفْ في الوادي صَـبَاحٌ اخْـضَـرُ النُّور
أرى طفلي على صَدْري يهمُّ بِشَوْقٍ عُـصْفور
ويَخْطُو بين أهْدَابي ليَبْلُغ جَانِبَ السُّور
فيغْدو العَالمُ المنظورُ لحناً غَيْر مَنْظور!
.. أُنَاغِيه فتخْفُقُ منهُ أجْنحةً على الجَنْب
وَيَسْتَلْقي على جَفْنَيْه حُلْم عَاشَ في هُدْبي
يُسَقْسِقُ كالطّيورِ البيضِ في أحْلامه قَلْبي
وأشْواقي التي جَمَدَتْ على شَفَتَيْه في حُبّ!

•••

أحَرّك مَهْدَهُ الذّهبيَّ في جَفْنَيْن قد سَهَرا
وأحْلُمُ أنّه أضْحَتْ تُدَوّرُ كَفُّهُ الْقَمَرا
فألمسُ خُصْلَةً سَمْراءَ تَمْلأُ وَجْهَهُ صُوراً
وأجْذِبُه إلى حُبّي، وأمْلأُ عُمرَهُ سَمَرا!

•••

به سَأعِيدُ أيّامي..إذا ما غِبْتُ في الْقَبْر
فأسْجُدُ بَيْنَ جَبْهَته إذا ما قامَ للفَجْر
وأرنو من مَحَاجِره إلى ما فاتَ منْ عُمري
وأرفعُ للدّجَى المِصباحَ منْ أيّامه الْخُضْر
وأسمعُ آيةً وَعَدَتْ بِعَيْشٍ آخرَ الدّهْر!

لقاء العدد

حوار مع رئيس التحرير

إســـــلامية المضمون.. ليست ش

هذا اللقاء.. رحلة في أعماق الأستاذ الدكتور عبد القدوس أبو صالح، رئيس تحرير هذه المجلة.. يكشف فيه عن ماهية الأدب الإسلامي، ويرد على مزاعم الرافضين لمصطلحه.. فماذا قال؟

■■ ماهو تعريف الادب الإسلامي؟ وما مفهوم هذا الأدب؟

●● تكامل تعريف الادب الإسلامي لدى عدد من رواد هذا الأدب، إلى أن تبنت رابطة الادب الإسلامي التعريف التالي: «الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الهادف عن الحياة والكون والإنسان وفق التصور الإسلامي» وإذا حللنا عناصر هذا التعريف اتضح لنا المفهوم المتميز للأدب الإسلامي.

والعنصر الأول في هذا التعريف أن الادب الإسلامي «تعبير فني» ومعنى ذلك أن الادب الإسلامي يهتم بالقيم الجمالية، ولايقبل أن يدخل فيه نص لا تتحقق فيه الفنية، لأنه لايمكن أن يسمى أدباً، وليست إسلامية المضمون أبداً «شفيعة» للأديب الإسلامي أن يقصر في جمالية الشكل ولا في التجويد الفني، فذلك مما يزري بالأدب الإسلامي ويضر به ويكون حجة عليه في يد خصومه ومعارضيه، والعنصر الثاني في هذا التعريف أن الادب الإسلامي أدب «هادف» ومعنى ذلك أنه يؤمن بالالتزام في الأدب، وهو التزام عقوي نابع من إيمان الاديب المسلم، دون أن ينقلب إلى التزام قسري، كالالتزام الذي تبنته الواقعية الاشتراكية، وفرضته على الادباء في دول الستار الحديدي بقوة الحزب والدولة.

والعنصر الثالث في التعريف أن الأدب الإسلامي تعبير عن «الحياة والكون والإنسان» ومعنى ذلك أن الأدب الإسلامي يشمل أي موضوع وأية تجربة إنسانية، إذ ليس هناك موضوع يحظر على الأديب الإسلامي أن يتناوله في قصيدة أو قصة أو

فيعاً للكـــاتب أن يقصـــر في جماليـــــة الشـــكل

مسرحية، وليس صحيحاً ما يتوهمه بعض المعارضين حين يزعمون أن الأدب الإسلامي هو أدب الوعظ المباشر الذي تحدد فيه الموضوعات وتقيد فيه تجربة الأديب، ويحد من انطلاقه وإبداعه.

وأما العنصر الأخير في التعريف وهو «وفق التصور الإسلامي» فهو شرط يتعلق بالمضمون، وهو الشرط الذي يميز الأدب الإسلامي عن غيره، إذ لا يمكن أن يدخل النص في دائرة الأدب الإسلامي ما لم ينطلق من التصور الإسلامي الملتزم بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ

■■ هناك من يزعم أن الأدب الإسلامي تنقصه النصوص الإبداعية، وأنه بناء نظري، لايدعمه الوجود الفعلي.. فما ردكم على هذا الزعم؟

●● أقـــول في الرد على هذا الـزعم أن الآداب الإنسانية كلها لاتعرف مذهباً أدبياً يملك من النصوص الإبداعية وامتدادها أربعة عشر قرناً غير الأدب الإسلامي.

أوليس القرآن الكريم وهو كتاب الله معجزة بيانية تحدت الإنس والجن؟ وهو بذلك يمثل المثل الأعلى الذي استضاء الأدب الإسلامي بمشكاته عبر العصور، سواء في مجال الشعر وأغراضه، أم في مجال النثر وأصنافه، وسواء ماكتب فيه باللغة العربية أم ما كتب في لغات الشعوب الإسلامية، وسواء ماكان في الأدب القديم أم ما أبدع في العصر الحديث.

ولقد أتيح لي أن أكتب بحثاً عن غرض واحد من أغراض الشعر الإسلامي في الأدب القديم هو شعر الحماسة الإسلامية فاجتمع لي كم هائل من الشعر بدءاً من شعراء الرسول ﷺ في معركتهم مع كفار قريش، ثم ملحمة الفتوح الإسلامية في العصر الأموي، ثم تيار الحماسة الإسلامية في العصر العباسي لدى أبي تمام والبحتري والمتنبي وأبي فراس والشريف الرضي وأسامة بن منقذ وغيرهم.. إلى عصر الحروب الصليبية الذي ضعفت فيه نبعة الشعر وسيطرت الصنعة المتكلفة عليه إلا ماكان في شعر الحماسة الإسلامية، فكيف إذا أضفنا إلى ذلك شعر الزهد الذي لم يستطع أحد أن يجمع كل ما قاله أبوالعتاهية فيه، ثم شعر الدعوة الإسلامية وشعر الدعاء والابتهال إلى الله.

● أحمد حسن الزيات

● د. عماد الدين خليل

وفي العصر الحديث تألق الشعر الإسلامي على يد البارودي الذي دارت حماسياته على صورة المجاهد المسلم، وتبعه أمير الشعراء أحمد شوقي في إسلامياته الخالدة وفي رثائه للخلافة الإسلامية، وجاء بعده أحمد محرم بملحمته الإسلامية، وكان ذلك كله إيذاناً بطوفان الشعر الإسلامي متمثلاً في شعر العودة إلى الإسلام، وفي الرد على هجمة المدرسة التغريبية، وفي شعر المناسبات الإسلامية، ثم كانت ملحمة الشعر

حـــاوره: د. غريب جمعـــة

الإسلامي في مقاومة الاستعمار، وفي مأساة فلسطين وأفغانستان وأخيراً في البوسنة والهرسك وفي شعر الصحوة الإسلامية.

وأما في مجال النثر الفني فلا يستطيع أحد إحصاء ما تزخر به كتب الأدب من نصوص الأدب الإسلامي مع أن كثيراً من هذه النصوص منثورة ـ كما يقول الشيخ أبوالحسن الندوي ـ في كتب الحديث والسيرة والتاريخ وكتب الطبقات والتراجم والرحلات وفي الكتب التي ألفت في الإصلاح والأخلاق والاجتماع، وفي العصر الحديث نجد عطاء الأدب الإسلامي غزيراً في مختلف الفنون النثرية. ففي فن المقالة نجد الرافعي وشكيب أرسلان، والزيات والعقاد وسيد قطب ومحمود شاكر وعلي الطنطاوي.. وفي القصة والمسرحية نجد بائثير والسحار ونجيب الكيلاني وعماد الدين خليل وكثيرين غيرهم.

وإذا كان كل ما قدمناه يقتصر على الأدب الإسلامي المكتوب باللغة العربية، فهناك فيض هائل في آداب الشعوب الإسلامية، ويكفي أن نشير إلى أن في الأدب الإسلامي المكتوب باللغة الأوردية ملاحم يبلغ بعضها عشرين ألف بيت من الشعر ويكفي أن نذكر محمد إقبال شاعر الإسلام، ومحمد عاكف مؤلف النشيد القومي التركي، ونجيب فاضل أمير الشعراء الأتراك.

■■ طرح مع مصطلح «الأدب الإسلامي» الذي تبنته رابطة الأدب الإسلامي العالمية مصطلحات أخرى بديلة، تراوحت ما بين مصطلح «أدب الدعوة»، و«الاتجاه الإسلامي في الأدب»، و«الأدب المسلم» و«آداب الشعوب الإسلامية». فما رأيكم في هذه المصطلحات؟

●● أقول: أما مصطلح «أدب الدعوة» فمازال يدرس بهذا الاسم في إحدى جامعات المملكة العربية السعودية، وما من شك في أن أدب الدعوة يشوح الأدب الإسلامي، ولكن الأدب الإسلامي ـ كما يدل التعريف الذي قدمناه ـ لاينحصر في أدب الدعوة فقط، وإنما يشتمل على أي موضوع وأية تجربة إنسانية تتعلق بالكون الفسيح والحياة المتشعبة والإنسان الذي يحيا حياته في هذا الكون، وهكذا نقول إن الأدب الإسلامي يشتمل على أدب الدعوة، ولكنه لاينحصر في ميادينها مهما كانت متعددة ومتسعة.

وأما مصطلح «الاتجاه الإسلامي في الأدب» فقط طرحه بعض النقاد ليكون حلاً وسطاً لا يتهم أصحابه بأنهم يعارضون الأدب الإسلامي جملة وتفصيلاً، فهم يقبلون به اتجاهاً أدبياً يكون في غرض من الأغراض الشعرية أو لدى شاعر أو كاتب، ظهر في نتاجه هذا الاتجاه في صورة بارزة لايمكن تجاهلها.

ونقول في هذا المصطلح: إنه يهون من شأن الأدب الإسلامي، ويجعله مجرد اتجاه يظهر حيناً ويختفي حيناً آخر، وكأن الإسلام الذي أوجد الأمة الإسلامية وحضارتها المتكاملة، وميزها بما فيه من خصائص التصور الإسلامي.. لم يوجد في أدب هذه الأمة ما يتجاوز مجرد الاتجاه الأدبي ليكون أدباً إسلامياً له مضمونه المتميز وسماته الخاصة به، بينما نرى كثيراً من المذاهب الأدبية العالمية يقوم على فلسفات وضعية، تخطئ أكثر مما تصيب، فكيف نضن على الإسلام الذي هو من وحي حكيم خبير، والذي هو أرقى من كل الفلسفات المثالية والنظم البشرية أن يكون له مذهب أدبي متميز؟

وأما مصطلح «الأدب المسلم» فإما أن يراد به ما يراد بمصطلح الأدب الإسلامي مع وضع كلمة «مسلم» بدلاً من «إسلامي»، وإما أن يراد به ـ كما يقول بعض الداعين إليه ـ الأدب الذي يصدر عن أي مسلم كان، فإذا كان المراد هو الاحتمال الأول، فإن كلمة «الإسلامي» هنا أفضل من كلمة «المسلم» حيث يقال: الحضارة الإسلامية والأمة الإسلامية والعالم الإسلامي ولايقال: الحضارة المسلمة والأمة المسلمة والعالم المسلم.

وإذا كان المراد بالأدب المسلم، الأدب الذي يصدر عن أي مسلم كان، فهذا المصطلح غير مقبول لأن «المعيارية» فيه غير دقيقة أبداً، فهي تحكم على الأدب بدين صاحبه سواء أكان هذا الأدب موافقاً للتصور الإسلامي أم مخالفاً ومصادماً له، بالإضافة إلى أن كلمة «مسلم» لم تعد تتجاوز لدى كثير من «المسلمين» ماهو مثبت فيما يسمى ببطاقة الهوية أو حفيظة النفوس.. دون أن يكون

للإسلام تاثير في أدب كثير من «الأدباء المسلمين» ولا في عقيدتهم ولا في أخلاقهم.. بل ربما وجدت لديهم وفي أدبهم بالذات مصادمة ومخالفة لكل ما يدعو إليه الإسلام.

وأما مصطلح «آداب الشعوب الإسلامية» فهو كما تدل صيغته لايمكن أن يكون عنواناً لمذهب أدبي.. بالإضافة إلى أن أحداً من النقاد أو الدارسين لم يزعم أن آداب الشعوب الإسلامية تدخل كلها في مفهوم «الأدب الإسلامي».. ففي آداب هذه الشعوب كما هو الحال في الشعب العربي المسلم.. مذاهب متباينة واتجاهات متعارضة يقع بعضها قريباً من مفهوم الأدب الإسلامي ويقع كثير منها فيما وقع فيه الأدب العربي المعاصر من اتباع المذاهب الأدبية العالمية، بما فيها تلك المذاهب المبنية على «معتقدات» أو «إيديولوجيات» مخالفة للإسلام.

وها هم أولاء الأدباء الإسلاميون في الهند وتركيا وفي أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي يشكون مما يشكو منه الأدباء الإسلاميون في العالم العربي من طغيان تيار الحداثة الفكرية التي تعد أكبر فتنة يتعرض لها المسلمون عن طريق جانب مهم من جوانب حياتهم وهو الجانب الفني الذي لاينكر أحد أهميته وخطورته.

■■ كيف يصنف النتاج الأدبي بصورة عامة من وجهة نظر النقد الأدبي الإسلامي؟

●● نستطيع أن نقول بناء على ما قدمنا من تعريف الأدب الإسلامي ومفهومه أن النتاج الأدبي أياً ما كان نوعه ينقسم أو يدور في دوائر ثلاث:

الأولى: دائرة الأدب الإسلامي الملتزم بالتصور الإسلامي، وهي دائرة لا تقتصر على أدب الدعوة، كما أسلفنا بل تتسع لتشمل أي موضوع يدور حول الكون والحياة والإنسان.

الثانية: دائرة الأدب الحيادي أو دائرة الأدب المباح، وهو الأدب الذي لايخالف التصور الإسلامي وإن لم يلتزم به أو يصدر عنه.. وهي دائرة تتسع للأدب الجمالي المحض أو أدب التسلية والترويح عن النفس.

أما الثالثة فهي: دائرة الأدب الذي يخالف التصور الإسلامي ويضاده، وهذا الأدب هو الذي يرفضه الأدب الإسلامي، ويعد التصدي له من أول واجباته ومهماته، لأنه أدب العقائد والمذاهب والإيديولوجيات، المنحرفة عن الإسلام، أو أدب العبث الهدام، أو الأدب الوجودي المتمرد، أو أدب الجنس والانحلال الخلقي، أو أدب الحداثة الفكرية المدمرة، لا أدب الحداثة بمعنى التجديد في المضمون والشكل.

■■ يذهب بعض المتحمسين للأدب الإسلامي إلى أن هذا الأدب يشمل كل نتاج لا يضاد الإسلام ولايصادمه، فما هو موقفكم من هذا الرأي؟

●● هذه حماسة يشكر أصحابها على نياتهم الحسنة، ولكننا نقول لهم: لقد آن لكم أن تكفوا عن هذا الغلو وعن هذه الحماسة التي تجاوزت الحد حتى أوقعت في الضد.

وقد بينت في الفقرة السابقة أن هذا الأدب الذي لايضاد الإسلام أو يصادمه، ولكنه لايصدر عن التصور الإسلامي يدخل في دائرة الأدب المباح أو الأدب الحيادي، أما إدخاله في دائرة الأدب الإسلامي فإنه يضيع «معيارية» هذا الأدب، إذ يدخل فيه كل نص لايتعرض إلى الإسلام بخير أو شر وإنما قامت الدعوة إلى الأدب الإسلامي على إيجاد نظرية أو مذهب أدبي إسلامي، ينطلق من التصور الإسلامي السليم، لينتج أدباً إسلامياً هادفاً.

■■ هل يدخل الإبداع الأدبي الذي يصدر عن أديب غير مسلم في الأدب الإسلامي، إذا كان مضمونه إيمانياً، أو كان يعزز قيمة من القيم الإسلامية؟

●● إن قصارى ما نقوله في هذا الأدب وما يحتويه من نصوص أنها تدخل فيما يسمى «بالأدب الموافق» دون أن نجعل قائليها أدباء إسلاميين.

ذلك أن القضية ليست قضية نص منفرد بذاته، وليست قضية نصوص متعددة تتفق مع الإسلام بصورة عرضية. وليس يقبل في هذا المجال القول بأن النص الأدبي ينفصل عن قائله بمجرد إبداعه إياه، كما لايحتج هنا بشطر من الحديث النبوي الذي يقول: «كل مولود يولد على الفطرة» مما

يجعل التجربة الإسلامية عند غير المسلمين أمراً ممكناً، بل لعله الأصل كما يقول بعض المتحمسين، وإنما عليهم أن يقفوا عند الشطر الثاني من الحديث: «فأبواه يهودانه أو يمجّسانه أو ينصّرانه».

ففي هذه النتمة إشارة إلى أثر عوامل التربية والبيئة فالأديب غير المسلم يولد على الفطرة حقاً، ولكن هذه الفطرة ما تلبث غالباً أن تفسد بالتصور الذي يدخل عليها من جهة الدين الذي يحمله أبواه عليه، والذي يكون التصور فيه منحرفاً فاسداً، إلا أن يكون دين الإسلام. ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾.

وقد يكون الانحراف من جهة البيئة بما فيها من انحراف عقدي أو فكري أو خلقي وقد يلتقي الأديب غير المسلم مع الأديب المسلم في اتجاه إنساني أو اتجاه خلقي. لكن طبيعة التجربة قد تختلف باختلاف التصور أو الدوافع. وهي تكون عند الاتفاق التام من قبيل «التوافق العرضي» الذي لاتبنى عليه قاعدة مطردة ولا حكم شامل.

ومن هنا ينبغي الحذر والبعد عن التعميم، وإلا جاز لنا حين نرى ما كتبه «تولستوي» أو «طاغور» أو «جوركي» أو «سارتر» من نصوص قد تتفق جزئياً وبصورة عرضية مع ما في الإسلام من:

- نظرة إنسانية كما لدى تولستوي الروسي وطاغور الهندي.
- أو دعوة إلى التزام الأديب ومسئوليته بمجرد إيمانه بموقف ما، كما لدى سارتر الوجودي.
- أو دعوة إلى المساواة والعطف على الفقراء، كما نجد عند جوركي الشيوعي الذي مهد للواقعية الاشتراكية.

أقول: لجاز لنا أن نجعل ما نجده عندهم من النصوص الموافقة - وهم بين دهريين وهنادكة وشيوعيين ووجوديين - نصوصاً داخلة في الأدب الإسلامي، وهذا أمر لايقبله ولايقول به أحد من أهل المذاهب الأدبية العقدية، فلماذا يخص الأدب الإسلامي بهذا الموقف ويحمل على قبوله؟!

كذلك فإن أولئك المتحمسين الذين يريدون أن يوسعوا دائرة الأدب الإسلامي لكل نص إيجابي مهما كان قائله لايدركون ما سوف يستتبعه حول نصوص الأديب غير المسلم حين تكثر هذه النصوص الموافقة لدى أديب نصراني أو يهودي مثلاً.. حيث ينبغي عندئذ - قياساً على موقف المتحمسين - أن نقول: إن الأديب النصراني أو اليهودي فلان - أديب إسلامي.. وهذا مالايمكن القبول به حتى من قبل الأدب اليهودي أو النصراني نفسه..

وقد احتج أحد المتحمسين بأن رائد الأدب الإسلامي الأستاذ محمد قطب قد استشهد في كتابه «منهج الفن الإسلامي» بنصوص لأدباء غير مسلمين، ولكن الحقيقة أن الأستاذ محمد قطب كان واضحاً في ذلك حيث يقول في هذا الكتاب (ص٦٥ طبعة دار الشروق): «والفن الإسلامي من ثم ينبغي أن يصدر عن فنان مسلم، أي إنسان تكيفت نفسه ذلك التكيف الخاص، الذي يعطيها حساسية شعورية تجاه الكون والحياة والواقع بمعناه الكبير، وزود بالقدرة على جمال التعبير، وهو في الوقت ذاته إنسان يتلقى الحياة كلها من خلال التصور الإسلامي، وينفعل بها ويعانيها من خلال هذا التصور الإسلامي ثم يقص علينا هذه التجربة الخاصة التي عاناها في صورة موحية».

وربما كان بعضهم قد التبس عليه الأمر من بعض العبارات التي وردت في الكتاب دون تدقيق فيما تدل عليه وسط السياق الكامل للفصل حيث وردت العبارة التالية (ص٢٦٦): «ومع ذلك فإن التصور الفني الإسلامي للكون والحياة والإنسان هو تصور كوني إنساني.. مفتوح للبشرية كلها، لأنه يخاطب الإنسان من حيث هو إنسان، ويلتقي معه من حيث هو إنسان. ومن ثم يستطيع أي إنسان أن يتجاوب مع هذا التصور، ويتلقى الحياة من خلاله بمقدار ما تطيق نفسه هذا التلقي وذلك التجاوب فيلتقي مع الفن الإسلامي بذلك المقدار».

وبناء على هذه العبارات الأخيرة استشهد الأستاذ محمد قطب بنصوص الأدباء غير المسلمين دون أن يدخل هذه النصوص في الأدب الإسلامي.

وإلى مثل هذا الموقف ذهب سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية في حوار أجرته معه مجلة «الأدب

الإسلامي» التركية وقد جاء في هذا الحوار مايلي:

■■ إذا كان هناك أديب غير مسلم انتج أدباً لايخالف الإسلام.. هل يكون أدباً إسلامياً؟

●● إذا كان مؤسساً على مبادئ شريفة، وإذا كان تعبيراً عن فكرة صحيحة نقول: هذا أدب جيد.

■■ هل نقول: إنه أدب إسلامي؟

●● لا.. لا نقول إنه أدب إسلامي.. نقول إنه أدب صالح.

■■ هل يمكن أن نصل من هنا إلى أن من شروط الأدب الإسلامي أن يكون الأديب مسلماً؟

●● نعم.

■■ يذهب بعض النقاد إلى أن الأدب العربي أدب إسلامي في جملته، وبالتالي فلا حاجة إلى هذا المصطلح الذي يزيد في تجزئه الأدب العربي.. ما ردكم على ما يقوله هؤلاء النقاد؟..

●● لاتخرج نصوص الأدب العربي في قديمه وحديثه عما قدمناه من تقسيم النتاج الأدبي على دوائر ثلاث: دائرة الأدب الإسلامي الملتزم بالتصور الإسلامي ودائرة الأدب المباح أو الحيادي، ودائرة الأدب المضاد الذي يخالف التصور الإسلامي.

وحقاً كان الأدب العربي في عصر النبوة والخلافة الراشدة أدباً إسلامياً في جملته، ولكن دائرة الأدب المضاد كانت تتسع عبر القرون بمقدار بعد المسلمين عن الالتزام بالإسلام وجرأة بعض الشعراء على المجاهرة بالإلحاد والزندقة، وارتكاب الآثام والمعاصي، حتى إذا جاء العصر الحديث اتسعت دائرة الأدب المضاد، وأصبح الأدب العربي - كما يقول الأستاذ محمد قطب «أدباً مزوراً» لايعبر عن عقيدة الأمة ولا ينطلق لدى كثير من أعلام الكتاب والشعراء من التصور الإسلامي، ولا يبالي بثوابت الإسلام دون أن يعني ذلك غياب الأدب الإسلامي على الرغم من محاولات التعتيم عليه وعلى رموزه.

وهكذا يصبح القول بأن الأدب العربي أدب إسلامي في جملته قولاً لا يخلو من التعميم والبعد عن الواقع الملموس، وبخاصة بعد أن أصبح الأدب العربي المعاصر صدى للمذاهب الأدبية العالمية التي تختلف فيما بينها اختلافاً قليلاً أو غير قليل،

ولكنها تتفق في كونها مخالفة للتصور الإسلامي في معظم ماجاءت به.

وأما أن الأدب الإسلامي سوف يعمل على تجزئة الأدب العربي، فهذه التجزئة حاصلة قبل الدعوة إلى الأدب الإسلامي في العصر الحديث، ولكن الأجزاء التي تحتل الساحة الأدبية في العالم العربي أجزاء متناحرة ومتنافسة، وإنما يجمعها أن كثيراً منها لاينطلق من عقيدة الأمة - إن لم يعارضها - ولايعبر عن وجدانها وتراثها، ولا يلائم ذوقها وأصالتها، بينما نجد الأدب الإسلامي هو الذي يستطيع أن يقوّم هذه المذاهب، وأن يحكم عليها، وأن يكون بديلاً عنها، وبذلك تتوحد الساحة الأدبية، أو يقصى منها ما يعارض عقيدة الأمة على الأقل.

ونزيد على ذلك أن الأمة الإسلامية وفي مقدمتها الأمة العربية بما تفرضه عليها عقيدتها لن تتخلى عما يوجبه عليها دينها بحجة أن أدبها الإسلامي يزيد في تجزئة الساحة الأدبية وإذا كان هناك خيار مفروض بين العقيدة والأدب فليس هناك مؤمن بالله يؤثر الأدب على العقيدة.

■■ يذهب بعض المتحمسين للغة العربية إلى أن الأدب الإسلامي ينبغي أن يقتصر على الأدب المكتوب باللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم، ماذا تقول لأصحاب هذا الرأي وهم من دعاة الأدب الإسلامي؟

●● لاشك أن لغة القرآن هي اللغة الأولى للأدب الإسلامي إلا أنه لايجوز أن يحصر في لغة واحدة مهما كانت دواعي الغيرة والحماسة للغة القرآن الكريم.

ومن الواضح أن هذا الموقف الذي تمليه الحماسة المفرطة يضيق دائرة الأدب الإسلامي ويحول بينه وبين أن تكون له نظرية أو مذهب عالمي، يأخذ به الأدباء على مختلف جنسياتهم، ويصدرون عنه على اختلاف لغاتهم، ما دمنا نشترط أن يتعلموا العربية ويكتبوا بها حتى تدخل نتاجهم في دائرة

الأدب الإسلامي.

وأقول: إن مايذهب إليه بعض المتحمسين هنا غير مقبول لاإسلامياً ولا إنسانياً ولا واقعياً. فهو غير مقبول إسلامياً لأن هذا الموقف يدخلهم في العصبية التي نهى عنها الإسلام، وهذا الموقف يمثل نوعاً من الاستعلاء على الشعوب الإسلامية غير العربية، ومما من شك في أن الإسلام يبيح للمسلم أن يكتب الأدب بلغة قومه أو أية لغة يشاء.

وهذا الموقف غير مقبول إنسانياً لأن فيه ظلماً للأدباء الإسلاميين من غير العرب، حين ننكر أن يكون نتاجهم داخلاً في الأدب الإسلامي، وإن كان صادراً عن التصور الإسلامي الصحيح، فإن الله لم يخص العرب ولا الناطقين بالعربية بالمواهب الأدبية دون غيرهم من الناس، ولم يحظر الإسلام على غير العرب أن يمارسوا نشاطاً إنسانياً هو في فطرة الناس وطبائعهم، إذ يعبرون عن مشاعرهم تعبيراً أدبياً باللغة التي يتكلمونها ويكتبون بها.

وهذا الموقف مرفوض من جهة الواقع الذي نراه أمامنا، والذي يدحض هذه النظرة الضيقة، فالشعوب الإسلامية بأسرها لها أدبها القومي أو المحلي المكتوب بلغتها، ولهذا الأدب وجود قديم قبل أن تسلم هذه الشعوب وبعد إسلامها.

ومما أدري ماذا يسمي المتحمسون ذلك الأدب الإسلامي الذي لامأخذ عليه من وجهة نظرهم إلا أنه لم يكتب بالعربية؟ ثم كيف يميزونه عن الأدب المضاد للتصور الإسلامي والمكتوب باللغة التي كتب بها الأدب الملتزم بالإسلام؟

وإذا كان كثير من أدباء الشعوب الإسلامية في القديم تعلموا العربية، وصاروا من شعرائها وكتابها.. فذلك لأن اللغة العربية كانت آنذاك لغة الخلافة التي تحكم أنحاء العالم الإسلامي، كما أنها لغة العلم والحضارة بالإضافة إلى أنها لغة القرآن التي يتعبد بها المسلمون ربهم على اختلاف أجناسهم، أما أن نقصر الأدب الإسلامي على اللغة العربية وحدها فهذا أمر مستغرب، وكثير من المذاهب الأدبية، كالواقعية الاشتراكية، والوجودية وغيرهما، كتب أتباعها بلغات مختلفة، لأن الجامع في المذاهب الأدبية العالمية من أسس عقدية أو نظرية أدبية أو منهج نقدي، كل هذه الأمور لاتختص بلغة معينة يحظر على أتباع المذهب الأدبي أن يكتبوا بغيرها.

■■ هناك من يقول: إن طرح مصطلح «الأدب الإسلامي» يعني أن ما لايدخل فيه «أدب غير إسلامي» بالإضافة إلى أن إطلاق صفة «أديب إسلامي» يثير حساسية لدى الآخرين.. ماقولكم في هذا؟

●● إن ما قدمناه من تقسيم النتاج الأدبي إلى أدب إسلامي وأدب حيادي مباح وأدب مضاد للتصور الإسلامي هو خير رد على ذلك الاعتراض الذي طرحه بعض المعارضين للأدب الإسلامي زاعمين أن الدعوة إلى الأدب الإسلامي تعني أن ما لايدخل فيه يكون أدباً غير إسلامي، وبالتالي يكون أصحابه متهمين في عقيدتهم ودينهم.

ومن المسلم به أن النص الأدبي في مضمونه وشكله هو الذي يحدد نسبته إلى مذهب أدبي معين. والأدب الإسلامي أدب مضمون في الدرجة الأولى، وكل نص أدبي ينطلق من هذا التصور هو أدب غير إسلامي، وقائله هو الذي أراد له ذلك حين اختار لنفسه أن يبدع نصاً مخالفاً للتصور الإسلامي، أو معادياً له، أو خارجاً عن ثوابت الإسلام وقيمه، وتبقى هناك كثرة من النصوص تقف على الحياد، فهي لاتصدر عن التصور الإسلامي، ولكنها لاتخالفه ولاتضاده، وهذه الكثرة من النصوص هي التي تدخل في الأدب الحيادي أو الأدب المباح، وهذا الأدب الحيادي أو المباح يبدع فيه الأدباء الإسلاميون وغيرهم، إذ لا يأخذ الأدب الإسلامي بمبدأ الإلزام الذي كانت الواقعية الاشتراكية تأخذ به، وإنما الأدب الإسلامي أدب ملتزم هادف يترك للمبدع أن يبدع أدباً إسلامياً يثاب عليه صاحبه، أو أدباً حيادياً أباحه الإسلام وهو ـ كما قدمنا ـ يشتمل على الأدب الجمالي المحض، وعلى أدب التسلية والترويح عن النفس، وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الترويح عن القلب دونما شطط وذلك في قوله: «روّحوا هذه القلوب ساعة بعد ساعة فإنها إذا تعبت كلت، وإذا كلت عميت».

ولقد كان من المسوغات الأولى للدعوة إلى الأدب

الإسلامي هو التصدي للأدب المضاد للإسلام بما فيه من إلحاد وانحراف وانحلال، وقد صنف القرآن الكريم الشعراء إلى فئتين: فئة أهل الغواية وفئة أهل الإيمان، وذلك في قوله تعالى:

﴿والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧)﴾ [٢٦/الشعراء ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦/ ٢٢٧].

وأما الشطر الثاني من السؤال وهو: أن إطلاق صفة «أدب إسلامي» يثير حساسية لدى الأدباء الآخرين.. فأقول في الرد على هذه الشبهة أن الناس لايزالون منذ عقود من السنين يطلقون على المفكر الذي يكتب عن الإسلام بجوانبه المختلفة لقب «المفكر الإسلامي» أو «الكاتب الإسلامي» ومع ذلك لم يقل إن إطلاق هذا اللقب أو هذا الوصف على نفر مختصين بالفكر الإسلامي، يعني إتهام غيرهم في عقيدتهم أو دينهم، وإنما يعني إطلاق لقب المفكر الإسلامي أو الكاتب الإسلامي أو الأديب الإسلامي نوعاً من التخصيص الذي يدل على انقطاع المفكر أو الكاتب أو الأديب إلى هذا النوع من النتاج، أو غلبة هذا النتاج على ما يكتبه إن كان مفكراً أو ناقداً، أو على ما يبدعه إن كان شاعراً أو قاصاً أو كاتباً مسرحياً.

ومن البديهي أن يكون هذا المفكر الإسلامي وهذا الأديب الإسلامي صادرين عن التصور الإسلامي الصحيح إذا كانا صادقين فيما يكتبانه، وبعيدين عن النفاق أو الارتزاق، وهل يطلب من الأديب المسلم الذي يملك الموهبة والمقدرة الفنية أكثر من أن يصدر في عطائه عن التصور الإسلامي ليكون أديباً إسلامياً؟

وهل يملك المسلم الملتزم بالإسلام أن يخالف التصور الصحيح، أو يأتي بما يضاده ويصادمه؟ وبخاصة أن هذا الالتزام لايحجر واسعاً، ولايشكل قيداً، ولا يضيق عن تجربة إنسانية.

■■ ماهو موقفكم من الآخر.. سواء أكان نظرية أدبية أم مذهباً أدبياً أم ناقداً معارضاً؟

●● ينبغي أن يكون موقف الأديب الإسلامي من أي نظرية أدبية أو مذهب أدبي منطلقاً من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «الحكمة ضالة المؤمن وأينما وجدها فهو أحق بها».

وهذا الحديث النبوي يصح أن يكون منهاجاً إذا طبق بوعي وتدبر بعيداً عن الانبهار والتبعية من جهة، وبعيداً عن الانغلاق والتقوقع من جهة أخرى، فالأدباء الإسلاميون أجدر من غيرهم بالموازنة السليمة بين الأصالة والتجديد، وبين الانطلاق من التراث الإسلامي والانفتاح على الأدب العالمي، أما النقاد المعارضون للأدب الإسلامي فينبغي أن ننطلق في التعامل معهم من قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)﴾[١٦/النحل/ ١٢٥]. ومن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤)﴾[٤١/فصلت/ ٣٤]، وقد أخذنا بهذا التوجيه القرآني في مقابلة المعارضة الشديدة التي جوبهت بها الدعوة إلى الأدب الإسلامي في بدايتها، فخفت حدة المعارضة بعد توضيح مفهوم الأدب الإسلامي أمام المعارضين، والدخول في حوار معهم سواء في المقابلات الخاصة أم الندوات الأدبية أم في الصحف والمجلات وقد أدى هذا إلى أن بعض المعارضين المنصفين مالبثوا أن أصبحوا من الملتزمين بالأدب الإسلامي، وصار بعضهم من أعضاء رابطته العالمية.

ولا ننسى أن افتتاحية العدد الأول من مجلة الأدب الإسلامي تضمنت دعوة مفتوحة لنشر أي مقال معارض للأدب الإسلامي شريطة أن يلتزم كاتبه بالموضوعية.. ومازالت الدعوة مفتوحة لأننا لانخشى آراء المعارضين، ولا نتهرب من مواجهتها بالحجة والمنطق.. لاننا نعلم أننا على جادة الحق مادمنا نستمد دعوتنا إلى الأدب الإسلامي وننطلق فيها من مشكاة القرآن الكريم وهدي النبوة، والله ولي التوفيق.

هل للإسلامية «مذهبها» المتميز و«منهجها» في الدراسة

تثير قضية «المذهب الأدبي» و«منهج الدراسة الأدبية» تحدياً للأدباء الإسلاميين بسبب من ان العديد من الدارسين يعتبرون «الإسلامية» مجرد «معيار» يتعامل بالدرجة الأساس مع المضمون ولايكاد يحفل بالملامح والبنية الفنية التي تنسج مذهبيتها الخاصة، ولا بمنهج العمل الذي يدرس النشاط الأدبي بمقتضى تقنياته المتميزة ورؤيته للظواهر والأشياء فهل الأدب الإسلامي هو بالفعل أدب معياري فحسب يستمد قيمته من الرؤية الكلامية ويهدف إلى تكوين معطيات إبداعية، تحمل هذه القيم وترتبط بها؟ بعبارة أخرى، هل هذا الجانب ـ الذي لايكاد يختلف عليه الإسلاميون أنفسهم ـ هو الطرف الوحيد في الصورة؟ أو هو المحور الفرد في المعطى الأدبي الإسلامي الذي لايتجاوزه إلى محاور أخرى؟ وهل الأدب الإسلامي لم يرق إلى أن يكون مذهبه الخاص أو مدرسته المتميزة؟

ـــا» الخاص..
ـــة الأدبية؟

لاريب أن البداية الصحيحة، والجادة، للإجابة على هذا السؤال، والرد على التحدي، بالتالي، يقتضي متابعة متأنية لطبيعة «النشاط» أو «المعطى الأدبي» المعاصر على إطلاقه أي في إطاره العالمي، لتبين أنماطه وطبقاته، وللإحاطة بمعماره الشامل ذي النسب والأبعاد والتكوينات ذات الارتباطات الصميمة بين بعضها فالنشاط الأدبي ليس إبداعاً فحسب، كما أنه ليس قراءة نقدية للنص الإبداعي فحسب وإنما هو ـ فضلاً عن هذا وذاك ـ مذهب أو مدارس في الإبداع تتشكل وفق المنظور أو الإطار الشامل الذي يتكون العمل الإبداعي في رحمه، كما أنه «مناهج» و«طرائق» لدراسة الأدب وتصنيفه وفق سياقاته في الزمن والمكان، وفي ضوء قوانينه وارتباطاته الداخلية، ثم هو ـ في نهاية الأمر ـ «نظرية» شاملة تجمع هذا كله، وتبحث عناصر الارتباط والتأثير والتأثر بين طبقاته، وتؤثر على النسب والأبعاد بين معطياته، ثم تسعى لاستخلاص التوجهات الشمولية التي تندرج فيها، وتصب مفردات النشاط الأدبي كافة لكي تصنع أو تصوغ توجهاً ذا شخصية محددة وملامح متميزة.

■■■

بقلم: أ. د.
عماد الدين خليل

ومن أجل مقاربة أدق للمسألة فإن لنا أن نتصور المعطى الأدبي معماراً ذا طبقات عديدة وتكوينات شتى، يرتبط بعضها بالبعض الآخر، وفق منظور أفقي أو عمودي، ارتباط المقدمات بالنتائج، والأسباب بالمسببات. فإذا سلمنا بذلك، أدركنا أن أي أدب متميز لابد أن ينطوي على الطبقات جميعاً، وأن يسعى أصحابه ما وسعهم الجهد لاستكمال تكويناته كافة، وعرضنا كذلك أن استنتاج بعض الدارسين حول معيارية الأدب الإسلامي الذي لايملك مذهباً أو مدرسة إنما هو فرصة للاختبار لعودة الإسلاميين إلى تقليب دفاترهم لتبين صدق هذا الاستنتاج أو خطئه.

وأيضاً سيكون هذا الاستنتاج تحدياً محفزاً لاستكمال البنيان في حالة وجود نقص ما، والوقوف بالأدب الإسلامي بعمارته المتكاملة نداً للآداب العالمية المعاصرة التي تملك أدواتها ومستلزماتها كافة وعلى ذلك، فإن بمتابعة التيارات التي تغذي نهر النشاط الأدبي المعاصر، على وجه الخصوص، يتبين، وهذه مسألة يتحتم أن تكون بديهية بالنسبة للمعنيين بالأدب كافة، أن هناك:

(١) المعطيات الإبداعية وفق أنواعها المعروفة والتي تشكل قاعدة البناء كله.

(٢) المنظور أو الرؤية الشمولية التي تتشكل بموجبها هذه المعطيات فتكون بمجموعها مدرسة أو مذهباً أدبياً معيناً.

(٣) الجهد النقدي الذي يسعها لإضاءة الأسس الجمالية للنص الإبداعي، فيضع له المبادئ والقواعد والأصول، ثم يبدأ في تنفيذها وفق نشاط تحليلي، يستهدف الوصول إلى القيم الفنية للنص ودلالاته المضمونية وطبيعة ارتباطه بالمضمون أو المذهب الذي ينتمي إليه.

(٤) الطريقة أو المنهج الذي يدرس الحركة أو الظاهرة الأدبية عبر مساراتها الشاملة في الزمان والمكان، وفي ضوء قوانينها وارتباطاتها الداخلية.

(٥) النظرية التي تلم هذه المعطيات وتنطوي عليها جميعاً، وعلى ذلك فإذا كانت الإسلامية قد أبدعت أدباً وفق هذا النوع أو ذاك، أي في دائرة الشعر أو القصة أو

الرواية أو المسرح.. إلى آخره.. وإذا كان هذا الأدب يكشف بالضرورة عن منظور متميز، أو عن رؤية متفردة، هي الرؤية الإسلامية بخصائصها وميزاتها جميعاً، أفلا تكون الإسلامية بالتالي، مدرسة أو مذهباً متميزاً؟

فإذا كانت «الواقعية الاشتراكية» مثلاً تنبثق عن منظور مادي للكون والحياة والإنسان، فإن الإسلامية، على النقيض تماماً، ترفض الرؤية الأحادية وتضيف للمنظور بعداً روحياً، بعداً غيبياً يتجاوز المحدود إلى المطلق، والحسي إلى المعنوي، وعالم الظاهر إلى عالم الباطن، والصراع في ضيقة الطبقية الإنتاجية إلى الصراع في ضيقة الإنسانية الشاملة.

وإذا كانت «الطبيعية» مثلاً، تنبثق عن منظور عبثي لا معقول فإن الإسلامية، على النقيض تماماً، تقوم على الهدفية والمعقولية والجدوى، وترى في العالم والتاريخ والمجتمع فرصة للتحقق بالمصير وإذا كانت «الرومانسية» مثلاً، تبحر بعيداً باتجاه العاطفة البشرية وتنساق مع منازعها وأشواقها.. وإذا كانت «السريالية» توغل باتجاه الطبقات البعيدة للنفس البشرية، حيث تلعب الغريزة دوراً تحكمياً في أنماط السلوك، فإن الإسلامية، إذ تعطي مساحة ما لهذا كله، فإنها تتجاوزه صوب «الآخر» بعيداً عن «الأنا» وباتجاه القدرة على السيطرة وصياغة المصير بعيداً عن التسيب والضبابية والفوضى التي تتمخض عن إطلاق العنان لغرائز الإنسان في عوالمه السفلية المعتمة.

وحيثما قلبنا الأمر على وجوهه رأينا في التضاد المتميز للإسلامية عن سائر المذاهب الأخرى، ما يجعلها تحمل مذهبيتها الخاصة، وما يمنح معطياتها الأدبية مواصفات وخصائص لاتكاد تجدها في أي مذهب آخر.

وإذن، وبقدر ما يتعلق الأمر بالارتباط العمودي بين هاتين الطبقتين في معمار الأدب الإسلامي، أي بين المعطى الإبداعي والمنظور أو الرؤية، يبدو أنه من قبيل الأمور المحتومة أو المسلم بها، أن تكون الإسلامية مذهباً وليست مجرد معيار رؤيوي تقاس به أو تحال إليه الأعمال أو النصوص الإبداعية.

وليس صعباً أن يتأكد المرء من هذا بمجرد أن يتابع الملامح المتميزة للمعطيات الإبداعية الإسلامية التي أخذت تمتد عمقاً ومساحة عبر العقدين الأخيرين على وجه الخصوص، فإذا تذكرنا أنها شُكّلت في الأساس لكي تعبر عن المنظور الإسلامي ولكي تقدم البديل «المذهبي» لآداب الغرب التي استأثرت بالساحة الأدبية عبر القرون الأخيرة وجعلت من العالم كله «مجالاً» لظنونها وأوهامها، وأحياناً نزواتها وعبثها الرؤيوي، عرفنا أن المسألة أكبر من أن تكون مجرد معيار تقاس به أو تحال عليه هذه المفردة الإبداعية أو تلك.

بل إن لنا أن نتساءل عن طبيعة الحدود الفاصلة بين المعيارية والمذهبية وبخاصة في حالة الإسلامية التي «تنبثق عن رؤية خاصة في الدراسة الأدبية..» فإذا تأكد لنا أنه فارق في الدرجة وليس في النوع.. أدركنا أن تقسيماً كهذا لاينفي بحال من الأحوال «مذهبية» الأدب الإسلامي.

وعلى أية حال فإننا لو مضينا باتجاه الطبقات الأخرى للمعطى الأدبي فإننا سنلتقي بالنشاط النقدي الذي يتعامل مع النص، فينظر لطرائق التعامل ثم يمارس تنفيذها أو تطبيقها على هذا النص أو ذاك، وعلى هذه المجموعة من الأعمال الإبداعية أو تلك.

ها هنا أيضاً لايجد الباحث كبير صعوبة في وضع يده على حركة نقدية متميزة على مستوى التنظير والتطبيق، تلك هي حركة النقد الإسلامي التي تملك رؤيتها المستقلة، وطرائقها الخاصة، في التأسيس والعمل، والتي تنطوي «المعيارية» فيها ولكنها لاتشكل حدودها القصوى على أية حال وبمجرد نظرة على القائمة البيبليوغرافية التي رتبها الناقد الدكتور عبدالباسط بدر بعنوان «دليل مكتبة الأدب الإسلامي»[1] تتبين المساحة الواسعة للأعمال النقدية، التنظيرية والتطبيقية، التي تحتلها في القائمة، وإن كان الأمر يتطلب ـ إذا أردنا الحق ـ المزيد من الجهد والعطاء على المستويين، من أجل تأصيل هذه الحركة وتثبيت ملامحها الإسلامية المتميزة، وبخاصة على مستوى التقنيات والأسلوبيات.

والآن، فإننا لو تجاوزنا الطبقة أو المحور الخامس الخاص بمنهج الدراسات الأدبية، والذي سنعود إليه بعد قليل، باتجاه الطبقة السادسة المعنية بنظرية الأدب، فإننا سنجد الأدباء الإسلاميين قد أخذوا منذ أكثر من عقد يؤسسون للنظرية ويبنون مفرداتها ومطالبها في ضوء

الخبرات والمعطيات المتأنية عن الأدوار السابقة. وبمقدور المرء أن يرجع إلى البيبليوغرافيا التي أشرنا إليها قبل قليل، لكي يضع يديه على العديد من الإصدارات والبحوث الخاصة بهذه المسألة.

حتى إذا ما عدنا باتجاه الطبقة أو المحور الخامس للمعطى الأدبي، والمتمثل بمنهج متميز في الدراسة الأدبية، سواء كانت هذه الدراسة منصبة على الأدب العربي، قديمه وحديثه، أو على الأدب العالمي في أصقاعه ومراحله كافة. فإننا قد نجد خللاً ما، أو نقصاً ملحوظاً في دائرة الإسلامية التي يبدو أنها لم تبلور لحد الآن منهجها الدراسي الخاص بها، وإن كانت قد وضعت خطواتها على الطريق.

ها هنا يمكن أن يكون استنتاج بعض الدارسين على قدر من الصواب، ويمكن - كذلك - أن يكون تحدياً مناسباً للرد، الأمر الذي قد يضيف إلى الحركة الأدبية الإسلامية إضافة جادة ذات غناء، ويكفيها مؤونة اللجوء إلى هذا المنهج أو ذاك، لتنفيذ دراستها لآداب الأمم والجماعات والشعوب.

ومع ذلك، فإننا يجب أن نلاحظ حشداً من المفردات والتقنيات وصيغ التعامل الإسلامي مع الآداب الأخرى، يمكن في حالة جمعه وإضاءته تبين ملامح أو أوليات منهج متميز، ذي خصائص مستقلة في دراسة الأدب، ولكنه يكاد يضيع عبر تفرقه في الأنشطة الأدبية الإسلامية، بحيث يصعب على المرء أن يقول بصيغة الجزم والقطع ها هو ذا المنهج الإسلامي في الدراسة الأدبية.

إن هذه مسألة مهمة، فإن مجموع معطيات الإسلاميين في الطبقات الخمس الأخرى تشكل - ولاريب - بذور منهج للدراسة[٢] يكتسب من الرؤية الإسلامية خصائصه ومكوناته، وإذا كان لهذا الأدب منظوره المتميز أ- للإبداع ب - للتأثيرات الزمنية جـ - للتأثيرات البيئية، فإن منهجاً متميزاً للدراسة الأدبية سيتمخض بالضرورة عن هذا كله، وقد يحتاج الأمر إلى وقت كاف لبلورة الملامح. إلا أن المسألة التي لاريب فيها هي أن المواد الأولية لتشكيل المنهج قد أخذت تتجمع في أيدي الدارسين، ويجب أن نتذكر بأن التحليل النقدي يمضي - في كثير من الأحيان - لكي يغذي منهج الدراسة.

البنيوية - مثلاً - هي في إحدى معطياتها الأساسية مشروع عمل نقدي لكنها في الوقت نفسه تضع منهجاً للدراسة الأدبية، رغم أن هذا ليس محتوماً بالنسبة لكل المذاهب، فالوجودية - على سبيل المثال - لم تبلور منهجاً للدراسة الأدبية، بل إنها لم تتمخض حتى عن تقنيات متميزة في الإبداع، اللهم إلا في لغة التعبير، فالمهم أن تكون على مستوى المضامين ذات تميز رؤيوي ولن يكون بمقدور «الإسلامية» أو أي مذهب آخر أن تتجاوز الإرث التقني للرواية مثلاً، فتنشئ صيغاً متميزة جديدة، وحتى الاشتراكية الماركسية، على عنف ثورتها في مجال المضامين، وجدت نفسها مرغمة على احترام قواعد النوع الأدبي، ولم يشذ عن هذا سوى المسرح، لأسباب فنية صرفة، ناقشناها في غير هذا المكان[٣].

وفي مقابل هذا كله فإن مناهج الدراسة الأدبية تنشأ في كثير من الأحيان مستقلة عن المذهب، وتقدم برنامج عمل لمتابعة آداب الجماعات والشعوب يمكن أن يوظف لدى المذاهب والتيارات الأدبية التي تجد في المادة المنهجية فرصة مناسبة لمقاربة وإدراك الظواهر الأدبية. بعبارة أخرى، يمكن اعتبار مناهج كهذه أدوات حيادية، قد تكون صالحة لتسخيرها من قبل هذا المذهب، أو التيار الأدبي، أو ذاك، من أجل إضاءة الدراسة الأدبية، ومنهج الدارسين فرصاً أكثر لإتقان مهمتهم والوصول إلى نتائج أكثر سلامة، وهكذا فإن المنهج النفسي - مثلاً - قد يخدم الدارس الإسلامي للأدب دون أن يشكل هذا أي ارتطام أو تناقض مع مفرداته المتميزة، فقط إذا عرف كيف يوظف المقاطع والمفردات المنهجية المتساوقة مع قناعاته وتصوراته.

ويجب أن نلاحظ - كذلك - أن المنهج الإسلامي يتجاوز «معياريته» الصرفة إلى نوع من التحليل الشمولي المنبثق عن تميزه المذهبي في تعامله مع الآداب الأخرى، على مستوى التقنيات والمضامين، فهو - على سبيل المثال - لايصنف الأدب الواقعي الاشتراكي في حظيرة الأدب اللا إسلامي، لكونه لايحمل قيماً إسلامية فحسب، بل لكونه يستمد من تحليل الدوافع والمبررات هو في أساسه خاطىء محدود، كما أن هذا المنهج قد يتقبل ويقوم أدباً

غير إسلامي في انتمائه الديني، أو المكاني، لكنه يلتقي مع الرؤية الإسلامية في شموليتها

[٢]

والآن، هل هذا المنهج يميل إلى المكانية أو الزمانية، هل هو منهج نفسي أو اجتماعي؟ هل هو منهج فني صرف (الأجناس والفنون والمذاهب الأدبية)؟ أم هو منهج علمي؟ أم أنه منهج توفيقي شمولي يتضمن هذه الأبعاد جميعاً، أو بعضها في الأقل؟ وهل ثمة ما يمنعه من الأخذ أو الإفادة من إضاءات المناهج كافة، في جوانبها الجزئية الصرفية، لكي يشكل ملامحه الخاصة؟ وكيف ستنطوي هذه الملامح على خصوصيتها المتميزة إذا كانت تبني معمارها أساساً على الاقتباس من سائر المناهج الأدبية الوضعية، إذا صح التعبير؟ وهل يمكن، تجاوزاً لإشكالية كهذه، أن يتم الأخذ وفق معايير وضوابط إسلامية تنبثق في أساسها عن أدب متميز ذي رؤية ومواصفات مستقلة؟ وفي حالة كهذه سيتاح للمعنيين بتأسيس المنهج فرصة الانتقاء الذي يحمل حساسيته الرؤيوية، وحتى التقنية، إزاء ما يجب أن يأخذ وما يجب أن يترك، بحيث نستطيع حينذاك أن نطمئن إلى أن المنهج الدراسي الإسلامي لن يضيع في غمار المناهج الأخرى وهو يتعامل معها، فيفقد ملامحه وشخصيته؟

ثم ألا يتحتم على هذا المنهج المقترح، والذي لايقل ضرورة عن أي من مطالب النشاط الأدبي في جملته، أن يرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكذلك إلى التراث الأدبي للأجداد، لكي يضع يديه على بعض الأوليات التي تعنيه على تأصيل شخصيته من خلال تجذر المنهج في العقيدة والتراث، وحينذاك لن يكون التعامل مع مناهج الغير مجازفة غير مأمونة العواقب، من خلال الاتكاء على المعطيات الجاهزة، وتلفيق منهج دراسي من أجزائها وتقاريقها؟

هذه، وغيرها، من الأسئلة والمعضلات المعلقة هي بأمسّ الحاجة إلى إجابة مقنعة، تتجاوز الإنشائية إلى قدر من التوثيق الذي يجعلها قديرة على بناء المنهج بما يجعله إسلامياً حقاً.

وليس من مهمة هذه الصفحات أن تقدم، أو تقترح صيغاً لتشكيل المنهج الدراسي، ولعل هذا يتحقق في جهود متواصلة للعديد من المعنيين بمعونة الله وحده، وإنما التأكيد فقط على أن غياب المنهج الدراسي في معمار الأدب الإسلامي يمثل تحدياً مثيراً، قد يدفع الإسلاميين إلى الاستجابة له من أجل ردم هذه الهوة واستكمال البناء.

ولكن ثمة ماقد يخطر على البال ويلح عليه ها هنا وهو أن المنهج الإسلامي قد يكون، بشكل ما منهجاً شمولياً، يتضمن المكاني والزماني، النفسي والاجتماعي، الفني والعلمي.. الى آخره، ليس على سبيل التلفيق بين المناهج، لتجاوز إشكالية غياب المنهج الإسلامي، وليس على سبيل الانبهار بجوانب من تلك المناهج واستعادتها لتشكيل المنهج الإسلامي، كما أنها ليس من قبيل الاجتهاد الشخصي كذلك الذي مارسه سنانلي هايمن في كتابه النقد الأدبي ومدارسه[٤] بصياغته المذهب الشمولي في النقد، وإنما لأن الرؤية الإسلامية هي في أساسها رؤية شمولية، بل إن ما يميز الإسلام نفسه عن سائر المذاهب والأديان المحرفة والوضعية إنما هي شموليته.. قدرته على لمّ سائر الأطراف والقضايا في معادلة وضع الإنسان في العالم.. تجاوزه بتصميم إلهي معجز أيما انكماش أو انحراف أو انحياز لجانب ما على حساب الجوانب الأخرى.. إنما هو التوازن، والوسطية، والتغطية الشاملة للمادي والمعنوي، للفردي والجماعي، للزماني والمكاني، للمنظور والمغيب، ولسائر الثنائيات والتقاريق في نسيج الكون وبنيان العالم وتكوين الإنسان.

ألا يجدر بالمنهج الإسلامي الذي يدرس الأدب، والأدب في بدء التحليل ونهايته تعبير عن الإنسان، وهو بالتالي واحد من أكثر المعطيات البشرية التصاقاً بهموم الإنسان وطبيعة خبراته عبر تعامله مع العالم والأشياء، ألا يجدر به أن يستمد مقوماته من شمولية العقيدة التي ينبثق عنها، لاسيما وأنه يتعامل مع صيغ التعبير عن التجربة البشرية، وبالتالي ينسج حيثياته من مطالب هذه الشمولية فيأخذ بكافة الصيغ التي تضيئ النشاط الدراسي لآداب الأمم والجماعات والشعوب، فلا يكاد يغفل عاملاً منها، ما دام يخدم هذا التوجه الشمولي، ولايرتطم في أساسه ببداهات العقيدة وتوجهاتها؟

فالأصل في الأشياء الإباحة مالم يرد نص بتقييده، كما تقول القاعدة الفقهية.

وعلى هذا فإن المكان والزمان، والنفس والمجتمع، والذات والموضوع، والعلم والفن.. إلى آخره.. يمكن أن ينطوي في المنهج الإسلامي للدراسة الأدبية ما دامت هذه جميعاً مجرد أدوات أو خبرات منهجية للوصول إلى المطلوب وحينذاك، وفي ضوء هذا كله، يمكن الإفادة من المناهج المشار إليها آنفاً، مع التحفظ إزاء المفردات التي تند أو ترتطم بالرؤية الإسلامية، ومع ملاحظة إلحاح العقل الغربي الذي صاغ معظم هذه المناهج، أو وضع ملامحها النهائية، على الرؤية الأحادية التي تبالغ في تقدير قيمة «الحالة» التي تتعامل معها على حساب الحالات الأخرى.

وإذا كانت التقنيات، في الأغلب، مجرد أدوات أو جسور للعبور إلى الهدف، وهو في الموضوع الذي بين أيدينا تفسير الظاهرة الأدبية التي تتمحور عند مضامين معينة في هذه المرحلة التاريخية أو تلك، وفي أدب هذه الأمة أو تلك، فإن المضمون الإبداعي نفسه سيكون بمثابة الحكم الفصل في منهج الدراسة، وها هنا، بالنسبة للمنهج الإسلامي سيكون التعامل مع المضمون متميزاً محدداً واضحاً، من خلال القيم والمعطيات الإسلامية، والإيمانية عموماً، بمعنى آخر، إن منهج الدراسة الإسلامي سيبني تقويماته، ويمارس تحليلاته، ويصل إلى الكثير من تفسيراته، من خلال حضور أو غياب النبض الإيماني في نسيج الأدب.. أيضاً من خلال كثافة القيم الإيمانية، أو تضحلها، أو انعدامها في النص الإبداعي، وهو في تعامله مع الظاهرة على هذا المستوى سيبذل جهده من أجل البحث عن الأسباب، وسيؤثر على القيم الإيمانية على مستوى الشكل والمضمون معاً من أجل منهج التقويم النهائي للأدب الذي يدرسه، ليس على سبيل الفرز الكمي وإنما عن طريق الإيغال في إدراك حجم التأثير الإيماني في النشاط الإبداعي لهذا الأدب أو ذاك، وتبين الدوافع الأساسية التي تجعل هذا الأدب يحمل هذه المواصفات أو تلك مما يميزه عن أدب أمة، أو بيئة، أو عصر آخر.

وعلى سبيل المثال فإن دراسة الأدب اليوناني القائم على التعددية الوثنية وفق هذا المنهج، سيصل إلى نتائج مغايرة، للنتائج التي تمخضت عن المناهج الأخرى، لاسيما إذا تذكرنا حجم البعد الديني في تكوين هذا الأدب، وستنعكس الحالة تماماً لدى التقابل بين المنهجين الإسلامي والمادي «الاجتماعي» وهما يدرسان الأدب الإسلامي القائم على التوحيد في عصر راشدي أو أموي أو عباسي.

إن الرؤية المذهبية وضعت، ولاتزال، بأيدي الدارسين صيغ تقويم وأدوات عمل تمكنهم من سبرغور الظاهرة الأدبية، كل من منطلقه التحيز.. أقلا يكون للرؤية الإسلامية، الخصبة، الغنية، القدرة على منهج الدارسين منظومة من القيم وأدوات العمل تمكنهم من دراسة الأدب بما يمنحهم مقاربة أكثر لخصائصه ومميزاته؟

إن البحث في دور الدين في الظاهرة الأدبية هو بحد ذاته ضرورة دراسية ملحة، أقلا يكون المنهج الإسلامي، المنبثق أساساً عن رؤية دينية، أقدر من سائر المناهج على متابعة هذا الدور وتحديد أبعاده، الأمر الذي يعد بحد ذاته مبرراً مقنعاً لتشكل منهج للدراسة الأدبية، يعيد الأمر إلى نصابه، فيضع البعد الديني في مكانه الحق من النشاط الإبداعي، بعد إذ كادت تطمسه المناهج الأخرى؟

■■ الهوامش:

(١) صدرت في طبعتها التجريبية تحت هذا العنوان قبل عدة سنوات، ثم صدرت في طبعتها النهائية عن دار البشير في عمان سنة ١٩٩٢م.

(٢) انظر على سبيل المثال: (محاولات جديدة في النقد الإسلامي) (مؤسسة الرسالة، بيروت- ١٩٨١م) و(مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي) (مؤسسة الرسالة- ١٩٨٧م) و(متابعات في دائرة الأدب الإسلامي) (قيد النشر) للمؤلف، وقد تضمن الكتاب الأخير، فصل (قراءات في دائرة الأدب الإسلامي) عرضاً نقدياً لعدد من المؤلفات في هذا المجال.

(٣) انظر فصل (نحو مسرح إسلامي معاصر) من كتاب (في النقد الإسلامي المعاصر) للمؤلف (الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة- ١٩٨٣م)

(٤) ترجمة د. إحسان عباس ود. محمد يوسف نجم (دار الثقافة، بيروت ١٩٥٨م) الصفحات ٢٤٥ - ٢٥٥.

شخصيات

آيتماتوف الفيزغـ

كلاهما يسمى في اسمه الأول: جنكيز وكلاهما روائي. اقتصرت جهود كل واحد منهما على الرواية. جنكيز آيتماتوف طبقت شهرته الآفاق ووصل إلى درجة اعتباره الروائي الأول في الاتحاد السوفيتي. والثاني لم يسمع عنه أحد إلا في تركيا وقليل جدا من سمع اسمه في العالم العربي. والثاني لم يقل عن الأول في الإبداع ولا في التعبير ولا في التكنيك الروائي.

الأول جنكيز آيتماتوف أديب(١) مسلم قيرغيزي، ولد عام ١٩٢٨م. كتب رواية جميلة وحاز عليها جائزة لينين عام ١٩٦٣ وبها وصل إلى العالمية إذ ترجمت هذه الرواية إلى اللغات الأوروبية واللغات الشرقية. وبعد جميلة كتب روايته أيها الجواد كول صاري وأخيرا كتب روايته «يمتد اليوم فيصبح قرنا».

بقلم: الدكتور محمد حرب

رئيس مركز بحوث العالم التركي

كثير من الأدباء العرب ظنوا أن جنكيز آيتماتوف شيوعيا مع أنه قال عن نفسه:

إذا كنت قد عرفت الحياة في طفولتي من جانبها الشعري المضيء، فإنها الآن انتصبت أمامي بجانبها الصارم، العاري، الحزين، البطولية. لقد رأيت شعبي في حالة أخرى له في لحظة الخطر الأقصى يتهدد الوطن، لحظة التوتر الأكبر في القوى الروحية والجسدية كنت مضطرا ملزما برؤية هذا. عرفت كل أسرة في القريةو عرفت كل واحد من هذه الأسر، عرفت الحياة من مختلف جوانبها، في مختلف مظاهرها.

لقد كان جنكيز آيتماتوف وطنيا بمعنى قيرغيزيا مخلصا كأي قيرغيزي مخلص ينتمي إلى قيرغيزستان. لكنه خط لنفسه خطا منذ بداية حياته الأدبية وكان هذا الخط صعبا لكنه نجح في الحفاظ عليه: أن يصل بكلماته المخلصة وروايته إلى كسب رضاء السلطات العليا، دون تملق، ودون تنازل، عن.. المباديء التي تعلمها من أمه وأبيه، مباديء التربية المنزلية التي قهرها السوفيت بحكمهم الشديد المخيف، التي لقنت أطفالها، كتمان الإيمان والتظاهر بما تريده الدولة.

وعن وطنيته - والوطنية عند الأتراك تمتزج بالإسلام فليس هناك تركي غير مسلم وقيرغيزستان تركية ينطق أتراكها التركية بلهجتها القيرغيزية - عن وطنيته سجل النقاد السوفييت رأيهم في فن الرواية عند جنكيز آيتماتوف كالآتي: «عاش جنكيز آيتماتوف يفكر في قضية واحدة وهي شعبه القيرغيزي» و«استطاع جنكيز آيتماتوف التعبير عن أعمق ما في روح شعبه و«أبطال روايات جنكيز آيتماتوف اناس يعيشون في زمن محدد، وفي مكان جغرافي معلوم، كل واحد منهم يرتبط بآلاف الخيوط بالماضي، والحاضر بالمستقبل، لشخصه ولشعبه» و«القوة الرئيسية التي تحدد محتوى واتجاه أعماله تبقى دائماً واقعة المعاصر بكل مظاهره».

لقد كانت رواية جنكيز آيتماتوف «جميلة» التي حاز بها على جائزة لينين عام ١٩٦٣ كما ذكرنا من قبل رواية: «عبّرت عن معاني التحرر المبكر من الظلم الماركسي» و«أعظم قصة حب ظهرت في الآداب السوفيتية» و«أجمل قصة حب في كل آداب العالم، استطاع آيتماتوف بها أن يحول نظر الحياة إلى لآليء الشعر».

فهم الكتاب والنقاد «جميلة» على أنها رواية حب قوية الديباجة قوية النسيج الروائي شفافة الأسلوب، لكنه لم يفهم أحد من الوطنيين القيرغيز هذه الرواية إلاّ على أنها رمز قيرغيزيا الجميلة الفائقة الحيوية التي هي في الوقت نفسه ضعيفة بقلة سكانها وقلة سلاحها، ضعيفة في إطار الحكم الاستعماري السوفيتي. ورمز آيتماتوف إلى خاطف جميلة وهو فتى قوي إلى الثورة الشيوعية الفتية - في وقت قيامها - هذه الثورة التي خطفت قيرغيزستان الجميلة خطفا وجرى بها إلى بيت أمه (موسكو) والذي ضم ناسًا (يعني شعوبا) أخرى كثيرة.

جميلة بطلة رواية آيتماتوف، فتاة ريفية فطرية جميلة وقوية تنبض بالحياة وبالشباب والحيوية والأصالة الريفية، كانت ترعى الخيول في جانب من جوانب قريتها - وذات يوم ظهر شاب قوي من قرية كبيرة مجاورة يرعى الخيل ويفخر بقوته ولم تعجب به جميلة ولم تحبه. وقد رغب هذا الشاب في جميلة لكنها صدته بقوة فقام بخطفها وتزوجها قهرًا بعد أن أخذها إلى قريته وهي القرية الأضخم المجاورة لقرية جميلة وضمها إلى بيت أسرته. وكان يضم أفرادًا مختلفين مثل أخيه الصغير وزوجات إخوته. وكانت أم خاطف جميلة هي المهيمنة على هذا البيت تارة بالقوة وتارة برفق يشوبه السيطرة. وقامت الحرب العالمية الثانية، وجُنّد خاطف جميلة في الجيش السوفيتي وسافر إلى

ـــــيزى وضاغجي القرمي..

من.. قـــمم الروائيين الإســـلاميين

الجبهة. وفي هذه الأثناء كانت الأم في البيت الكبير تطلب في حزم من كل أفراد الأسرة الكبيرة - بما فيهم جميلة قيرغيزستان - الطاعة العمياء لها، والانقياد دون مناقشة. وكانت الأم تتمنى من جميلة أن تنسى أنها مخطوفة ومرغمة بالقهر على الزواج من ابنها، وتطلب منها الإخلاص، لكن جميلة لم تعرف إحناء الرأس، وكانت في البيت دائمة الزمجرة، وكانت تحب الغناء رغم الإهانات الموجهة إليها، وكانت تشتاق إلى الغناء ولا تستطيع. وكان العمل في بيت الحماة شاقا، فكان يوكل إليها من الأمور الشاقة فوق طاقة تحملها مما جعلها في مشقة». وعرفت جميلة مدي اهتمام زوجها خاطفها المجند في الجبهة. عرفت مدى اهتمامه بها من الرسائل التي كان يرسلها إلى أمه، فلم يكن يذكرها أي جميلة إلا في آخر سطر في الرسالة وفي كلمتين فقط. وعندما صدر قرار الدولة السوفيتية بقيام السيدات بعمل الجنود والعمال داخل المدن والقرى لأنهم في الجبهة كان على جميلة نقل القمح، فتعرفت في أثناء ذلك بعامل أعرج مريض لكنه يستطيع الإنشاد. كان جنديا في الجيش وجُرح فخرج إلى الحياة المدنية. فأحبته وأحبها. وخرجت به من القرية إلى الأفق الأرحب ليتزوجا.

واضح من جميلة أن البيت هو رمز للاتحاد السوفيتي نفسه والحماة هي رمز الحزب الشيوعي المتحكم في البلاد وزمجرة جميلة في بيت حماتها رمز إلى توارث قيرغيزستان ضد الحكم الشيوعي وحبها للإنشاد هو رمز حبها للحرية والعامل الأعرج المريض رمز للشعب القيرغيزي المسلم الجريح.

وكانت جميلة جنكيز آيتماتوف تعبير مبكر عن إنحلال الاتحاد السوفيتي وسقوطه مع ملاحظة انه نال عليها الجائزة عام ١٩٦٣. وسقوط الاتحاد السوفيتي وتحرر قيرغيزستان منه كان عام ١٩٩١.

أما بداية ظهور التمرد على السلطة الماركسية السوفيتية في أدب جنكيز آيتماتوف فكان في روايته «أبها الجواد كول صاري» التي صور فيها حصانا يمتلكه أحد المسلمين القيرغيز يدعي «تاناباي». أحب الحصان وأحبه الحصان. ثم لما جاءت الثورة الشيوعية لتستولي السلطة على كل شيء أحبه الإنسان وامتلكه، أخذ الشيوعيون من تاناباي حصانه «كول صاري» وعزّ هذا على تاناباي كثيرا.

ومن مظاهر التمرد على السلطة الماركسية في هذه الرواية ما يلي:

إن بلاده قيرغيزستان «الأرض المعذبة الخربة التي أضاع الآخرون سعادتها» وان شعبه القيرغيز» إنهم أنفسهم الذين يزرعون القمح، ومع ذلك يظلون بدون رغيف من الخبز، ومن ذل الشعب القيرغيزي» كان تاناباي هو الذي يربي الخيول لكنه كان مجبرا على أن يحولها فيما بعد إلى آخرين لكي يستغلوها في العمل وفي الركوب. قال المدير: كيف أنت راعي شيوعي وحملانك تنفق؟ فيرد عليه تاناباي ساخرا: - أعاهي - أي الحملان - فعلى الأرجح لا تعرف اني شيوعي!!! يقول مدير المزرعة الكولخوز: - هل تقبلت الإلتزامات الشيوعية؟ - نعم تقبلتها. ما الذي قيل هناك في هذا؟ - لا أتذكر.

ويبدو آيتماتوف في هذه الرواية مهاجما للشيوعية متخفيا، ومهاجما للنظام الشيوعي وموقف مسلمي آسيا الوسطى منه.

أما رواية جنكيز آيتماتوف «يمتد اليوم فيصبح قرنا» فهي تعبير عن «معاني الإسلام في الرواية السوفيتية المعاصرة، وهي تصور أحد العمال في قيرغيزستان وقدمات وتصور الرواية إجراءات دفنة في بلد مسلم نسي الناس فيه كيفية الصلاة ودفن الموتى وتصور برنامج غزو الفضاء الروسي - الأمريكي المشترك فوق أرض المسلمين في آسيا الوسطى في الاتحاد السوفيتي وقرب منطقة إطلاق الصاروخ المشترك من «آنا - بيت» مقبرة المسلمين هناك والموانع التي حدثت للدفن من جراء هذا.

واستخدم الروائي القيرغيزي المسلم جنكيز آيتماتوف في روايته «يمتد اليوم فيصبح قرنا» اسطورة قيرغيزية تتحدث عن الأعداء وكيف أنهم إذا استولوا على بلد فإنهم يبدأون في تغيير روح الإنسان وتحويله إلى آلة لأفكارهم، حتى انه ينسى والديه وتكلمه أمه فيريد أن

كان أيتماتوف وطنياً قيرغيزياً مخلصاً..

ارتبط انتماؤه الوطني.. بالإسلام

يقتلها لأن الأعداء الذين غسلوا مخه قالوا له بضرورة قتلها. ولا شك أن أيتماتوف يقصد بهذا الاتحاد السوفيتي وما يفعله في غسل مخ الشباب المسلم في بلاد المسلمين التي كانت أسيرة وقتها في مقدمة الرواية بقول أيتماتوف:

«الإنسان دون ذكرى الماضي، الإنسان المحروم من الخبرة التاريخية لشعبه يجد نفسه خارج الأفق التاريخي ولديه القدرة على العيش يومه الحاضر وحده فحسب».

و«إن إنكار الماضي وتزييفه، والديكتاتورية المتغطرسة المتعجرفة لابد أن تنحصر في نفسها وتبني حولها سورا قويا مثل سور الصين، لأنه لا يمكن إلاّ خلف هذا السور، التمسك بالخرافة التي تقول إن شعبا واحدا يستطيع التفوق والسيطرة على شعوب أخرى».

ـ مات. صاصلي عليه وأجهزه وأدعو له بالدعاء الحسن.

ـ تصلي؟ أنت تصلي يا «بديغي البوراني»؟

ـ نعم، أنا، وأعرف الصلاة جيدا.

ـ واعجبا! تصلي وعمر السلطة السوفيتية قد بلغ ستين سنة؟

ـ دعك من هذا. يصلي الناس على موتاهم من قبل هذه السلطة.

ـ الملحد لا يذكر اسم الله إن لم يؤلمه رأسه. ولابد أن يعرف المرء الصلاة.

(٢)

أما جنكيز الثاني فهو: جنكيز ضاغجي، وهو من القرم، وشبه جزيرة القرم أرض تركية وأهلها أتراك يتحدثون التركية باللهجة القرمية. وضاغ بمعنى الجبل وجي أداة نسبة وحرفة في اللغة التركية مثلما نقول مكوه جي مثلا ومعنى ضاغجي كلها: الجبلي وشبه جزيرة القرم كانت ومازالت أرضا مسلمة تركية اغتصبها روس الاتحاد السوفيتي يوم ٩ مارس عام ١٩٢٠م ثم أهداها خروشوف إلى أوكرانيا، وهي الآن تابعة لأوكرانيا.

يمكن أن نطلق على جنكيز ضاغجي أنه كاتب «منشق» عن السلطة السوفيتية. ويمكن وصفه بالكاتب الوطني الذي عاش مأساة شعبه. ومأساة شعب القرم هي نفس مأساة شعب فلسطين. بدأت هذه المأساة القرمية عندما اتخذ جوزيف ستالين عام ١٩٤٤ بنفي شعب القرم من شبه جزيرة القرم وإلقائه في بيادي البلدان المجاورة ليقيم الشيوعيون وطنا لليهود السوفييت في القرم، ساعتها قامت عربات السكة الحديد المخصصة لنقل الحيوانات بنقل مسلمي القرم إلى المعسكرات التي خصصت لهم في صحارى آسيا الوسطى، وكانت تابعة للاتحاد السوفيتي. وظلوا مشردين بها. لم يعودوا إليها إلا بعد انحلال الاتحاد السوفيتي. لم تنفيذ فكرة إقامة وطن قومي لليهود في شبه جزيرة القرم لكن الهجرات اليهودية الروسية إلى القرم كانت وجدت طريقها إلى الاستقرار فيه.

ولد جنكيز ضاغجي عام ١٩٢٠ وقت المجاعة في شعبه وطرد القرميين من وطنهم كبر وشاهد بنفسه احتلال الروس وتحويل أصحاب الأراضي إلى «عبيد» في المزارع التعاونية. ولما التحق بالجيش حارب في جبهة أوكرانيا ضد الألمان ثم أدخله الروس مدرسة الضباط في أوديا حيث تخرج فيها برتبة ملازم دبابات عام ١٩٤١ وكان يكره الروس كرها شديدا عبر عنه جيدا في رواياته وأسر في عام تخرجه أسره الألمان، وتخلص من الأسر ولجأ إلى الحلفاء واستقر في انجلترا.

لجنكيز ضاغجي عشر روايات أخطرها رواية «السنوات الرهيبة» التي صدرت عام ١٩٥٦، واشتهرت أيضا رواية «الرجل الذي فقد وطنه» و«هم أيضا كانوا بشرا» و«سنوات الموت والرعب» و«هذه الأرض كانت أرضنا» و«الأطفال المشنوقون على أغصان شجر الزيتون».

تأثر جنكيز ضاغجي بشخصيات أدبية شرقية وغربية: تولستوي وديستويفسكي ونكراسوف وتورجنيف من الروس. وجويس وبروست وشتاينبك من الغرب، غير تأثره بالشخصيات الأدبية التركية.

ولقد وصفه ناقد تركي كبير بقوله: «إن في روايات جنكيز ضاغجي أبعادا عالمية مثل اكتساب صفة الثورة على الظلم، و«بحث الإنسان

«جميلة»، بطلة رواياته .. ريفية، فطرية، جميلة، وقوية

تنبض بالحياة والحيوية والأصالة الريفية

عن نفسه» كما أن الواقع الذي عاشه جنكيز ضاغجي وعبر عنه في روايته: يضفي على أعماله الأدبية قوة، ويدفع القارئ دفعا إلى الإيمان بها».

وقد وصف جنكيز ضاغجي نفسه وكتابته بتعبير هو «الحمد لله على إسلامي أنا التركي القرمي جنكيز ضاغجي. وأقسم بالله أن كل ما كتبته عن حياتي صحيح وأنه حقيقة».

والواقع أنه كتب حياته بشكل روائي في روايته السنوات الرهيبة وخلد فيها ماساة طرد الروس السوفييت لشعبه المسلم القرمي التركي من دياره. وقد ترجمت هذه الرواية إلى اللغة العربية عام ١٩٨٨، ولم تجد لها نصيرا يدفع بترجمتها إلى لغات أخرى غير العربية حتى الآن. مع روعتها كما وصفها ناشرها الأول عام ١٩٥٦ «إذا بي أجد نفسي أمام عمل أدبي رائع كبير وليس في هذا أدنى مبالغة».

وتعكس رواية السنوات الرهيبة أحاسيس القرمي المسلم الذي يريد التخلص من تبعية بلاده للاتحاد السوفيتي وأحاسيس هذا القرمي المسلم في النفور أيضا من السيطرة الغربية الألمانية عليه. يريد أن يعود إلى وطنه ليعيش فيه عزيزا.

السنوات الرهيبة تصور ماساة رجل يفقد وطنه وكل ناسه وأهله. الأرض نفس الأرض لكن لم يعد فوقها من أصحابها القرميين شخص واحد. كان يحلم بعودته إلى بلاده ذات يوم لتحضنه أمه، لكن هذه الأرض تعج الآن ـ وقتها ـ بالأجانب.

وقد وصف كاتب عربي هذه الرواية بقوله: «هذه الرواية عظيمة رغم الألم الذي تصيبك به، ممتعة رغم الوجع الذي تحدثه فيك.

في تعبير جنكيز ضاغجي عن أرض بلاده عذوبة ورقة وشاعرية وإحساس بالفقد وإحساس بالأمل أيضا في العودة إليها مرة أخرى!

لم يعد لي حاجة إلى البكاء أتذكر كلمات أبي: «إنهم يخافوننا يا ولدي إنهم يخافون من وجودنا ومن كياننا. كم كان والدي على حق! إني لا أبكي الآن فإني أعلم أن أعداءنا الروس يخافون منا. إنهم يريدون «ترويسنا» لأنهم يخافون منا».

أما رواية «هذه الأرض كانت أرضنا» وهي رواية طويلة أيضا فهي تعبير عن وطنه السليب وأرضه التي كانت أرضه ومازالت في وجدانه ووجدان الشعب القرمي أرضهم. يتحدث فيها بتعبير شاعري جميل على لسان فلاح قرمي أراد الروس نزعه من أرضه:

«حدثيني يا أرضي» أمعقول أن أتركك وأذهب! ألست أنت أرضي؟! أجدادي ولدوا هنا. نشأوا هنا. عاشوا هنا. وماتوا هنا! كنت يا أرضي بوار ففلحناك. طهرتك من الأعشاب وجعلتك جميلة مثل الجنة».

«لم تصدر مني شكوى ضدك. إذ كيف أشكو؟! وسعادتي تكون بقدر ما أصابني من جهد وإرهاق أثناء تطهيري لك وفلاحتي فيك. كثيرا يا أرضي ما غرست بيدي هاتين أغصان العنب فيك. كنت أرويك يا أرضي. بدموعي بينما كنت أدعو الله أن يمن عليك بالماء».

«حبات أعنابك يا أرضي، عندي، بمثابة حبات اللؤلؤ في الجنة.. أوراقك يا أرضي عندي بمثابة قطع الذهب. لا رغبة لي في هذه الدنيا إلا أنك أنت.. أنت يا أرضي».

وعن الإسلام وعن تركستان في روحه يقول:

«يقول أق صقال: سرّ وأنت تذكر اسم الله. سلّم نفسك لله ولا تخشى الحرب التي نحن فيها الآن. سلم نفسك لله ولا تخف بعد ذلك. فالله يحميك. ولا شك في هذا يا أخي. نظرت إلى هؤلاء الذين يصلّون وهم في الحرب وبين الأدغال. انتهت الصلاة. جلسوا كلهم على الأرض. ساد الجو سكون عميق. وأخيرا أنشدوا جميعا وبأصوات حزينة رقيقة صادرة من قلوبهم المطمئنة نشيدا هو: (ماذا حدث لك يا تركستان الجميلة؟ ذُبلت الورود في غير زمان الذبول. لا أدري لماذا تغني الطيور في حدائقك؟ آه.. في حدائقك!) وجدتُ روحي ـ بهذا النشيد ـ تودّ الانفصال عن جسمي لتطير بعيدا.. بعيدا.. إلى حدائق تركستان: تلك الحدائق الذابلة، الجافة، العطشى.

□□□

تأثر جنكيز ضاغجي بشخصيات أدبية، شرقية وغربية

وعبر عن أرضه في عذوبة ورقة وأمل في العودة إليها

المواجهة

- ١ -

أغمدتُ خنْجَرَ الكلامْ
في جَبْهةِ الخُرافةْ
ولم يَسلْ دمُ الحقيقةْ
ألقيتُ قَفّازي، طويتُ خنجري
.. ودُبْتُ في الزّحامْ

- ٢ -

مازال في قراري
الفارسُ القديمْ
يَلعقُ حدَّ السيف والنجومْ
يُبحرُ في متيهةِ السّديمْ
يحلمُ بالشواطئِ البعيدةْ
بالجزُرِ الموعودةْ
السندبادُ لم يَزَلْ يُصارعُ الغيلانْ
ولم تَزَلْ تَنوشُهُ الأفاعي
النّارُ في التّلال..والشُّطآنْ
يفغو على ذراعِها القَمَرْ
والزّورقُ المجهولُ في العُبابِ يَنتظره
وصرخةُ الحنينِ في شراعي
تَهْتفُ بي..ولَم أزلْ
أُواجهُ الغيلانَ والأفاعي
والموتَ..والميلادَ..واليَبابَ..والمطَرْ
ولَهْفَةُ الحياةِ في عروقي
كلَيْلةٍ باردةٍ عمياء
تحلمُ بالشروقِ..

- ٣ -

هُبّي عليَّ دَفْقةَ المطَرْ
جَدائلُ الأحزانِ أوْرقَتْ على جبيني
هَزَزْتُ ألْفَ نخلَة وما تَساقطَ الثّمَرْ!
هُبّي رياحَ الموتِ في عيوني
هُزّي نخيلَ الأرضِ..أطْعميني..
يقتلني الخواءُ والضَجَرْ

- ٤ -

دمي على الطريقِ
وخنْجَري خَشَبْ..
لوّحتُ وَجْهَ الشمسِ في شروقي
هل يَنفعُ الغضَبْ؟
الصمتُ عندما يموتُ جوهرُ الكلامْ
أعمقُ من قرارةِ الحقيقةْ

- ٥ -

سأغمدُ الكلامَ في الصدورْ
وأفقأُ العيونَ بالغضَبْ
أهتفُ باسمِ الشمسِ والطفولَة
أجابهُ الخُرافةَ الهزيلةْ
وأغمسُ القصائدَ البيضاءَ في اللّهَبْ
أحرقُ في حروفها أجنحةَ الأسطورَةْ
وأحرقُ الدّبدانْ
ليولدَ الإنسان..

■■■

راضي صدوق

قراءة في كتاب

الصحابي الشاعر عبدالله بن الزبعرى، شاعر مكة وابن سيدها حياته وشعره

تأليف: الأستاذ محمد علي كاتبي

دار القلم دمشق ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م

دراسة بقلم:
د. عبدالباسط بدر

أصدرت دار القلم بدمشق كتاباً عن الصاحبي الجليل الشاعر:

(عبدالله بن الزبعري) المكي القرشي السهمي، بقلم الباحث الأستاذ محمد علي كاتبي. افتتح الباحث الكتاب بمقدمة تحدث فيها عن دراسته لحياة هذا الشاعر، وما عاناه خلال جمع المادة لندرة المراجع والمصار التي كتبت عنه.

كما تحدث عن سبب اختيار تلك الشخصية وعكوفه عن دراستها.

■■■

جاءت بعد المقدمة الدراسة في قسمين كبيرين: القسم الأول لحياة الشاعر، والثاني لدراسة شعره.

تحدث الباحث في القسم الأول عن مكة: بيئة الشاعر، من الناحية التاريخية والجغرافية والاجتماعية والدينية، ثم تحدث عن قبيلة الشاعر: (بني سلم) ومكانتهم في الجاهلية والإسلام، ومنزلتهم لدى قبيلتهم (قريش) وعلاقتهم ببني عمومتهم.

ثم تحدث عن شخصية الشاعر (عبدالله بن الزبعري) فذكر أن الزّبعري معناه: الضخم، الغليظ الكثير شعر الوجه... إلخ، وحدد تاريخ ميلاده بعشر سنين قبل عام الفيل، ووفاته بحدود سنة ١٥ هجرية متابعاً الزركلي في ذلك، واستخلص في الفصل الثاني بعض صفات الشاعر الخَلقية والخُلقية من خلال شعره، فابن الزبعري رغم نحافته ودقة عظمه قوي بطل يردي الشجعان ويفلّ عزائمهم، حيث يقول:

إني على ما فيَّ من تخدد
ودقة في عظم ساقي ويدي
أروي على ذي الكعن الضفندد

واستخلص أنه كان أسمر اللون يجيد الكتابة والقراءة، على ندرة من كان يُعنى بذلك، (فهو ابن مكة ذات البيئة التجارية المترفة التي يعيش شبابها اللهو والطيش آنذاك، فضلاً عن كثير من المزايا والخلايا...).

ثم تحدث عن حياة الشاعر في الجاهلية والإسلام.. فابن الزبعري قبل الإسلام إنسان قبليّ يعيش حياة القبيلة والعنجهية، شارك في حرب الفجار، وكرس معظم شعره لمدح قبيلته والفخر بها، وعندما جاء الإسلام استقبله الشاعر باستغراب وجفاء، واعتبره هادماً لتراث

آبائه وأجداده..

لنتـــرك أصنامـــاً بمكة عكفـــاً
مـــواريث مـــوروث كـــريم لوارث

وما لبث أن استفحلت عداوته للإسلام وأهله فحاربهما عشرين عاماً بسنانه ولسانه.. ونازل شعراء الدعوة الإسلامية عقب كل مواجهة بين والمشركين حتي إذا كان فتح مكة هرب إلى نجران، فهجاه حسان بن ثابت وعيره بفراره:

لا تعـــدمن رجـــلاً أحلّك بغـــضـــه
نجـــران من عـــيش أحـــذ لئـــيم

ثم شرح الله صدر ابن الزبعري للإسلام فعاد إلى رسول الله ﷺ، ووضع يده في يده، مبايعاً مسلماً، ففرح الرسول ﷺ بإسلامه وكساه حلة، ثم راح ابن الزبعري يسكب بين يدي رسول الله أحر وأروع القصائد الاعتذارية عما سلف منه من عداء وعناد وصلف، وحسن إسلامه، وشهد ما بعد الفتح من مشاهد، ومازال جندياً مخلصاً للإسلام والمسلمين حتى لقي ربه رضي الله عنه.

وفي القسم الثاني من الكتاب تحدث الأستاذ الباحث عن شعر ابن الزبعري في أربعة فصول اشتمل كل فصل على مبحثين، الأول تحدث فيه عن مكة والشعر المكي وقيمته الفنية، ومستواه وسبب قلته، ثم تحدث عن شعر ابن الزبعري خاصة وضياعه، والجهود التي بُذلت لجمعه، ذلك أن القدامى لم يعنوا بجمع ديوانه، وفي العصر الحديث قامت محاولات جديدة كان معظمها قاصرا، حتي كللتها جهود الدكتور (يحيى الجبوري) فكانت أسدّها وأتمّها، وقد أضاف الباحث إليها بعض الأبيات التي وجدها في بحثه الطويل في المراجع والمصادر.

قسم الباحث موضوعات شعر ابن الزبعري إلى قسمين كبيرين: (النقائض) التي شجرت بين ابن الزبعري وأقرانه من شعراء الدعوة الإسلامية، وعلى رأسهم حسان بن ثابت وأبيّ بن كعب وعبدالله بن رواحة، وقد استغرق هذا المبحث مساحة كبيرة من البحث.

و(الاعتذاريات): وهي القصائد التي اعتذر فيها إلى النبي ﷺ عما بدر منه تجاه الدعوة من كيد وصد وحرب وعدوان، وشعر الإعتذار هنا ـ كما يقول الأستاذ الكاتبي ـ حوى أحر نفحات الأسى والأسف والندامة يسكبها الشاعر بين يدي رسول الله ﷺ، ويسكب معها عبارات التوبة والإيمان الصادق والعزم على الجهاد ليمحو بقادم الحسنات ما سلف من السيئات، يقول:

يـا رســـول المليك إن لســـاني
راتـق مـا فـتـقـت إذ أنا بـور
إذ أبـاري الشـــيطان في سنن الغيّ
ومـن مـــال مـــيله مـــذبـور
آمـن الـلـحـم والـعـظـام لـربـي
ثم قلبي الشـهـيـد أنت النذير
إنـني عنك زاجـــر ثم حـــيّـــاً
من لـؤي وكلهـم مـغـــرور
أذهب الله ضلـة الجـــهـل عنـا
وأتـانا الـرخـــاء والمـيـســـور

ويستنتج الباحث من أقوال مترجميه القدماء أن اعتذارياته كثيرة، كقول الإمام القرطبي رحمه الله: (كان شاعراً مجيداً، وله في مدح النبي ﷺ أشعار كثيرة ينسخ بها ما قد مضى من كفره)، ويتساءل بحرقة وأسى عن مصير الاعتذاريات التي لم تصلنا. ثم دمج الباحث بقية الأغراض الشعرية التي وجدها في شعر ابن الزبعري تحت عنوان (موضوعات شتى) كالمديح والهجاء والرثاء والفخر والحكمة والوصف.... إلخ.

بعدها تحدث عن شعر ابن الزبعري من حيث الشكل والمضمون، فتحدث من حيث المضمون عن معاني الشاعر الحضرية والبدوية، ثم تحدث عن بناء القصيدة فتكلم عن اللغة والأسلوب ملاحظاً اختلاف الأساليب لديه وتراوحها بين الإنشائية والخبرية بأنوعهما. وتحدث عن الخيال، فخلص إلى القول: بأن السرد الوصفي أقرب منه إلى التصوير الفني، وانتهى إلى أقوال الأئمة والعلماء في الشاعر وشعره.

ثم أثبت في نهاية الكتاب ما استطاع الظفر به من بقايا شعر عبدالله ابن الزبعري، الذي ندّ عن جامعة الدكتور الجبوري، ثم وصل إلى الخاتمة فأجمل فيها ما استنبطه من خلال البحث.

وبعد: فقد بذل الأستاذ: محمد علي كاتبي ـ كما يبدو في دراسته هذه ـ فوق الوسع حتي ظهرت هذه الصورة، لتأخذ مكانها بين الدراسات الأدبية الأصلية الجادة المفيدة.

وقد تجلت شخصية الباحث واضحة من خلال مناقشة الروايات مناقشة علمية، وقبول بعضها ورد بعضها الآخر، وكشفت عن ثقافة تراثية واسعة وجهود علمية أضافت إلى مكتبة الأدب الإسلامي عملا قيما جديرا بالثناء.

■■■

أصْداء منْ سيرة الضَّ

شـهِدْتُهُ في الظلالِ يَحْتَجِبُ
وللغُيـوم الثـقـالِ يَنْتَسِبُ
تضيء وجْـه الدروب..طلعـتُه
وعَنْ مرايا الضياء يغـتربُ!
في كل حـقل ثمارُ راحـتـه
وحقلُه المُسْتطاب يُنْتَهبُ!
تغدو إليه الطيور مسغبةً
كـيف غداً منْ يديه تنسربُ؟!
وهل تروح الخـمـاصُ طاوية
وغرسُـه للحـصاد مُرْتَقبُ؟!
من كل فجٍّ..سناهُ تقـصـده
قـوافلٌ في مـداهُ تنسكبُ
يمدّ راح النوال في ثقـة
وفي حماه العـفاةُ تحْتربُ!!
أبْصـرتُ في خطوه سكينتـه
وكل نجم إليـه ينجـذبُ
وكـان.. ماكـان.. في توهجـه
ومن مدار الشموس يقـتربُ

لكنمـا في الظلال دورتـه
وفي رؤاه العطاءُ.. والغلبُ
أحـدّق الآن في منابعـه
وليس إلا الجـفافُ.. والعطبُ!
وأرحـل الآن في سنابلـه
وليس إلا الهـجـيرُ والسَّغبُ!
وأسـبح الآن في دفـاتره
... وليس إلا السطور تنتحب!
وأبزغ اليـوم من مشارقـه
وليس إلا الرعـود.. والسحبُ

■■■

أيرحل العطْرُ عن حدائقـه
وفي الرحيل الهوانُ..والوصبُ؟!!
أيهْجُر الماءُ البحْر في زمن
كل البشارات فيه تكتئبُ؟!!

شعر: د. صابر عبدالدايم
مكة المكرمة ـ جامعة أم القرى

ـــوء والظِّلّ*

وهل تجف الحـــروفُ في زمنٍ
تجف فيه الرؤى.. وتُسْتَلَبُ؟!!
هل انطفاءُ النهار تشعلهُ
شَمْسٌ..ضياها كأنَّه الذهبُ؟
وهل تعود الخيولُ..صاهلةً
فتنجلي النائباتُ..والكربُ؟
وهلْ يعيد الزمان قصّتهُ
وتكشف الآن وجْهَها الحجبُ؟!!
وهل تعيدُ الحروفُ فارسها
فتصطفيه الصدور والكتُبُ؟
وهلْ.. وهلْ قصّةٌ مهلهلةٌ..
فهل تعود البروق والشهبُ؟!!

■■■

شهدتُهُ في الظلال يحتجبُ
وللغيوم الثقال ينتسبُ!!
وكان.. ماكان.. في توهجه..
.. متوّجٌ بالحَيا.. ومُنْتقِبُ
آثمارُه: طلْعها يتوّجنا
والتاج فيه الفخار والحَسبُ
وفي حماه المظلّ عاشقةً
ترْحل عنا الظنونُ والرّيَبُ
من أفق المكْرُمات مَطْلَعُه
لغيْر هام الإباء.. لا يثبُ
وقلْبُه في اليقين رحلتُه...
بغير ضوء الرّجاء.. لايَجِبُ
وفي قدار العبير .. سيرتُه
سابحةٌ .. والحُروفُ تلتهبُ
أبْصَرْتُ في خطْوه سكينتَهُ..
وكل نَجْمٍ إليه .. يَنْجذبُ
تضيئ وجْه الدروب طلْعتُه
وعَنْ مرايا الضّياء .. يَغْتَرِبُ

* إلى العالم الجليل المحدث الحافظ الأستاذ الدكتور عبد العال أحمد عبد العال

قصة قصيرة

درس.. في التاريخ

بقلم:
أحمد المزاري

■■ هامش أول

• لم يكن نابليون يعلم ـ حين قاد الحملة الفرنسية على مصر وبعض ربوع الوطن العربي ـ أن بياناً مفصلاً عن أقواله وأفعاله.. حركاته وسكناته.. سوف يُرْفَعُ إليّ ـ بعد موته بنحو مئتي عام ـ كي أطلع عليه.. ثم أقرّر أن ذلك الفتى كان طافية.. سيّء التربية.. ولم تكن أمي تعلم ـ حين أهملت رتْقَ ما أصاب جوربي من قدّ ـ أن امرأةً أخرى.. أشدّ ضراوةً من نابليون.. قد تطّلعُ على تقصيرها، وتعمد ـ ربما ـ إلى توسيع دائرته..

•••

.. أخفى كلٌّ منّا يديه خلف ظهره.. كنا نحميهما ـ بذلك ـ من شبح العصا الذي بدا يلاعب مخيلته.. يتراقص بين ثنايا.. حنايا ذلك الجزء من ذاكرة الألم.

.. بعد دقيقة حداد على السعادة التي ماتت في أوج شبابها.. أمرتنا بالنزول من فوق المقاعد.. أن نتبعها أطفالا صاغرين.. كان وجهها الجامد.. عيناها الجاحظتان.. أنفها المعقوف.. بقايا شفتيها اللتين أكلتهما القسوة.. ذقنها المربع.. شرٌّ تأكيد للتطور الذي حدث في دنيا الرعب.

.. لامناص لكل منا.. من الاستعداد ـ نفسياً وبدنياً ـ لتلقي رجبة دسمة.. مؤلمة.. ليس هذا بالجديد علينا.. كل سقف.. أرضية.. جدار.. يختزن ـ خلف قشرته ـ بعض رجع الصدى لصراخنا.. وأنيننا.. صرنا أكثر نضجاً في مواجهة الخطوب.. لم يعد عجيباً أن نسائل أنفسنا ـ ونحن نتبع جلادتنا ـ ترى.. كم سيطال كل منا؟.. هل أوزع نصيبي على يديّ بالتساوي، أم أكتفي بيد واحدة؟.. الدرس التالي.. إملاء.. ولا مناص لليد التي تتذوق هذه العصا.. من البطالة بضعة أيام.. الأوفق أن ادخر يدي اليمنى.

بلغنا ـ أخيراً ـ قاعة الفرقة السادسة.. أرجلنا لاتكاد تحملنا.. نهض الجميع تحيةً لها.. يختلسون النظر إلينا.. كانوا أطول منا قليلاً.. بينهم من يباشرني غلاظة

حسدته على مكانته الدراسية. وتدبت حظي.

.. أشارت بيدها قائلة: جلوس.. ثم مضت إلى المنضدة.. آه.. العصا.. ترقد هناك.. أخذ كل منا ينفخ في يديه.. ارتسمت ابتسامة خفيفة على وجوه التلاميذ.. هناك أيضاً توأمي الضئيل.. يخفي ابتسامة خلف يدين معروقتين.. أصابع مخلبية.. وينظر تجاهي.. آه.. قلتها وأنا أعض على أناملي.. آه لو تبادلنا المواقع.. ولكن.. ماذا نفعل لحظوظ الدنيا؟.. ولكن.. عجباً!.. إن يدها لم تقترب - حتى الآن - من العصا.. لم تمسها.. من ذا الذي يصدق أن شيئاً ما يثنيها عن عقابنا؟.. لعلها ستستخدم كفيها.. لا خيار لنا.. لا مفر من التهيؤ - نفسياً وبدنياً - لهذا التحول المفاجيء.. حسناً.. إن هذا يوفر علي كلتا يدَيَّ.. يضيف إلى وجهي بعض الألوان المحببة.. وغير المحببة.. لابأس.. نحن الآن على أتم استعداد..

- إجلسوا..

- .. ماذا؟..!!

- ماذا أصابكم؟.. قلت لكم اجلسوا..

.. نظر كل منا إلى صاحبيه.. أسمعت ماقالت؟.. وأنت أيضاً؟ لابأس بأُذني إذن.. ولكن.. ماذا بعد؟.. لاشيء يثنيها عن العقاب.. يبدو أن هناك طريقة جديدة.. لعلها ستأمرنا بخلع أحذيتنا.. ولكن.. مالنا عن جوربي المقطوع؟.. كم من مرة طلبت من أمي أن ترتقه.. ولكن.. كان هناك - دائماً - مايشغلها..

.. مازالت ملامحها هادئة حتى هذه اللحظة.. طيف ضائنة كاذبة.. يحلق بين جوانحنا.. نهضت أخيراً.. مضت إلى حيث السبورة.. ثم «الحملة الفرنسية على مصر»!! ماذا؟.. مرة أخرى؟.. لم يمض على دراستنا لها سوى بضعة أيام.. كيف تأخر تلاميذ الفرقة السادسة عنا في دراستها؟.. أم تراها حملة أخرى؟..

.. إنني أعلم - على الأقل - أن حملتنا كانت بقيادة نابليون كليبر.. ثم مينو.. عبدالله مينو.. لاسبيل إلى التيقن سوى الإصغاء.. حسناً.. هاهو نابليون يهاجم الإسكندرية.. يزحف إلى القاهرة.. يهدم «محمد كريم» حاكم الإسكندرية.. ينصب المدافع فوق جبل المقطم.. يُصلّي حيَّ الأزهر ناراً.. يسافر إلى فرنسا.. تاركاً القيادة العامة لكليبر.. فأين «سليمان الحلبي»؟.. آه.. ها هو ذا.. اقترب.. اقترب أكثر اطعن.. اطعن.. سلمت يمينك يابطل.. هكذا تكون الشجاعة.

- قف أنت..

.. انتصبت ساقاي قبل أن آذن لهما..

- من أين جاء «سليمان الحلبي»؟

- جاء من عند الله..

.. ذهلت.. ثم ابتسمت.. ضجت القاعة بالضحك.. أشارت بيدها تجمدت بقايا البشر على الوجوه.. ثم انسحبت.. حدجتني بنظرة مخيفة..!!

- إما أنك غبي.. أو ماكر..

.. إضطربت قليلاً.. اختلست إلى العصا نظرة تخوف.. ثم

- إن لم يكن هناك عقاب.. فأنا ماكر..

.. عاودها الابتسام.. سرت العدوى - بشيء من الحذر - بين الجميع فيما عدا توأمي الضئيل، الذي رمقني بحسد.. بعد أن تبين له براعتي في الإجابة.. قدرتي على المحاورة.. والمناورة.. كيف بمستواي بعد عام من الآن؟..

وأخيراً.. انتهى الدرس الصعب.. حذرتنا من اللعب فوق المقاعد.. ثانية.. وعدنا - حانثين - بعد تكرار ذلك.. غادرنا القاعة غير مصدقين بالنجاة..

.. علمنا - فيما بعد - أن التحول الذي طرأ عليها، كان ناشئاً عن حلم وردي.. يراود لياليها.. يحيي لديها بعض الأمل في التخلص من كابوس العنوس، الذي يلازمها منذ وقت طويل.. دعونا - مخلصين - أن يطول الحلم.. بقدر ما تبقى لنا - تحت سلطانها وسطوتها - من زمن، تنعم فيه وجوهنا.. أيدينا.. جوارينا.. ببعض الأمن.

●●●

■■ هامش أخير

.. لم يعد يحتمل.. تنبه كبير.. ياجل جوفه - منذ مايقرب من مئتي عام - ويدمره.. إنهار أخيراً.. تداعى.. سقط على وجهه.. لا.. بل رجهه فقط هو الذي سقط.. انفصل عن جسده.. انقطع تكفيراً عن جرمه تجاه صرعى المدافع.. مدافع الطاغية التي نصبت - يوماً ما - فوق هضبته.

.. قال العلماء شيئاً ما عن طبيعة الصخور.. التأثر بالحرارة والرطوبة.. ليتهم يعلمون..»

الصورة والتصوّر في شعر قاسم الوزير

بدأ الأستاذ قاسم بن علي الوزير يكتب الشعر منذ حوالي ثلاثين عاما. ورغم جودة شعره إلا أنه لم يحفل إلى الآن بجمع شعره المتناثر في الصحف والمجلات، وفي ملفات الأصدقاء ونشره في ديوان. وربما يعود هذا إلى تواضعه، وربما يعود إلى إهماله وإنشغاله بأمور أخرى، يظن أنها أهم من الشعر، وربما تكون له أسباب أخرى لا نعرفها. فالذي يهمنا هنا هو شعر الشاعر، ولذلك نأمل أن تكون هذه الدراسة مدخلاً لدراسة جانب من جوانب الشعر اليمني الإسلامي المعاصر. فالشاعر قاسم الوزير سليل أسرة عميقة الجذور في تاريخ اليمن وطنية وعلما وأدبا. وقد غادر وطنه بالجبر والاختيار معاً، وأصبح واحدا من الطيور اليمنية التي تعيش على الهجرة المستمرة، والطيران في أكثر من سماء، لهذا نجد في شعره خصوبة التجربة وصدق العاطفة. وإن كانت تجربته الشعرية تتفرد بما يميزها عن غيرها، إلا أنها تشترك مع تجربة شعراء اليمن الذين رفعوا أجنحتهم عن الوطن في أزمان متعددة، وحلقوا في سماوات الدنيا، لكنهم ما كفوا أبداً عن الشوق لأوطانهم والحنين إليهم.

■■ الرؤية والصورة الشعرية:

وعلى هذا فالروح الغالبة على مجموعة القصائد التي بين يدي الآن هي روح الغربة في المكان والإغتراب في الزمان. فالشاعر كعضو حساس في جسد أمة تتداعى منذ قرون يعبر عن ألم عام يعيشه كل فرد فيها، والشاعر إذا ما صدق وأخلص في زمان الكذب والغدر يصبح ضمير الأمة صوتها المعبر عنها آمالاً وآلاماً. ونحسب شاعرنا قاسم الوزير من الشعراء الذين يجاهدون للتعبير عن أمتهم إسلاميا. ولذلك فنحن لا نرى في شعره الكثير من الصور الحسية. ولكن الأكثر منها هي «الصور الروحية»،

ـ إذا صح التعبير ـ والروحانية في الصورة الشعرية كما نفهمها هي أن ينجح الشاعر في مس أوتار القلب وإن يمسها إلا إذا صدق مع نفسه، إن لم يكن بشخصه فبروحه. وما أكثر ما تترك المعايشة بالروح من أثر.

وإذا لم نجد كل ما نطمح إليه من مزايا التصور الإسلامي في شعره فإننا نلتقي بواحدة من أهم هذه الميزات.. نجد الكثير من «لحظات الصدق» التي توحي بالمعاناة التي تمس الروح وإن لم تترك على الجسد جروحا وفي نظري أنه من الصعب تقسيم الشعر الجيد إلى شعر سياسي وعاطفي وغيرها من هذه التقسيمات التي يكررها النقاد. إذا كانت القصيدة «لحظة صدق» فإنها تولد بلا عنوان، لأن تسمية المولود عادة تتم بعد ولادته وبعد التعرف على جنسه فمن الممكن أن نجد في قصيدة سياسية أوجها أخرى، وهذا عادة ما نجده في أجود القصائد، بصورة لا تخل بالوحدة الموضوعية للعمل الفني. ولعل أفضل الشعر هو ذلك الذي يتعرف فيه الإنسان على ملامحه الخاصة به، إضافة إلى تعبيره عن روح العصر ومقدرته على البقاء لأكثر من عصر.

■■ بين التقليد والإبداع:

وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم شعر قاسم الوزير إلى ثلاثة أقسام:

قصائد تقليدية لا تجديد فيها في الشكل ولا في المضمون مثل قصيدته الميمية «صاحب الشفاعة» التي يقتفي فيها أثر من سبقوه من أصحاب المدائح النبوية، دون أن يحاول تمييزها بشيء مما يُميز عصرها. على أن هذا الاتجاه التقليدي قليل في شعره، ومن ثم فإننا سنتجاوزه لما هو أهم منه، ونكتفي بهذه الإشارة إليه.

والنوع الثاني من شعر الشاعر هو القصائد التي تتوسل باللغة السياسية المباشرة، لكنها تُبدع في خلق المعاني الجديدة، وإن سارت على درب قصائد سبقتها مثل قصيدة «صوت في المأتمة» التي ينقلنا مطلعها إلى أجواء عمر أبوريشة من حيث روح السخرية الساخطة التي تجدها في قصيدته المشهورة التي مطلعها:

«أهـــــــفي هل لك بين الأمم
منبـــــر للســـــيف أو للقلم؟»

وقصيدة قاسم الوزير الزاعقة تنطلق بهذه القوة في التدفق والاحتشاد، حين تتحدث عن آلام العرب والمسلمين في قافية صارخة كالرعد، حارقة كاللهب:

«أمـــــة عـــــانت من الموت طويلا
فادفنوها لم تعد تجدي فتيـــلا
أمـــعنت من زمن في مـــوتهـــا
عبثاً من ميِّت ترجو مقـــيلا!
لا تقـــولوا عـــرب قـــد ذهبت
نخـــوة كـــانت هي الأصل النبيـــلا!
ذهبت غـــيـــر بقـــايا لم تزل
في رُبى بيـــروت تابى أن تزولا»

فنحن نجد القصيدة تزدحم بالحركة، وبالأصوات المدوية، وبزخم كبير من المشاعر، فكلمة «قتيلا» توحي بقرب الانفجار، ثم نجد الانكسار في ضياع «الأصل النبيلا» وفي رؤية «الحق قتيلا». وعندما نبحث عن الأسباب نجدها في نهايات بعض الأبيات مثل «قالاً وقيلا» وهي صورة لحياتنا اليومية ثم نجدها في الروح الانهزامية عندما نجد بيتاً آخر ينتهي بقوله «نصراً مستحيلا»، ونجد الجواب في بيت آخر ينتهي بـ«الفعل قليلاً». وهكذا إذا أخذنا آخر كلمتين في كل بيت فإننا نجدها تشكل لنا مقالا سياسيا تحليليا لقصة أمتنا.

بقلم:
د. محمد أبوبكر حميد

ثم يعرج قاسم الوزير على فلسطين، ويقف عندها بمرارة يلخص الواقع في بيت واحد، بيت يزن قصيدة بحالها، يقول فيه لفلسطين:

«فاطلبي ما شئت إلا نجدةً
وسلي ـ غير الفدى ـ قالا وقيلا»

وقد أثبتت الأيام أن نجدة من خارج الأرض المحتلة مستحيلة، وأن بركان الحجارة الذي تفجر لعدة أعوام في الداخل هو أحد سُبل التحرير.

وقد يتخذ الشاعر من مرثية في مناسبة سقوط شهيد وسيلة لإشهار سيفه وإعلان غضبه في قصيدة «.. وغاب فارس عن الميدان». ويبدو فيها كالزبيري يعري البطولات العربية المزيفة، ويكشف الستار عن الأصنام الخشبية التي نخرها السوس والزيف ويستثير الهمم، ثم يغضب ـ ما نحسبها إلا لله ـ غضبة تذكرنا بروح شاعر الإسلام أحمد محرم، غضبة تهتز لها جنبات القصيدة في أذن السامع وقلبه وهو يقول:

«آذلاءُ و«الكتـاب بأيـدينا ويُعلي رؤسـنا الإيمان»
«أجياع ونحنُ سخـرت الأرض لنا والبحور والأكوان»
«أو جهل و«العلم» بعض عطايانا وقـبينا تنزّل القرآن»
«أو ظلم والعدل شرع من الله فكيف الجحود والنكران»

ثم يصل إلى الحقيقة المُرة التي يتجرعها كل مسلم وهو منكسر القلب واليد، لأنه يحسب أن لا حول له ولا قوة في شيء إن لم يكن هو قـد صنعـه فـقـد سكت عنه:

«نحن كنا نعم! ولكننا اليوم على الأرض سُبّةٌ وهوان»
«نحن سِلْم مع العـدو ذليل ومع الله ثمّ حرب عَوان»

وفي قصيـدة «بلا سيف» أو «شكوى الذرى الشُمّ» نجد الشـاعر يحـاول أن يضع أصـابعه على مـواطن الداء في جسد أمتـه. الشاعر لا يقول ما تعود أن يسـمعه أو يقرأه، لكنه بإيجاز بليغ يقف وقفة صادقة مع النفس، وفي بيتين حكيمين يشخّصُ لنا المرض وأسبابه:

«هُنّا على النـاس.. إذ هانت مـرابعنا»
ومن يهن يـلق ذل العـيش والعطبـا
«إنا لنُلقى علـى الدنيـا مـآسـينا
ونحن، في كل يوم، نصـنع السببـا!»

وفي صراحة ـ يندى لها القلب الغيور على أمته ـ يعدد الشـاعر هذه الاسباب: بأن كل شيء قـد بيع.. الدمـاء.. المروءات.. النفوس وكل شيء حتى:

«بعـنا عـرائن «لبنان» وإخـوته
شم الأنوف! وبعنا السهل ملتهبـا!»
«بعنا الخـيول علـى الميدان مسرجـةً
بعنا السـيوف وبـعنا الشعـر والأدبا»

وتصل عملية التعرية التي يقوم بها الشاعر للضعف في النفس العـربية، وهو لم يخص القيـادات العربيـة وحدها، ولم يقل العرب ولم يستخدم ضمير الغائب، ولو فعل ذلك لجعل من نفسـه شاهداً ومتفرجاً، ولكنه أشـرك نفسه في المسئولية وقـال نحن «بعنا» بهذا جعل تعبيـره أكثر تأثيراً وواقعـا في النفس لأنه قد أشرك القـارىء واشترك مـعه، لأن المسؤولية جسيمة والتـهمة عظيمة.. ولـو برأ الشاعر نفسه منها لما خلا من اتهام:

«ولو قـدرنا لبـعنا كل عـابرة
من النسـيم تضم العطـر منتحـبا
لـم يبـق شيء بـايديـنا لمدّخـر
حـتى الكرامـة بعـناها لمن طلبـا
ثم انثنينـا بلا سـيـف ولا قلـم
نبـيـع انفـسـنا التـزوير والكذبا

هذه لحظة من لحظات الصـدق التي يتفرد بهـا جيل من شعرائنا المعاصرين، الذين اتجـهوا في شعرهم السياسي، إلى المواجهـة بالحقيـقة والصـدمة بالصراحـة. وكان هذا الشعر السياسي المبـاشر «الصرخة» في وجوه من حطت على رؤوسهم الطيـر، و«الكيّ» في جسد ما نفع فـيه طب ولا دواء، وجـاء هذا النوع من الشعـر منطلقـا من الإيمان بأن «الساكت عن الحق شيطان أخرس».

■■ التعبيرية الإسلامية:

وفي قصيدة «أو ليس غير الحزن» يرثي أحد المجاهدين، يتفـوق قاسم الوزيـر بما يمكن أن نسمـيه بـ«التعبيرية الإسلامية» في الصورة الشعرية (والتعبيرية هنا لا علاقة لها بمذهب التعـبيرية عند الغربيين). فالشاعـر يتحدث عن حمل السـلاح بمفهوم إسـلامي نقي، عندما يكون الجـهاد فريضة وعبادة:

«العـاكـفـون على السـلاح عـبـادةً
الراكـعـون على الجـهـاد السُـجّـدُ»
القـــارئـون الموت رتّل بـعـضَـه
ناج وجـود بعـضـه مـسـتـشـهـد»
«أدّى صـلاتهمُ صَليلُ سـيـوفـهم
فلهم بموضع كل جرح مـسـجـد»

لعل هذه الأبيـات تعـد من أجـمل الصـور التـعبـيـرية الإسـلامـيـة في شعـرنا المعاصـر، إنه إحساس الشاعـر الضاغط بمسئولية فريضة الجهاد، في عصـر وجبت فيه هذه الفـريضة أكثر من أي عـصر آخـر. هذا الإحسـاس الضـاغط نجـده يقف وراء الـصـورة الشـعـرية في هذه الأبيات. فكأن الشاعر يقـول لمعاصريه في البيت الأول إن اعـتكاف المسلمين اليـوم عـلى السـلاح هو أوجب من الاعـتكاف في المسـاجد مـثـلا، مادامت أرضنـا تغتصب وأعراضنا تُنتـهك. لهذا نجد المـعادلة تتسـاوى في كلمات البيت الأول بين كلمات الجهاد وكلمات العبادة فنجد أن:

العاكفون، الراكعون، السجد، عبادة = السلاح، الجهاد.

وإن لم تصح هذه المساواة في ميزان الشعر فهي تصح في ميزان التصور الإسلامي.

فإذا ما جئنا إلى الصور في البيت الثاني، نجدها تزدحم بالحركة، فبالرغم مما يفيض به الموت من سكون، فإنه في هذه الصورة يبدو حيا متحركا على أكثر ما تكون الحركة:

«القـــارئون الموت رتل بعـضـه
ناجٍ وجـودُ بعـضـه مـسـتـشـهـد»

فـ«العاكفون على السلاح» هم القارئون الموت. ثم إننا نجد أن «المجاهدين نوعان» نوع يرتل بالحياة ونوع يجوّد بالموت. وإذا عرفنا أن التجويد والترتيل يرتبطان في ذهن المسلم «بالقرآن الكريم»، والقرآن في عقيدة المسلم هو «الحياة» التي لا تعدلها حياة، جنةٌ في الدنيا إذا ما احتواها قلب المؤمن كانت طريقه إلى جنة الآخرة. فإن الشاعر عندما يجعل من المجاهدين «قارئون» للموت يرتله الناجي ويجوده الشهيد، فإنما هو يعكس التصور الإسلامي الذي يقول إن «الموت» و«الحياة» في ساحة الجهاد يستويان في ميزان المؤمن، إن مات فهو في الجنة وإن عاش فهو في طريقه إلى الجنة. ومضمون البيت عموما يوحي بالحكمة الإسلامية: «احرص على الموت توهب لك الحياة». ومن هنا كان توفيق الصورة الشعرية في الإيحاء بالمفاهيم الإسلامية في شكل جديد.

وفي البيت الثالث نشهد جانبا آخر من اللوحة، جانبا يصور لنا روعة وقدسية الجهاد، فصليل السيوف هو «صلاة»، والجروح على أجساد المجاهدين هي «مساجد»:

أدي صلاتهمُ صليلُ سيوفهم

فلهم بموضع كل جرح مسجد

وهذا لا يتم إلا إذا كان الجهاد خالصا لله وحده، فصليل السيوف صلاة، وهو كناية عن «التكبير» الذي يرتفع في ساحات الجهاد. و«صليل السيوف» هنا أيضا يوحي بحالة الانتصار وفيها «الله أكبر». وفي الشطر الثاني لا نفتقد «الله أكبر» فما دام جرح المجاهد قد تحول إلى مسجد، فهناك إذن «الله أكبر». وما دامت «الله أكبر» في شطري البيت فقد اعتدل واكتمل ميزان «التصور الإسلامي» فيه، وحيثما حلت «الله أكبر» بصدق كان هناك نصر، والله لا يضيع أجر العاملين. فهنيئاً للشاعر على صدق «التصور» ودقة «التصوير».

■■ شعر الرمز والإيحاء

والآن ننتقل لننتقل إلى الجزء الثالث وهو الأكثر في شعر قاسم الوزير. وهو في نظري أجود شعره؛ لأنه يقوم على الرمز والإيحاء أكثر من التصرح والمباشرة، ولأن الصور فيه ـ وإن كانت تعبر عن عصرها ـ إلا أنها قابلة للسفر إلى أكثر من مكان، وللحياة في أكثر من زمان. ولعل أكثر الصور التي تملأ أجواء القصائد وتسيطر عليها هي صور الغربة والاغتراب. وأهم ما يميز هذه الصور ويعطيها أصالتها الفنية وديمومتها هو الجانب الإنساني فيها.

وأقصد بذلك أن الشاعر لم يتحدث في هذه القصائد عن نفسه كمغترب يمني في هذه البلاد أو تلك، ولم يتحدث عن همومه الشخصية أو هموم وطنه اليمني. لم يقل كل ذلك صراحة. ولو فعل ذلك لأصبح شعره نوعاً من الأخبار الصحفية أكثر منه قصائد شعرية، ولحصر نفسه في دائرة صغيرة من الزمان، ودائرة أصغر من المكان. ولا نعني بهذا أن على الشعراء ألا يذكروا أوطانهم بأسمائها في أشعارهم، وألا يتحدثوا صراحة ومباشرة عن همومها التي هي همومهم، ولكن هذا نوع آخر من الشعر، تحدثنا عنه في القسم الثاني من قصائد الشاعر، وفيه من الجيد الصادق الذي لا ينكر. ولكن هذا النوع الثالث من شعر الشاعر، والذي لا أريد أن أضع له اسماً غير «الشعر» وهو أفضل أنواع الشعر في نظري، لأنه يتحدث عن التجربة الشخصية من منظور إنساني، أي أنه يبلور التجربة الشخصية لتتحول إلى تجربة إنسانية، فإذا قرأها إنسان في الصين أو أمريكا مثلا تنقل إليه نفس الصور والمشاعر، ولكن بنكهة عربية تميزها. ويصدق هذا على الزمان كما يصدق على المكان. وهذا اتجاه معروف في تاريخ النقد والأدب العالمي، على أن الفارق أننا لا نقول إن كل الشعر يجب أن يكون بهذه الصورة، وإنما هو من أجود أنواع الشعر.

■■ تجربة الغربة والاغتراب

وكما قلنا إن تجربة الغربة والاغتراب هي الهم الضاغط على معظم قصائد الشاعر، وهي اللحن الحزين والمميز لـ «سيمفونية» الحياة عنده. وحتى قصائد الحب التي يتحدث فيه قاسم الوزير إلى المحبوبة نجد ظلال الحزن تسيطر على ألوانها، فهو لا يفتأ يتحدث عن الغربة عن حلم العودة إلى الوطن. وفي معظم الأحوال نجد المحبوبة ترمز لوطن أو لقضية كبيرة على نحو ما نجد في قصيدة «من أغاني التيه» التي يتحدث فيها عن أحوال الغريب:

من للغريب إذا هو اغتربا

في الأرض: يضرب كل مضطرب

لا تسأليني كيف أنت؟ نبا

بيّ حظ مرتقب ومغترب

ثم نعود فنجد أن أغاني التيه عند الشاعر هي «معاناة الغربة والإغتراب». ولن ينتهي هذا التيه إلا بالعودة:

يا أخت نفسي ليس ينفعنا

هذا المتاه وليس يجدينا

لن تقهر الدنيا سواعدنا
إلا إذا عدنا لوادينا

وحديث الغربة مرافق دائم للحديث عن هموم الوحدة التي يعاني منها الغريب، وإن كان في زحام من الناس. ويتوسل الشاعر بحديث الحب ليتحدث عن محبوبة عظيمة عاش حياته يحلم بلقاها، وسواء أكانت هذه المحبوبة امرأة أم أرضا يحلم بالعودة إليها، فخاطر الشعور بالوحدة لا يهدأ، والصراخ بالعودة إلى أحضان الحبيب يلح عليها، وهذا الشعور نسمعه عليا في مطلع قصيدة «حادي الحب»:

يا حبيبي أين ألقاك، فقد طال عذابي؟
ومتى أنسى بأحضانك همي واكتئابي؟
يا حياة الروح في الدنيا ويا حلم الشباب
شفني الشوق والوى بأماني العذاب
وأنا مازلت وحدي نائحا أدعو حبيبي

وقد ولدت تجربة الغربة المريرة في نفس الشاعر «رفض» فكرة السفر وكل ما يتصل بالفراق. ففي قصيدة «أغنية للعاصفة» التي يهديها إلى الذين قالوا له:

«معنا غداً وابحروا نحو شواطىء الدعة» يقول لهم الشاعر: «إني حطمت الشراع لأبقى على الأرض الملتهبة».

لقد خرج من تجربة التجوال والترحال بحذر شديد:

«معنا غداً».. «لا.. لا.. دعوني إني لترعبني ظنوني
ماذا يخبىء ليّ الزّمان إذا خرجت إلى السكون

ورغم ما يوحي به ظاهر الصورة من مشاعر الخوف التي تجدها في كلمات الرفض «لا.. لا.. دعوني» ونجدها في الرعب الذي تحدثه الظنون إلا أن المفارقة تُبدي لنا أن الشاعر يخاف الخروج من الخطر إلى الأمان والدعة، إنه يريد أن يبقى داخل «الأرض الملتهبة» ثم نجده يتساءل في البيت الثاني:

«ماذا يخبىء ليّ الزّمان إذا خرجت إلى السكون»

وهنا تتضح لنا الصورة وتكتمل ملامحها: فهو أشجع من أن يغتر بدعوة الذين قالوا «معنا غداً» لأنه عرف سلفاً أنهم كانوا سيبحرون إلى «شواطىء الدعة»، فحق له التساؤل عندما قرر البقاء، أن لا أمان للزمان إذا خرج إلى السكون. ولذلك نجده في الأبيات اللاحقة يتغنى بديار الأرض الملتهبة، كأنه يريد أن يقنعنا ويقدم مسوغاته بأسباب البقاء:

«تلك الديار وقد فرشت إلى مباهجها عيوني
وسقيت من قطرات قلبي غرسة الأمل الحنون
وبنيت لي بيتاً كأحلامي من الشعر الحزين
وجبلت أيامي بأشجى ما تهدج من لحوني
ووضعت أفراحي وأحزاني كما تهوى فنوني
أنا لا أطيق سوى البقاء.. هنا على وهج الجنون»

وهكذا ندرك استحالة «الرحيل» مع الذين قالوا له «معنا غداً»: كيف يرحل معهم وقد سقى من قطرات قلبه «الأمل الحنون» الذي غرسه في الوطن؟، أيهجر بيتاً بناه على ثراه من «الأمل الحزين»؟ ففيه وضع أشجى ألحانه واختلط بفنه أفراحه وأحزانه، لذلك فهو لا يطيق سوى البقاء هنا وإن كان «على وهج الجنون». هذا الضرب من الجنون، هو أفضل لديه من الرحيل الذي يعلن صراحة أنه يخاف منه:

إني على قلق الرحيل.. أخاف منه.. من الرحيل
ما قيمة الأيام فارغة من القلق الجميل

إن القلق الذي يصنعه الرحيل هنا ليس من نتائج الجبن والتردد، ولكنه خوف المحب على فقدان الحبيب والقلق الدائم الذي يساور هذا المحب على المحبوب. فليس أحب إلى قلبه من الوطن، ولا أقرب إليه منه، فكيف لا يقلق وكيف لا يخاف وإن كان في الأمان الذي لا أمان بعده؟! ثم يأتي البيت الثاني ليحل لنا المسألة حين يسمي هنا القلق «بالقلق الجميل»، و«الأيام فارغة لا قيمة لها بدون هذا «القلق الجميل» وهذا صحيح، لأن قلق المحبين الذين لا يكف عن التوقف حتى في لحظات الأمان هو المضخة التي تكفل لهذا الحب الحياة والتي تضمن استمرار توقده وجذوته، وبه تتحول «حياة» إلى «الحياة»، وتتحول كلمة «حب» إلى «الحب» إذ لا يكتمل معنى هاتين الكلمتين دون الألف واللام كما يقول العقاد.

وعلى هذا نجد أن النفس الأخير في القصيدة يزدحم بمعان تذكرنا بصرخات الزبيري ـ رائد الشعر الوطني في اليمن الحديث ـ تلك الصرخات التي يقبلها العقل ويستعذبها القلب وتستطيبها النفس، لأنها تتصل بأفكار هي أقرب ما يمكن أن يصل إليه عقل، ومشاعر هي من موطن القلب تنبع، وخلجات لا تنفثها إلا نفس لا تلتذ إلا بالعيش في الوطن الحبيب. لهذا يجب ألا يساورنا العجب عندما نجد المقطع الأخير في القصيدة يبدأ بـ«لا» لأنها الحرف الرافض، والزاعق الذي يوحي بالرفض المطلق، الذي لا يقبل المساومة لكل أشكال الحلول الأخرى، فـ«لا» كما سنرى هي الطريق الصلب أو السد المنيع، إن شئت، والذي أغلق الطريق لما قد يأتي من محاولات الإقناع قبلها.

وهو الطريق الذي سهل العبور لكل جُمل الرفض من بعدها:

«لا.. لن أسير، هنا مكاني فاتركوني يا رفاقي!
أنا لهفة الشعر الطليق ولوعة الدمع المراق
أنا خفقة الطير المبكر في الصباح إلى السواقي
أنا بهجة اللقيا تبدت بعد غاشية الفراق
أنا أنّة الباكين في ليل التعاسة والشقاق
أنا صيحة الثوار.. غضبتهم على عفن النفاق
أنا صبح هذا الأيك: يطويه وينشره عناقي!
ها قد رجعت إليه.. انفض عنده بعض اشتياقي
ولقد شربت من اللقاء.. فلن أعود إلى الفراق»

هنا نجد الشاعر بعد أن قال لرفاقه «لا.. لن أسير، هنا مكاني» وطلب منهم أن يتركوه، وجد أنه لزاماً عليه أن يبين لهم لماذا قال لهم «لا»، ليبقى في «الأرض الملتهبة»، ذلك لأنه يمثل «لهفة الشعر الطليق» الذي يُعبّر عن صوت الأديب الحق الذي يعيش بين الناس يُصوّرُ آمالهم وآلامهم، فمَنْ غير الشاعر يستطيع أن يُعبّر عن «بهجة اللقيا».. لحظة السعادة في أن يلتقي إنسان بوطنه بعد فراق طويل أو اغتراب مرير، ومن غير الشاعر يترجم «أنّة الباكين» إلى لغة القلوب والمشاعر لأن أحداً لا يسمعها في ظُلمة «ليل التعاسة والشقاق». فإذا ما وصلت «أنّة الباكين» للذين يهمهم أن تصلهم تحول الشاعر بعد ذلك إلى رمز «لصيحة الثوار»، لأن هذه الصيحة عادة لا تنطلق إلا إذا سُمعت «أنّة الباكين»، فيؤدي ذلك إلى أن ينهض من بين السامعين من يصيح ثائرا غاضبا على «عفن النفاق». وهذه هي رسالة الحق في الأمم الحية، يعبر عن آلامها وآمالها، يبشر وينذر، ويحذر ويتنبأ والشاعر لا يستطيع أن يفعل هذا إلا إذا اشترى دينه بدنياه، لا يزيغ بصره بنجم ضال، ولا يتحول إلى صدى الصوت أي فرعون، وإنما يحل في ضمير الأمة ليعبر عنها ويجعل من نفسه أحد قلوبها السليمة ليُسمع الناس دقاته وقت الخطر وزغردته وقت النصر. وربما لهذا كله أو لبعضه قرر شاعرنا البقاء في «الأرض الملتهبة» وحطم الشراع على الشاطئ» ولم يُبحر مع الذين قالوا له «معنا غداً» بكل ما توحيه الكلمة من إغراء بالرحيل ثم قال لهم «لا»، لأنه لا يستطيع أن يكون ضمير الأمة وهو بعيدٌ عنها، وقد أدرك هذه الحقيقة عندما غاب عنها، لذلك تجده يعود ويقول بلهفة المشتاق:

«ها قد رجعت إليه.. انفض عنده بعض اشتياقي»

«ولقد شربت من اللقاء.. فلن أعود إلى الفراق!»

■■ الشعور بالوحدة:

وفي قصيدة «نحو شروق لا يغرب» يرسم لنا الشاعر صورة هم ثقيل يرسف في ظلمة ليل طويل، ويشكو الشاعر من معاناة الشعور بالوحدة. إن الدنيا تتحول في عين الشاعر إلى قبر صغير مظلم:

ما أهولها!
هذي الظلمة!
والريح.. وراء الجدران
تعوي.. تعوي

وتتكاثف الظلمة حول الشاعر، وهو يشعر بضيق الدنيا على سعتها، وظلمتها على نورها. إنها دنيا يرى فيها انتشار ظلام الظلم والباطل على نور العدل والحق، ثم نجده بعد ذلك يرسم لوحة لدُنيا أظلمت جوانبها من روع الظلم.. دنيا يعاني فيها الإنسان المسكين من الجوع والخوف والحر والبرد والهَم والغم والحزن، ولا أرى هذه اللوحة تنطبق على حال أصدق من حال الإنسان المسلم في كثير من بقاع الأرض الذي يصرخ:

ليس هنا إلا الظلمة
فتكوّمت على نفسي
أقضم من جوع لقمة
وأتلمّ من بَرْد جسدي
وأخبىء من خوف رأسي
وأنا أهذي
من فرط الغمة!
وطفقت أغني في سري
لحنا أبكم
لحنا ـ كحياتي ـ مبهم
ودموعي في صمت تجري
وبصمت تتجمع

لكن هنا «الإنسان» الذي أنهكه «برد الليل الطويل، وقتله الخوف حتى جعله يخشى على رأسه من الظهور في العراء لئلا يُقطع بأيدي الظَلَمة.. هذا الإنسان أصبح مجنوناً أو كاد، بعدما طال عليه الليل، وطال عليه تكميم فمه، فتمتم بلحن أبكم لا يفهمه إلا الذين يشتاقون إلى النور في عالم الظلام ثم يتكاثرون بعد ذلك كالنجوم في السماء فلا تستطيع ظلمات الليل أن تُخفيهم.

□□□

الشاعر الأسير

قال أبو فراس من رومياته*

يا حَسْرةً مما أكادُ أحملُها،
آخرُها مُزْعِجٌ، وأولُها
عَليلةٌ، بالشآم مُفْرَدةٌ
باتَ، بأيدي العِدا، مُعَلَّلُها
تسألُ عنّا الرُّكبانَ جاهدةً
بأدْمُعٍ ما تكادُ تُمْهِلُها:
يا مَنْ رأى لي بحِصْنِ خَرْشَنَةٍ
أسْدَ شَرىً، في القُيودِ أرْجُلُها؟[10]
يا مَنْ رأى لي الدُّروبَ شامخةً
دونَ لقاءِ الحَبيبِ أطولُها!
يا منْ رأى لي القُيودَ موثقةً،
على حَبيبِ الفُؤادِ أثقلُها!
يا أيُّها الراكبانِ! هل لَكُما
في حَمْلِ نَجْوى، يخِفُّ مَحْمَلُها؟
قولا لها إنْ وعتْ مقالَكُما
- وإنْ ذكَري لها ليُذْهِلُها -:
يا أمَتا! هذه مَنازِلُنا؛
نَتْرُكُها تارةً، ونَنْزِلُها!
يا أمَتا! هذه مَوارِدُنا؛
نَعُلُّها تارةً، ونَنْهَلُها![20]
أسْلَمَنا قَومُنا إلى نُوَبٍ
أيْسَرُها في القُلوبِ أقْتَلُها!
يا سَيِّداً ما تُعَدُّ مَكْرُمَةٌ
إلا وفي راحَتَيْهِ أكْمَلُها
ليستْ تُنالُ القُيودُ من قَدَمي
وفي اتِّباعي رِضاكَ أحمِلُها
بأيِّ عُذْرٍ رددتُ والِهَةً،
عليكَ - دونَ الورى - مُعَوِّلُها؟
جاءَتْكَ تَمتاحُ ردَّ واحِدِها،
يَنْتظرُ الناسُ كيفَ تَقْفِلُها[30]
سَمحتُ منّي بمُهْجَةٍ كَرُمَتْ
أنتَ - على يأسِها - مؤمِّلُها[40]
إنْ كنتَ لم تَبْذُلِ الفِداءَ لها
فلم أزَلْ، في رِضاكَ، أبْذِلُها
تلكَ المَوداتُ، كيفَ تهمِلُها؟
تلكَ المَواعيدُ، كيف تُخْفِلُها؟
ياواسعَ الدّارِ! كيفَ توسِعُها؟
وتحنُ في صَخْرةٍ تُزَلْزِلُها؟
يا ناعمَ الثوبِ! كيف تُبْدِلُ لَه؟
ثيابُنا الصُّوفُ ما نُبدِلُها!
يا راكبَ الخيلِ! لو بَصُرْتَ بنا،
نَحْمِلُ أقْيادَنا، ونُثْقِلُها!
رأيتَ في الضُّرِّ أوْجُهاً كَرُمَتْ
فارقَ - فيكَ - الجَمالُ أجْمَلُها[50]
قد أثَّرَ الدَّهرُ في مَحاسِنِها:
تَعْرِفُها، تارةً، وتَجْهَلُها
لا يفتحُ الناسُ بابَ مَكْرُمَةٍ
صاحِبُها المُسْتَغاثُ يُقْفِلُها

الهوامش

* ديوانه ٣/٣٣٠

١٠* خرشنة: من بلاد الروم قرب ملطية، لا تبعد كثيراً عن خط الثغور، فتحها سيف الدولة في معاركة القاقرة سنة ٣٣٩هـ ودخلها ايضاً في معاركة سنة ٣٤٥ هـ والشرى: مأسدة.

٢٠* علّ: شرب ثانية «العلل». ونهل: شرب اول الشرب «النهل».

٣٠* امتاح: استخرج الماء ليستقي: وقفل: عاد؛ واقفل: أعاد.

٤٠* المهجة: دم القلب، والروح. يريد: إنه سمح بها وبذلها على غلائها.

٥٠* الضرّ: الشدة والضيق.

حزم وتدبير

لابن العميد

كتابي وأنا مترجّح بين طمع فيك، ويأس منك، وإقبال عليك، وإعراض عنك، فإنك تُدِلُّ «١» بسابق حُرْمة، وتَمُتُّ بسالف خِدْمة، أيسرُهما يوجب رعاية، ويقتضي مُحافظة وعناية، ثم تشفعُهما بحادث غُلول «٢» وخيانة، وتُتبعهما بأنف «٣» خلاف ومعصية؛ وأدنى ذلك يُحبط «٤» أعمالَك، ويَمحق كلَّ ما يُرعى لك.

لاجَرَم اني وقفتُ بين مَيْل إليك، ومَيْل عليك: أقدّم رجلاً لصدمك، وأؤخر أخرى عن قصْدك. وأبسُط يداً لاصطلامك «٥»، واجتياحك، وأثني ثانيةً لا ستبقائك واستصلاحك. وأتوقف عن امتثال «٦» بعض المأمور فيك ضنًا بالنعمة عندك «٧»، ومنافسة في الصنيعة «٨» لديك، وتأميلاً لفَيْئتك «٩»، وانصرافك، ورجاءً لمراجعتك وانعطافك؛ فقد يغرُب العقل ثم يؤوب، ويَعزُب اللُّب ثم يَلُوب، ويذهب الحَزْم ثم يعود، ويَفسُد العَزْم ثم يَصلُح، ويُضاع الرأيُ ثم يُستدرَك، ويَسكر المرء ثم يصحو، ويكدُر الماء ثم يصفو، وكل ضيقة فإلى رخاء، وكل غمرة فإلى انجلاء.

وكما انك أتيتَ من إساءتك بما لم تحتسبْه «١٠» اولياؤك، فلا بِدْعَ أن تأتيَ من إحسانك بمالا ترتقبه اعداؤك، وكما استمرتْ بك الغفلة حتى ركبتَ ماركبت، واخترْتَ ما اخترت، فلا عجب أن تنتبه انتباهةً تُبصر فيها قُبْحَ ما صنعتَ، وسوءَ ما آثرتَ.

وساقيم على رَسْمي «١١» في الإبقاء والمماطلة ما صلح، وعلى الاستبناء «١٢» والمطاولة ما أمكن، طمعاً في إنابتك «١٣» وتحكيماً لُحسن الظن بك، فلستُ أعدم فيما أظاهره «١٤» من إعذار «١٥» وأرادفه من إنذار، احتجاجاً عليك واستدراجاً لك، فإن يشأ اللهُ يُرشدْك، ويأخذْ بك إلى حظّك ويسدِّدْك، فإنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

■■ الهوامش:

«من رسالة له إلى أحد الخارجين على طاعة ركن الدولة البويهي «يتيمة الدهر للثعالبي ٣/١٦٣»

«١» أدلّ: اجترأ وانبسط وأدلّ عليه: أفرط، ثقةً بمحبته.

«٢» غلّ ـ يغُلّ غُلولاً: خان.

«٣» الأنف من الزمن: أدنى الأوقات إلى الحديث الذي يُحدَّث به.

«٤» حبط عمله يحبط حبطاً وحبوطاً: فسد وذهب سدى.

«٥» اصطلم: استأصل «افتعل من صلم: قطع من الأصل».

«٦» امتثل الأمر: أطاعه «مثل ـ يمثُل مثولاً: انتصب واقفاً».

«٧» يعني: إنه يريد أن ينعم عليه بالتوقف عن اصطلامه.

«٨» الصنيعة: الإحسان؛ والجمع: الصنائع.

«٩» فاء ـ يفيء فيئاً: رجع. والفيئة: الرجوع.

«١٠» احتسب الأمر: ظنّه «افتعل من: حسب».

«١١» الرسم: الخطّة والأمر.

«١٢» أنى ـ يأني، وأنى ـ يأني أنياً وإنىً: أبطأ؛ واستأنى استبناءً: تمهل وترفّق.

«١٣» ناب وأناب: رجع وتاب؛ والإنابة: الرجوع والتوبة.

«١٤» ظاهرة مظاهرة وظهاراً: شدّ على ظهره فقواه وأعانه. يريد هنا: أجعل العُذر يقوّي العُذر ويظاهره.

«١٥» أعذر: قبل عذره، ورفع عنه اللوم؛ وأعذر من نفسه: أتى بما يُعذر عليه ويرفع عنه اللوم والتثريب.

الضياء

مجلة فكرية فصلية محكمة تعنى بقضايا الفكر والأدب وإحياء التراث

تصدر مؤقتاً كل ستة أشهر عن دار الضياء للدراسات والنشر في موريتانيا

العدد ٩ السنة السابعة - مارس ١٩٩٩ - ذي القعدة ١٤١٩ - الثمن ٢٠٠ أوقية

المدير المسؤول رئيس التحرير:
د. عبد الله بن أحمد بن حمدي

أمين التحرير
زيد بن بلال بن أبهم

هيئة التحرير
- د. محمد بن البراني
- د. سيدي ولد متاه
- د. بونا عمر لي
- د. محمدو سالم ولد حمو
- د. محمد باب ولد أحمد
- د. المصطفى ولد الطيب
- د. يحي ولد محمد

الإشراف الفني
- أحمد محمد بن عبد الرحمن
- عبد الرحمن بن أحمد سالم

الإشتراك السنوي:
- الإشتراك التشجيعي
- الإشتراك العادي
- الإشتراك الخاص

المراسلات
ص. ب. ١٤٢٠
هاتف ٢٢ ٠٠ ٢٢
فاكس ٢٢ ٠٠ ٢٢
نواكشوط - موريتانيا

المقر: عمارة الأطلس - شارع كتبي حي "ب" ٠٠ - الطابق الثاني 2ème Etg

الآراء الواردة في المحرر لا تعبر بالضرورة عن رأي المؤسسة أو المجلة

مطبعة: المطبعة الجديدة - نواكشوط - موريتانيا

المضمون الإصلاحي في الشعر الإسلامي الموريتاني

د. عبدالله بن أحمد بن حمدي

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

□□ يهدف هذا البحث إلى أبراز صور ونماذج من مضامين الشعر الإسلامي الموريتاني وذلك عبر استنطاق جملة من النصوص تربو على العشرين في فترات تاريخية متباينة «قبل الاستقلال وبعده» سعيا إلى الكشف عن موقف الشعر الإسلامي من الواقع المعيشي وقضايا الأمة العالمية منتهياً إلى تقديم نموذج للبديل الإصلاحي المنشود «١».

يتكون هذا العنوان من تركيبين نعتيين أولهما «المضمون الإصلاحي» وثانيهما «الشعر الإسلامي الموريتاني» أما أول هذه التراكيب فهو المضمون الإصلاحي ونعني به تجليات الواقع المحلي والدولي في هذا الخطاب الشعري، أما ثانيهما فهو تركيب مضاعف الشعر الإسلامي الموريتاني، ونعني بالشعر الإسلامي: التعبير الفني المؤثر القائم على الوزن والموسيقى المعانق لهموم الجماعة ومشاغلها والصادر عن ذات مسلمة ملتزمة.

أما الموريتاني فنسبة إلى موريتانيا ذلك البلد الممتد بين جمهورية مالي شرقا والمحط الأطلسي غربا ونهر السنغال جنوبا والمغرب والجزائر شمالا. فكيف تجلت صورة الواقع في هذه المدونة وما هي سمات البديل الإصلاحي المنشود؟

■■ صورة الواقع في الشعر الإسلامي:

لقد عكس الشعر الإسلامي صورة هذا الواقع بتجلياته المختلفة ومظاهره المتعددة، سواء ركنت إلى السياسة والسلطة أو ارتبطت بالمجتمع وبنيته، أو جنحت إلى العالم والثقافة. وذلك في نغم متحرر ثائر وصيحة عالية مدوية تشهر السيف والقلم ضد صنوف العجز والاستسلام. وسنبرز هذه الصورة في بعديها المحلي والعالمي:

● **صورة الواقع المحلي:** لقد تجلت صورة هذا الواقع في مظاهر كثيرة وبإعادة نسقها يمكن إرجاعها إلى وحدات متميزة، من أهمها:

١ ـ الظلم والاضطهاد:

يشكل الظلم والاضطهاد مشغلا جوهريا لشعراء مدونتنا، حيث سعوا جاهدين إلى رفعه والتنديد به يقول الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيديا «٢»، مصوراً نماذج من معاناة هذا المجتمع، تتفطر لها الأكباد وتقشعر لها الجلود، مثل نهب الأموال وسفك الدماء واقتحام المنازل وسبي النساء:

لا حر يرضى ما رضيتم أنتم
من نهب أموال وسفك دماء
وهجوم دور وابتزاز ملابس
وقران شيب واستباء نساء
واليم ضرب باليدي والبعصي
على المحيا أو على العلباء «٣»

ثم يضيف مصورا مدى ركونهم واستسلامهم للظلم وقبولهم للأمر الواقع وتقديسهم هؤلاء اللصوص، مستنهضا الهمم داعيا للمواجهة:

وترى جماعة مسلمين بمسجد
شم الأنوف أعزة الآباء
وقرا كأن الطير فوق رؤوسهم
هماتهم في النجم والجوزاء
فتخال أن الضيم في أكنافهم
مستودع مستودع العنقاء
حتى إذا نظروا إلى متقمص
أهدامه ذي وقرة شعثاء
قاموا إليه مبادرين كأنما
قاموا لبعض أجلة الأمراء
فلدى القوي هو ذئاب مفازة
ولدى الضعيف هم أسود «كراء»
هيهات هذا من طريق محمد
وصحابه وقفاته الكرماء

وقد ختم نصه مبرزاً التناقض الكامل بين استسلام المجتمع وبين طريق محمد ﷺ، معلنا أن الطغاة قد تجبروا وعاثوا في الأرض فسادا وكمموا الأفواه وصادروا الحريات وعطلوا أحكام الله حيث لم يتركوا منها إلا الصلوات الخمس مشوبة بالرياء، بل ربما يمنعونها إذا استمر الوضع على هذه الصورة يقول:

لم تمسكوا من دينهم إلا القواعد
عد خمسها مسدوفة برياء
ولربما منعوكموها عنوة
حتى افتديتم منهم بفداء
إن كان مابكم كراهة موتكم
فالموت قطعا لا محالة جاء
ولموت من هو هكذا خير له
لو عاش أزمانا من الأحياء
ليس امرؤ من ذا استراح بميت
الميت حقاً ميت الأحياء

٢ ـ معاناة المرأة:

لم تكن المرأة بعيدة عن أشكال الظلم والاضطهاد التي أشرنا إليها سابقا، فقد أخذت حصتها كاملة من الاحتقار والازدراء فراحت ضحية تسيب المجددين وتحجر بعض المحافظين وهكذا استغل الأول الوضعية المزرية للمرأة التي خلقتها العادات والتقاليد والتدين الفاسد المنسوب إلى الدين والدين منه بريء براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام، فرفعوا شعارات براقة من أبرزها الحرية والمساواة.. الخ.

وقد وجدت تلك الدعوة تشجيعاً من الإعلام الرسمي وغير الرسمي، الأمر الذي أحدث هزة داخل بنية المجتمع وغير الكثير من التصورات والمفاهيم فخرجت المرأة للعمل والكسب و«السياحة» حرة طليقة متمردة على النظم والأخلاق «البدوية» يقول محمد بن بدي في قصيدته «بلقيس» التي تحكي قصة انتقال

حي في الشعر الإسلامي الموريتاني..

مقاربة أولية

المرأة من البداوة إلى عالم المدينة مبرزاً مستوى النقلة ودرجة التحول وذلك في مقاطع ثلاثة متمايزة يقول في المقطع الأول مصوراً بلقيس في عهد البداوة والبراءة حيث الجمال الطبيعي والمجلس الجماعي الذي تتبادل فيه كؤوس الشاي يقول:

بلقيس يا صحراء ما تزال
امرأة يسحرها الجمال
وتسحر الرجال
في عيدها قد أكدت وفاءها للباديه
لخيمة وهوجد ودف
وجمل من خشب
ومجلس على كؤوس شاي لا يجف

أما المقطع الثاني فيبرز مضاعفات التحول من مجتمع البداوة إلى مجتمع المدينة فها هي بلقيس تتزين وتصبغ شفاهها وتكشف عن ساقيها ونحرها وترسل سنابل شعرها عارضة نفسها في السهرات الليلة بأبخس الأثمان مستشعرة أنها تدخل الحضارة من أوسع أبوابها وإن هذه الليلة تعتبر ليلة ميلادها الحقيقية التي تستحق التخليد والتعظيم.

إن بقيس «المدينة» قد فتحت عينيها على التلفزة والفيديو والسينما ومجلات الحب والغرام وجعلت من ذلك كله إطارها المرجعي، فاختارت سلاح الإغراء مصدرا للكسب فعملت على تطوير جمالها الطبيعي فدخلت غرفا عديدة للتجميل واستمعت إلى شروح وافية حول سؤال: «كيف تكونين جذابة ومغرية»، ومن هذه اللحظة بدأت بلقيس حياة جديدة كلها كرب وبلاء فجعلت من أماكن الحفلات عنوانها ومن الحانات موطنها فانفتحت قلوب عليها وتهيئت جيوب ودنست أعراض يقول:

وانتصرت في كربلائها الجديدة
وفتحت قلوب
ونهبت جيوب
وعانق النجم دخان السهرات الماجنة
واستنشق الشباب عطر الفاتنات
من بنات البادية
لم يتغير أي شيء
وخرجت بلقيس يوم عيدها
ودخلت صرح الحضارة
وكشفت عن ساقها ونحرها
وازينت وصبغت شفاهها
وارسلت سنابل الشعر

أما المقطع الثالث فيصور بلقيس وقد خاب أملها في ذلك النهج الذي طلبت من خلاله الاستقرار والراحة فنالت القلق والشقاء، طلبت الغنى فنالت الفقر والتعاسة طلبت الاحترام فجنت الحقارة يقول مصورا حالتها وهي عائدة من رحلة السراب حاملة «خفي حنين» بعد أن قضى منها شباب التيه والضياع وطره وركلها برجله تاركا إياها وسط المدينة تصرخ لا منقذ لا معين يقول:

ورجعت من رحلة السراب
لم تجن إلا حزمة من القشور
ولم تزل بلقيس قطة تموء
تجذب بالمواء في شوارع المدينة
سربا من القطاط

إذا كان شعراء مدوننتا قد تعرضوا لصورة المرأة في الواقع المعيش نقدا وفحصا فإنهم لم يهملوا تحديد سمات المرأة المثال التي يهدفون إلى بعثها وخلقها يقول محمد الأمين مزيد سبينا بعض ملامح المرأة النموذج مثل الطهر والوفاء والتقى والرقة والوقار والالتزام والثقة بالنفس والإيمان بالبدأ يقول:

من لي بها مثل اللجين المذاب
أطهر عرضا من دموع السحاب
إن غبت عنها غاب من قلبها
عهد التصابي والهوى والشباب
زان محياها جمال التقى
وزانها نور الدعاء المجاب
من لي بها معتزة بالهدى
تليس بين العاريات الحجاب
تهيم بالدين الذي صانها
وتعتلي على طنين الذباب

٣ ـ الغزو الثقافي:

نقصد بالغزو الثقافي مختلف أنماط الاستلاب الحضاري، وأشكال التفسخ الأخلاقي، مع التهاون بالواجبات والرقة في الدين.

وقد فطن المستعمر لفاعلية هذا العنصر فبادر إلى نشر ثقافته وفرض نموذجه، وذلك بعد فشل الخيار العسكري، ومن هنا فإنه عمل على رصد الأموال، ونشر سموم الإعلام مرسلا البعثات التعليمية والهيئات «الخيرية» إلى ديار الإسلام لتبذر الشك وتنشر الكفر، مقدمة اللقمة مقابل الفكرة يقول اباب ولد أحمد مبينا درجة الغزو ومستوى الانحراف الذي أصاب المجتمع، واصفا إياه بالتلوث البيئي بما تحمله هذه الكلمة من حمولات دلالية مختلفة.

تلوثت بيئة الأفكار واختنقت
حتى تولد إعصار وإرعاد

إن اباب لم يكن مستغربا لهذا الغزو لأن القابلية موجودة وشروط الهزيمة والانكسار قائمة، فالإسلام الفاعل غائب ووحدة المسلمين معدومة لذلك بين أن وضعا هذه سماته ليس غريباً أن يخترقه فكر أجنبي دخيل أو عدو حاقد عميل، يقول:

في غيبة الوعي والإسلام قد نبتت
بذور شك هنا واندس أوغاد
قوى الصليب وأذيال مغربة

من اليـهـود لهم دفـع وإمـداد
وقد أغارت حشود الشر خانقة
فـيـها تزاوج أطـمـاع وأحـقـاد
فوزعوا الشركة الكبرى مجازفة
كـأنه مـا لهـذا الدين أحـقـاد

ثم بعث الأمل في نفوس المسلمين ذاكرا أن صـخـرة هذا الدين صلبة قـوية لا تخيفـها المصائب والتحديات ولا تزعزها العواصف بل تزيدها صلابة وقوة وإيمانا بحتمية النصر. يقول:

لكن صخرة هـذا الدين صامدة
مهما تآمـر أهل الشهر أو كادوا
فكم عواصف هبت في مـعاقلنا
ربت سهـول بها واهتـز أنجاد

ويضـيف محـمـد بن بدي مؤكـداً على خطورة الغـزو الفكري كـاشـفـا لـبـعض خططه ذاكرا أن المنصرين يعملون بحرية واطمـئنان في منطلق الجـهاد في غـرب افـريقـيـا في ربوع عـبدالله ابن ياسين يفسدون عقائد الصغار ويزلزلون عقائد الكبار تحت تأثير الحاجة والطمع. وفي هذا الإطار ننبه إلى أن هؤلاء المنصرين قـمة في التـواضع والتضـحـيـة والخلق الرفيع فـأغلبهم يسكن في القـرى النائية مع الأسر مرخـيا عمامـته «كالدراويش» مـقدمـا الدواء والغـذاء لهؤلاء البـائسين تحت شعار الإنسانية والسلام. وقد غاب عن هؤلاء المحـتـاجين أن النـصـارى لا يعطون بالمجان بل لابد من مقابل يقول

سنة مضت
وها نحن نشهد تحت هشيم المحاضر
ها نحن نشهـد بين ربوع ابن ياسين
قسا
يدس مآثر بولص
في الخبز والجبن..
بين أيادي الصغار
ويرخي عمامته كالدراويش

يهدم ما شاء تحت شعار السلام

وعلى نفس النسق السابق ختم مـحمد بن بدي قـصيـدته بنغمة تفـاؤلية تعـد بالوحـدة والانسـجام والتـكافل وطرد الصليب الـذي عـاث في الأرض فـسـادا وملأها بالشك والميـوعة والتدين الفـاسد يقول:

سنة مضت
وها نحن نفتح صفحة عمر جديد
سنطرد فيه الصليب
كما كان في عين جالوت
وسوف يعانق فيه السواد البياض
البياض السواد.

ويضيف مـحمد الأمين بن مزيد مـبرزاً بعض مضـاعفات ذلك الغـزو على أخلاق المجتمع وقيمه حـيث انتشر الفسق وغرق المجتمع إلى الآذقـان في الدعارة والمجون يقول:

ظلموني فعلموني دين الغرب
ديـن الإلحـــــاد واللادين
ظلموني فـعلموني دين الخـمر
دين الحـشـيش والأفـيـون
ظلمـــوني من الذي علـم البنت
فنـون المجـــون بالـتـلـقين؟!
وأراها الحياة لهوا رخـيصـا
وكـسـاها بـعـد الملاء المـيني
ظلمـــوني من الذي عـلم الابن
تعاطي الخمور في «الكازين»؟!
ظلمـوني من الذي زين الشـرر
على شـاشـة التـلـيـفـزيون

ونختم هذا المحور بمقطع من قـصـيدة اباب بن أحـمـد التي عنوانها «طيـفـور معـروف» وقد صـور خلالهـا واقع هذه الأمة التي تعـاني قهـراً حضاريا شـاملا يمس الوطن والأرض ليـمتـد إلى الثقـافة والأفكار. فـحضـارتها مظلومـة وبلادها مـغصـوبة، وثرواتها منهـوبة، وكتبـهـا مهجورة ومفكروها مستلبون. يقول:

تاريخنـا مـسـروقـة أيامـه
منهـــوبة وعطاؤها مـطمـور
فـحـضارة مظلـومة ومـعـاقل
مـغـصوبـة وتراثـها مقـبـور
وحصون أدمغة الرجال تحطمت
وحـيـاتنـا لا شيء إلا الزور
اليـوم ناقـة صـالح معـقـورة
وفـصـيلهـا بإزائهـا مـعـقـور
طابور أهل البغي يزحف طاغيا
بسـقـيفه لج الدجـى ممخـور

هذه صور ونماذج من الواقع المحلي كما يعكسـها ديوان الشـعر الإسـلامي فكيف عانق الخطاب الشعـري الإسلامي قضايا الأمة متجاوزا البـعد الوطني إلى ملامسة الواقع الدولي.

ذلك ما ستكتشف عنه السطور اللاحقة

ب ـ صورة الواقع الدولي:

نقـصـد بصـورة الواقع الدولي مـدى تصـوير شعـراء المدونة لهـمـوم أمتـهم السيـاسـية والاجـتـمـاعية حيث نددوا بالاستـبداد ومـصادرة الحريات مـعلنين ضرورة التضامن مع إخوتهم المشردين.

وسنقـتـصـر هنا على ظاهرتين بارزتين نعتبرهما عمـاد الصورة وأساسها وهما التنديد بالاستبداد، والتضامن مع المشرد.

١ ـ التنديد بالاستبداد:

يشكل الاسـتـبـداد المرض المزمن الذي عانت منه الأمة قديماً وحديثا. وقد ترسخ بشكل واضح في أنظمة الحكم المعـاصرة حيث امتلأت السـجون وشـردت الأسر، مما كان قادح عبـقرية ووقود إبداع فظهر

منافسة الناقد للمبدع..
تفقد النقد دوره الأساسي

الشعر الإسلامي الذي أنكر وقاوم البغي داعيا إلى إصلاح نظام الحكم ونشر العدالة، ذلك ما أوضحه أحمد الحسن بن الشيخ في هذا المقطع:

خلوا المقاعد واستريحوا إنكم
لستم لحمل أمانة أكفاء
خلوا المجال لفتية إن يحكموا
سلكوا الطريق محجة بيضاء
إن يحكموا كانوا أشداء على
أعدائهم وبقومهم رحماء
إن يحكموا إنطلق الهدى من سجته
ويبددوا الآلام والبلاء
إن يهتفوا «الله أكبر» زلزلوا
بالمستبد قلاعه الشماء

أما الشعور بالظلم والمرارة والكبت والحرمان فقد رافق محمد الأمين بن مزيد في مسيرته الشعرية حيث خصص قصائد عديدة للتنديد بالطغاة وأعمالهم التعسفية نذكر منها قصيدة ظلموني «أحلام الطغاة» يقول في قصيدة «ظلموني» عارضا لمأساة المسلمين في هذا العصر المظلم شاكيا إلى الله ظلم الظلمة وجور الجائرين الذين مارسوا على هذه الأمة أبشع أنواع الإجرام «فعدن تشتكي وكابول تذري الدمع طلبا للمنقذ المعين» يقول:

ظلموني حقا لقد ظلموني
حرموني الحياة في ظل ديني
فاشتكت للأشج منهم دمشق
واشرأبت بغداد للمأمون
وتعالت عقيرة النيل ياقا
روق يا عمرو يا صلاح الدين
واستمعنا في لجة المستغيثين
إلى صوت يا ابن تاشفين
وتلاقت في الشرق والغرب صيحات
تعاني من العذاب الهون
عدن تشتكي وكابل تذري الدمع
والقرن مثقل بالأنين
هؤلاء الطغاة قد حكموني
واستبدوا على خطا موسليني
ظلموني فاين من ينقذوني
أين من يغرقون كي ينقذون

ويطول ليل الطغيان على الشاعر محمد بن بدي فيدعو للمواجهة والمغالبة بعد أن امتدت يد الطغيان إلى المساجد الطاهرة تدنسها وتحطمها «حطموا مسجدي ومصحف أمي مزقوه» هذا فضلا عن انتهاك الحرمات وتدنيس الأعراض امعانا في الإضعاف الجسمي والإذلال المعنوي يقول:

طال ليل الطغاة واستفحل الأمر
واغتيل كل داع وهاد
حطموا مسجدي ومصحف أمي
مزقوه بخسة وعناد
حارسات القلاع بوطان قسرا
في الزنازين رائحات غواد
إيه يا شعب أين قبضة سيفي
أين ترسي وأين مخلاة زادي
ناولوني الرصاص فالعرض أضحى
مستباحا فاين سرج جوادي
هل رأيتم يا من شربتم دمانا
بنفوس إلى الدماء صواد
فمصير الفرعون في مصروجه
لمصير الطغاة من دهر عاد
هل رأيتم مآل كل عميل
مستبد فاحذركم للفساد

وقد غاب عن هؤلاء أن النفس المؤمنة لا يفت عضدها السجن والقتل والطرد فتلك عقبات وابتلاءات على الطريق. فطريق الإسلام طريق طويل وشاق لا يقوى على السير فيه ضعاف النفوس ولا مزعزعو الأركان يقول محمد بن بدي مصورا ضحية من ضحايا الطغيان في زماننا جريمتها أنها رفضت المحاباة والنفاق السياسي وآمنت بالله الواحد الأحد ورفضت حكم غير الله:

في المخبرين لهم خطا مدسوسة
يتصيدون بها الفتى الرباني
يتسللون إلى نوافذ بيته
سحرا يرتل سورة «الفرقان»
هجموا عليه وصفدوه وأسرعوا
فهو العدو لهم على الميدان
حتى إذا قدموا على أسيادهم
في قمة الأفراح بالقربان
رفع العقيرة مشرئبا صارخا
الله أكبر فوق كل جبان
أنا لست أعبد غير رب واحد
لا تطعموا في النيل من إيماني

ثم خاطبهم مخاطبة الواثق من نفسه المؤمن بوعد ربه بالنصر المستخف بزبانيتهم يقول:

فاسل بسوطك نهر دجلة من دمي
وافقأ عيوني واقتلع أسناني
وتسير قافلة الهدى محفوفه
بالشوك بالأوحال بالقضبان
نورا على نور تلألأ دربها
بشهيدها الملفوف في الأكفان

إن ليل الطغيان ليل طويل جعل الشعراء يحسون بضرورة التضامن فشرعوا يتحدثون عن هموم الأمة وجروحها النازفة جاعلين من الإيمان العميق والصبر الجميل والإرادة القوية أسلحتهم الميدانية.

○ التضامن مع المشرد:

لقد وقف شعراء مدونتنا مع اخوتهم المحاصرين في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي نذكر منها *للتمثيل* لا الحصر: فلسطين، أفغانستان.. الخ.

أ ـ قضية فلسطين:

لقد احتلت فلسطين حيزا كبيرا من «ديوان من الشعر الإسلامي» حيث زادت مدونتها على المائة من القصائد وقد

تمحورت مضامين هذه القصائد حول إسلامية القضية والدعوة للجهاد المقدس رفضا للنظرات القومية الضيقة التي تجعلها قضية عربية محضة وقد جهل هؤلاء - أو تجاهلوا - أن فلسطين ملك لجميع المسلمين ففيها أولى القبلتين وثالث الحرمين ومدرج الأنبياء ومسرى الرسول ﷺ وهكذا حررها الفاروق ومن بعده صلاح الدين بالإسلام وباسم الإسلام - لأن سنة الله اقتضت أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها يقول أحمد الحسن بن الشيخ مؤكدا على إسلامية القدس منددا بالمتاجرين بها في الأسواق المحلية والدولية الذين ملؤوا الدنيا وشغلوا الناس بالخطب الطنانة والقنابل الكلامية المدوية، حيث تسمع جعجعة ولا ترى طحينا:

قل للذين عن امر ربهم عتوا
وتناسوا المعراج والإسراء
القدس إسلامية لا تطمعوا
في أن تصافح كفها العملاء
لا تطمعوا فيها فلستم أهلها
فكفى هتافا صاخبا وهراء
يا من أضاعوا القدس يا من باسمها
ملأوا البلاد تعاسة وشقاء
خلوا المقاعد واستريحوا إنكم
لستم لحمل أمانة أكفاء

ثم يضيف في قصيدة «مادون الإسلام خلاص» مؤكدا على المنطلقات السابقة مبرزا مقومات النصر في معركة المصير ذاكرا أن فلسطين تئن وتصيح تطلب المنقذ العين «ولكن لا حياة لمن تنادي» يقول:

أرض الإسراء محضن الأنبياء
اقسمت لن تكون للغرباء
هي في أسرها تئن ولكن
ليس في القوم سامع لنداء
هل عرفناك يا فلسطين إلا
يوم ترتيل سورة الإسراء
هل دخلناك يا فلسطين إلا
بجنود لربهم أوفياء
هل أعددناك يا فلسطين إلا
بلواء التوحيد لا بالهراء

أما محمد فال بن عبد اللطيف فقد سجل معاناة الشعب الفلسطيني في مجزرة «صبرا وشاتيلاء تسجيلا تنفطر له الأكباد حيث شمل القتل المرضى والصغار والكبار محملا الأنظمة والشعوب في الوطن الإسلامي قسطا كبيراً من المسؤولية في هذا الحدث الجلل الذي وقع وهم سكوت ينظرون مما يدل على الرضى والقبول، يقول:

لا ترم صاح وانتظرني قليلا
فسالقي عليك قولا ثقيلا
إن اخواننا الجحاجح أبناء
فلسطين قتلوا تقتيلا
قتلوهم مرضى ومردا وشيبا
ويريد الخؤون بعد دليلا
ودعت أم ياسر امة العرب
فلم ألف مثلها مخذولا
يا لها سبة ووصمة عار
أعقبتنا الحزن العريض الطويلا
هكذا تم والجميع سكوت
أترى ذلك السكوت قبولا؟!

ثم أضاف أن الشعوب قد اكتشفت حقيقة حكامها وأدركت أن مصدر الهزيمة ذاتي فنحن المصدر بأموالنا وهجرنا لمصدر قوتنا، نحن الذين قتلنا فلسطين وسرنا في جنازتها مشيعين باحثين عن حلول استسلامية رامية عرض الحائط كل عوامل النصر والتمكين يقول:

قد مللنا سماع قيل وقال
ومللنا الحل البديل الهزيلا
وسئمنا ما ليس يملك يوما
كشف ضرعنا ولا تحويلا
قد قتلناك يا فلسطين غرا
ثم قمنا عليك نعلي العويلا
قتلتك السهام: أسهم قوم
مولوها فاكثروا التمويلا
مولوها سيولة ووقودا
في جيوب العدو يجري سيولا

قد علمت مدرسة المحنة الشعب الفلسطيني المجاهد دروسا بليغة جعلته ينزع الثقة من حكام أمته الذين تاجروا بقضيته ووعدوه بالتحرير والجلاء وأخلفوا الوعد، الشيء الذي أدى إلى ظهور انتفاضة الحجارة التي أزعجت اليهود وأرقت مضاجعهم وحطمت مصداقية دعاة السلام والاستسلام يقول محفوظ بن الوالد في قصيدته «حبر ودم» مباركا ثورة الحجارة بعد فشل ثورة السلام والبيان مبرزاً أن النصر لا يأتي بقوة السلاح والعتاد وإنما يأتي بقوة الإيمان والإرادة وإعداد أسباب القوة:

آن للدم أن يكون مدادا
سقط الحبر واستحال رمادا
غضب الأرض باركته سماء
فأتى الدهر طائعا منقادا
ركع الكل هيبة وجلالا
لصغار يطلقون الرقادا
عانقوا الموت عزة وإباء
جعلوا الله عدة وعتادا
من لهيب الجراح صاغوا خطابا
فجر الأرض ثورة وجهادا

ب - القضية الأفغانية:

لم تكد الثورة الإسلامية تحط رحالها في إيران حتى بادرت جارتها الاتحاد السوفياتي إلى بسط نفوذها على جمهورية افغانستان المسلمة، وذلك لوضع جدار أمني حصين منعا لتسرب

«العدوى» إلى دول المنطقة وخصوصا الجمهوريات الإسلامية السوفيتية المحتلة، وردعا وتخويفا للثورة الوليدة التي أعادت الاعتبار للمسلمين وأعطت للإسلام دفعا كبيراً جعل معظم الشعوب الإسلامية تشرئب وتتوق إلى رؤية الإسلام متجسداً في الحياة السياسية ومن تلك الشعوب أفغانستان التي عانى شعبها من الحكم الشيوعي الأحمر المدعوم من «الكرملين» وقد تجلت تلك المعاناة في صور مختلفة وطرق شتى نذكر منها القتل والطرد والتشريد وتخريب المقدسات وانتهاك الحرمات يقول أحمد الحسن بن الشيخ في قصيدته «صرخة الحق» داعيا إلى مد يد العون والمساعدة إلى هؤلاء المؤمنين العزل الذين يجابهون أقوى وأشرس منافس آنذاك في العالم:

تذكروا قومكم كالزرع يحصدهم
دب الكريملين والهيجاء تحتدم
تذكروا فئية قتلى لغيرتهم
على حمى الله ماخاروا ولاسلموا
وكم رضيع بكى حتى لقد ذبلت
عيناه ثم طواه الجوع والسقم
وكم مساجد من عمارها خربت
وأصبحت بالرقاق الحمر تزدحم
تذكروا اللاجئين الشعث ليس لهم
إلا ثلوج شتاء قارس خيم
يستنجدونكم يرجون نصرتكم
لو كان يسمع هذا الصوت معتصم

ثم يواصل مستنهضا الهمم، معبئا الطاقات، متسائلا في تعجب واستنكار عن نهاية مسلسل الهزيمة والعار الذي أعدت الشعوب الإسلامية إعدادا جيداً لقبوله واستساغته، إن الشعوب تنوء بحمل ثقيل فهي لا تفيق من صدمة إلا لتستقبل أخرى، ففي الأمس البعيد صدمنا بالأندلس وتعايشنا مع تأثيرات الصدمة زمنا طويلاً حتى أنستناها صدمة فلسطين في الأمس القريب «منذ أقل من نصف قرن»، وها نحن اليوم نستقبل صدمة أفغانستان المسلمة، جروح نازفة في جسم هذه الأمة ولا ندري ما تدخره الأيام لنا في الغد القريب أو البعيد، مع أننا لا نستبعد إذا استمر حالنا على هذه الصورة أن تكون المآسي السابقة تهيئة وتحضيرا لصدمة بيت الله الحرام آخر المقدسات الإسلامية يقول:

فما لكم كلما يهوي لكم علم
ولا يعود هوى في إثره علم
كانت بخاري وتركستان موعدنا
إذا بلاد أفغانستان تخرم
وقبل ضاعت فلسطين وأندلس
جرحان يزداد لذعا فيهما الألم
فهل يدوم لنا البيت الحرام إذا
ظلت معاقلنا تغزى تنهزم

إن الواقع السابق واقع مرضي شاذ لأنه يحمل في طياته بذور فنائه واضمحلاله، لذلك حاول الشاعر أن ينفض الغبار عن مكمن القوة ومصدر العزة في هذه الأمة علها تفيق وتستفيظ لتأخذ موقعها المناسب بين الأمم والمجتمعات لذلك خاطبها بأمة الحق وما تحمله كلمة «حق» من معاني القوة والغلبة ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾ «٤» حاصرا أسباب القوة والتمكين في تطبيق ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام يقول:

يا أمة الحق هبوا حسبكم فرقى
كم لا يهاب لكم في ساحة حرم
عودوا إلى الحق عودوا ليس شملكم
إلا بفقو هدى القرآن ينتظم
هذي الصليبية السوداء ما برحت
بعقر داركم بالكيد تعتصم
وذي الشيوعية الحمراء قد زحفت
عليكم وجهها كالليل ملتطم
تلقي بعنف على كابول كلكلها
وتستغيث ولا يرعى لها حرم
أنانها تقرع الأسماع صارخة
أين الاباء وأين النبل والكرم
أين الأخوة في الإسلام تجمعنا
صفا عليه قوى الإلحاد ترتطم؟!

وهكذا انطلقت جحافل المجاهدين بأسلحة متواضعة مرددة التكبير والتهليل تهاجم معاقل الغزاة والحكومة الصورية فأبلوا بلاء حسنا أغاظ الأعداء وزلزل قلاعهم وأيقظ في المنطقة الإسلامية روح الجهاد والتضحية، مما دفع الروس في النهاية إلى الانسحاب يجرون أذيال الهزيمة والخسران، فها هو محمد بن المختار يحيي بطولة وجهاد الشعب الأفغاني الذي سطر بدمائه الطاهرة أروع الملاحم الجهادية رغم شظف العيش وقساوة الطبيعة مقدما بذلك دروسا خالدة في التضحية والجهاد للمستضعفين. (وما أكثرهم في عالمنا) علها تكون لهم نموذجا يحتذى به في ميدان الجهاد والكفاح يقول:

حي جيحون نهرنا المعطاء
ثم عانق مياهه الزرقاء
وعلى ضفتيه حي جهادا
لرجال يستوطنون العراء
تخذوا الترب والصخور فراشا
في الميادين والسماء بناء
حملوا في يد سلاحا ومدوا
بدعاء لهم يدا بيضاء
سطروا بالدماء آيات مجد
وغدوا عند ربهم أحياء
ذكرتنا ايامهم يوم كنا
نرفض الذل نزدهي كبرياء

إنه الفجر قد اطل بشرق
سوف يغزو ضياؤه الظلماء

وإذا كانت مدونتنا سلطت الضوء على صورة الواقع بشقيه المحلي والدولي توجيها وتحريضا، فإنها لم تقف عند هذا الحد، بل استشرفت المستقبل مقدمة الحل مستعرضة البديل سعيا إلى مغالبة التحدي ومواجهة الواقع فكيف تجلى ذلك عبر هذا الديوان؟

٢ ـ البديل الإصلاحي المنشود:

نقصد بالبديل الإصلاحي المنشود تلك الصيحات المدوية التي جاءت مفصلة القول في شأن المنهاج الإسلامي الأصيل داعية إلى الجهاد وإقامة السلطة المركزية.

أ ـ الدعوة إلى المنهج الإسلامي:

لقد سعى شعراء المدونة إلى توضيح مفهوم الإسلام الصحيح مبرزين أنه دين سماوي لا علاقة له بالدعوات الأرضية المتأرجحة بين دعاة العزلة والجمود، وأنصار العلمنة والتغريب.

منتهين إلى أنه منهج شامل للكون والحياة والإنسان يقول اباب بن أحمدو:

إن مفهوم ديننا لجلي
في أصول الشريعة الثابتات
ليس بين الإسلام أي ارتباط
وسواه من هذه الشعارات
ليس الإسلام عزلة وجمود
وخمولا وخلوة في فلاة
ليس الإسلام طلسما وطقوسا
إنما هو منهج للحياة

ثم أضاف مبرزا أن الإسلام دين عدل وتشاور وقوة ورحمة فهو بحق دين ودولة وعقيدة وشريعة ومصحف وسيف.

جاء للعالمين عدلا ونورا
مخرجا من غياهب الظلمات
جاء بشرى ورحمة ومساواة
في الحقوق والواجبات
جاء دينا ودولة ونظاما
وجهادا ودعوة للنجاة
هو سيف ومصحف وهو حكم
شامل للوجود والكائنات

وأكثر من ذلك نقرأ أبياتا للشيخ علي الرضى يعمق ضمنها مفهوم الإسلام وشموليتها منتقدا المشروع الغربي والنزعات الجهوية مستنهضا الهمم داعيا إلى اليقظة والحضور الفاعل يقول:

أيقظ شعوبك بعد طول منام
وارفع بعزمك راية الإسلام
.. الله أكبر لا نحكم غيره..
والغرب اضغاث من الأحلام
تحيا الشريعة في ظلال نموها
والنصر تحت لوائها المتسامي
ما لي أرى قومية جهوية
لم ترع في الإسلام أي ذمام
زعمت بأن الدين يخدم سعيها
فلتبق في صرح من الأوهام

ب ـ الدعوة إلى الجهاد:

لقد ظلت الدعوة إلى الجهاد حاضرة في الشعر الإسلامي مسايرة له في مختلف مراحله، فظهرت على أديم نصوص هذا الشعر في نماذج فترة الإمارات الحسانية «٥»، لتطفو على سطح منتوج رواد هذا الشعر في فترات الاحتلال والاستقلال، وقد عملت هذه الدعوة على تقديم خطاب شعري ساخن، مشبع، بلهب التمرد والثورة، مصبوغ بصباغ العنف والمواجهة يقول الشيخ محمد الامين مستنهضا الهمم، داعيا لجهاد من وصفهم بالأعراب:

وليس الأكرمون على الليالي
ولا وقع القنا بمحرمينا
وقد حرموا التعزز يعتليهم
من الأعراب أسفل سافلينا

ولقد كان إحساس الرجل بمشاغل مجتمعه قويا فكانت تسكنه همومهم وتؤرقه مشاكلهم إلى درجة دفعته إلى الطعن والتشكيك في رجولة المستسلمين الصامتين يقول:

وضاعت نسوة نكحت رجالا
بفعل الغانيات مكلفينا
فلم يكتب عليهم من قتال
ولا قتل على ما يزعمونا
وهل فيكم نساء محصنات
وما كنتم لها يوما حصونا
وهل خطيت نساء تحت بعل
إذا كان الرجال مخنثينا
عطابيل الأنام جفوتموها
بطبع في الخنازر لن يزينا

ثم ضرب لهم أمثلة من تاريخ هذه الأمة المشرق من أجل إحقاق الحق واسترداد الكرامة علّه يكون لهم نموذجاً يحتذى وطريقة تتبع يقول:

أصبرا بعد عباد بن بشر
وقوم وفي الجهاد مجد عينا
بنو العباس مازالوا كراما
يقتل جمعهم ويصلبونا
إلى أن أدركوا ثارا لقرن
وما أدركتم ثارا قرونا

ثم شرع في تبين ما أعده الله للمجاهدين من أجر ومثوبة مقررا بصيغة الجمع مخالفة هذا المجتمع على مستوى التصور والممارسة.

لرمز التضحية والجهاد والمبدئية حنظلة «٦» بن أبي عامر الأنصاري يقول:

منعتم من صعالكم دثورا
أو أجرا مثل أجر السابقينا
حذارا من مفارقة الغواني
والأنعام السوائم والبنينا
فساووا في المحبة بين عين
تفارقكم وأخرى توعدونا

بوعد الصدق في جنات عدن
فهل أنتم له بمصدقينا
ولكني رأيتكم جميعاً
لحنظلة الغسيل مخالفينا

والجدير بالذكر أن هذه الدعوة الجهادية لم تكن عفوية سطحية بل كانت واعية ومدركة لأهمية القوة في حسم المعارك لذلك دعت إلى إعدادها مستلهمة لدلالات قوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ «٧». فكيف تجلى ذلك الإعداد؟ لقد تجلى الإعداد عند هؤلاء في مظهرين اثنين: إعداد مادي عسكري، وإعداد معنوي لجيل مجاهد.

أ ـ الإعداد العسكري المادي:

يقول سيدي محمد داعيا إلى إعداد كل الوسائل الدفاعية والهجومية من بواتر ومدارن وسيوف هندية ذاكرا أن الرسول عليه الصلاة والسلام، لم يصن دينه ولم يحمه إلا بهذه الوسائل:

ما صان أحمد والصحابة دينهم
إلا بعز الله ذي الآلاء
وبواتر ومدارن مسنونة
وسوابغ وسوابق وإباء

أما محمد بن الطلبة فقد ندب مجتمعه إلى الابتعاد عن السلبية في مواجهة الأزمة معلنا أن حمل السلاح يعتبر الخيار الوحيد للأمة التي استبيح حريم دينها يقول:

ولا تعولوه بالدموع فإنه
بذلك تستشفى النساء الثواكل

ولكن بأطراف العوالي فإنها شفاء الصدور والمناكي القوابل

إلى أن يقول:

بأيمانهم مأثورة اندرية
فرنسية للمعتدين قواتل
ولم يحم دينا مستباحا حريمه
من المعتدي إلا القنا والقنابل

ب ـ الإعداد المعنوي:

لقد ركز الشعراء على إبراز قيمة الجهاد في الإسلام، مبينين أن لصاحبه إحدى الحسنين: النصر في الدنيا أو الشهادة في الآخرة، يقول الشيخ سيدي محمد مصورا مدى ارتفاع معنويات هذا الجيل ذاكرا أنه يتقدم إلى ساحة الهيجاء متبسما مطمئنا يدفعه إلى ذلك ضمانات غيبية مفادها أن المجاهد سواء قتل أو قُتل مكتوب في سجل السعداء:

يلقى العدا في كثرة متبسما
صوب الصفوف تبسم استهزاء
بمهند عضب كأن بريقه
ومض البروق بثرة وطفاء
وإذا المنية قد رآها غيره
صابا رآها هو كالصهباء
ليقينه أن المجاهد ميتا
أو قاتلا قطعا من السعداء
فبذا يكون الناس ناسا لا بما
من ذلة ألف الاوان أولاء

ويتواصل النغم الجهادي مع رواد فترة الاحتلال الذين شهروا السيف ضد العدو محذرين من موالاته والركون إليه.

يقول محمد العاقب بن مايابى محذراً من النصارى، مفندا لوعودهم في توفير الأمن والاستقرار، عائبا على مجتمعه تصديق مثل هذه الادعاءات والأكاذيب، مبينا أن كتاب الله وسير السابقين من السلف يشهدان على تكثهم للوعود ونقضهم للمواثيق، معبرا عن ذلك بعبارات تحمل شحنات دلالية كثيرة مثل: «أعيذكم»، «فضيحة»... الخ.

أعيذكم بالله من فضيحة الدنيا
ومن رأيكم المقيل
لا تشتروا دنيه بدينكم
لم يرضها غير الدني الأرذل
ترجون أمن الكافرين بعدما
نقاد نص المحكم المنزل
فنقضوا ميثاقه وأنتم
ترجون منهم وفا السموأل
تالله ما لكافر عهد ولا
له الية إذا ما يأتلي
فعلهم فيمن مضى مهيمن
وواعظ من قلبه لهم يغفل

ثم يضيف ذاكرا العواقب الوخيمة للركون للكفرة وتحكيمهم في شؤون المسلمين من تقتيل وتشريد وتعذيب منتزعا أمثلة من إطاره البدوي تبسيطا لهذا المجتمع عله يذكر ويتعظ ويدرك أن صداقة الفار والقط قناع سرعان ما تتجلى حقيقتها وتظهر نتائجها منزلا وعود النصارى في ذلك السياق يقول:

ومن يحكم كافرا في نفسه
لا غرو إن باء بشر مقتل
بل قصة الأسد مع ثيرانه
فيها لهم ذكرى وضرب مثل
هيهات أن يؤمن كافر وهل
ترجو سخال الضأن أمن الجيال
وعد النصارى كذب وعد لهم
جور ومبرهم وخيم الماكل
وسلمهم حرب وبذل ما لهم
تغلب بالكيد ولاتحيل
والسم في جوارهم وقربهم
ومسلم بنارهم لا يصطلي
«لا يلدغ المؤمن مرتين من
جحر» حديث سار سير المثل

أما ماء العينين بن العتيق فقد صور ما آل إليه الدين في المجتمع تصويرا مثيراً يستدعي النجدة السريعة، نظرا لعظمة الخطب وشدة وقع المصيبة لذا خاطبهم مخاطبة الشفق الرفيق الذي يشرق أسى ولوعة من معاناتهم داعيا إلى مراجعة النفس وتجديد العهد مع الله يقول:

فيا إخوة الإيمان دعوة مشفق
نصوح دجا مما دهاكم نهاره
الاهل لدين الله منكم مشيد
فقد كاد أن ينقض أصلا جداره
أبعتم بدنيا دينكم واعتصمتم
بحبل من الشيطان واه مغاره

ثم أضاف ساخرا من أولئك الذين يؤملون في حكم النصارى العدل والأمن واصفا اياهم بضيق الأفق وبساطة التفكير وسطحيته يقول:

ومن رام عند القاسط القسط ضلة
تبدى لعمري خبله واغتراره

ويضيف محمد العاقب متعجبا من أولئك الذين لا يجدون أمن ساعتهم ولا يومهم ومع ذلك يلحون على البقاء تحت حكم النصارى طلبا للأمن والطمأنينة يقول:

يظل لا ينال أمن يومه
وهو يرجي الأمن من المستقبل

وبعد أن أيقظ هؤلاء الشعراء المجتمع ووضعوه أمام مسؤولياته بينوا أهمية الاتحاد في تحقيق النصر ودعوا للجهاد يقول محمد العاقب:

يا معشر الإسلام لا تسالموا
فتنشبوا في كفه المحتبل
كونوا على العدو في الله يدا
ففي التنازع لزوم الفشل
على القوي كتب الجهاد لكن
هجرة على الضعيف الأعزل

أما في عهد الاستقلال فإن القوم نادوا في نصوصهم محرضين على الجهاد، مشجعين على الثورة والتمرد، مستخدمين لغة العنف وسلاح الرفض، مصححين جملة من المفاهيم والتصورات نشرها الغرب الصليبي وكرسها الإعلام المحلي، ومن أخطرها ربط الجهاد بالعمالة سعيا إلى تحطيم المجتمع معنويا بعد أن دمروه عسكريا. يقول أحمد الحسن ولد الشيخ مبرزا كيف انقلبت الموازين في هذا المجتمع فصار الجهاد خيانة وعمالة وأصبح دعاته مخربين تجب مطاردتهم ومحاصرتهم.

صار الجهاد خيانة كبرى وصا
ر دعاته لشعوبهم أعداء
.. ماذا ترجي القدس ممن قد أبوا
أن يحملوا باسم الجهاد لواء
ماذا ترجى القدس وهي أمانة
ممن نراه يحارب الأمناء

أما الشيخ إبراهيم بن يا مختار فقد رأى أن الجهاد أصبح فرض عين داعيا إلى الثبات والصمود مهما تكن الأوصاف والنعوت: إرهابيون، متعصبون.. يقول:

وإن كان إرهابا جهاد مجاهد
فإنا على الإرهاب لا نتحول
وإن كان يعزى للتعصب تارة
فإنا على ذاك التعصب نقتل
فليس سلاما بعد أن هتك الحمى
وعاث العدى في أرضنا بعد أن حلوا

وها هو الشيخ الرضى يعلن أن الحدث جلل والمصيبة عظيمة ذاكرا أن لحظة الجهاد والمواجهة قد حانت وأزفت داعيا إلى الالتحاق بكتائب الجهاد طلبا للنصر أو الشهادة يقول:

حان المسير فسر على نهج الهدى
بين الكتائب رافع الأعلام
ناد الدعاة وقدهم متوشحا
قبل اللقاء بسيفك الصمصام
دوام بنفسك في الجهاد مناضلا
واضرب رقاب القوم ضرب حسام
آليت إني لا أزال مجاهدا
حتى تزول شوامخ الأعلام
يا أمة الإسلام هذا دينكم
يشكو إليكم صولة الأيام
ديني سانصره وأحمي حزبه
حتى أرى يوم المماة حمامي

من خلال النصوص السابقة تبين أن الجهاد فريضة شرعية وضرورة لازمة لحماية المجتمع والذب عن ساحته تكريسيخا للعقيدة ونشرا للحق والعدالة، غير أن شعرائنا انتبهوا إلى أن هذا الجهاد متوقف على وجود سلطة مركزية تحميه وتنظم شؤونه، وتحافظ على استمراره وذلك ما دفعهم إلى الدعوة إلى نصب الإمام وإقامة السلطة المركزية: فكيف كان ذلك؟

ج ـ الدعوة إلى نصب الإمام وإقامة السلطة المركزية:

إذا كان الجهاد كما بينا فريضة شرعية وضرورة بشرية فإن فاعليته متوقفة على نصب الإمام، علما بأن نصب الإمام ذاته واجب، قد عرف وجوبه بالنصوص الشرعية القطعية، لذا حاول هؤلاء الشعراء إعادة بناء النسق السياسي والاجتماعي قصد ابراز العلة التي تسببت في الفساد وساعدت في نموه وانتشاره، فاكتشفوا أنا تلك العلة تتمثل في غياب سلطة مركزية إسلامية، لذلك طفقوا يدعون إلى إقامتها وأبرز دعاتها الشيخ محمد المامي الذي استعمل النثر والشعر في إظهار ضرورتها واقناع المجتمع «٨» يقول: «ومن أخف العادة عند الناس مخالفة للشرع وهو من أشد ما ترك نصب الإمام في هذا القطر مع أنه اجماعي الوجوب وما أكثر ما يترتب على تركه من المحرمات كالمواثبة والدخول بغير إذن وترك الحجاب والانهماك في جميع الجرائم الموجبة للحدود كالزنا والقذف لأمن المعاقبة عليها، وكذلك ما لم يبلغ حدا وهو سائر المعاصي «٩» ثم أضاف: إن تهاونهم بأداء هذا الواجب وتأخرهم عن ممارسة هذه المسؤولية

الكبرى ضيع فرصا كثيرة للإصلاح والبناء وفتح المجال واسعا لبلاد وشو الفساد والانحراف إلى درجة ضاعت معها معالم الحياة الإسلامية في البلد وطمست آثارها يقول متحدثا عن دار البادية «أنها بعد تسليم أنها دار فالأعز فيها الكفر والجاهلية والأذل فيها الإيمان كما ترى نسأل الله السلامة» وبعد تأكيده على ضرورة نصب الإمام قرر أنهم قادرون على نصبه ولو وفروا الشروط الموضوعية لوجوده من اتحاد وتوظيف للقدرات وتنظيم للطاقات يقول:

امـــا تدرون كل بني تميم
من الصخر العظيمة يحملونا
ويعجز بعضهم عنها وليسوا
إذا اجتمعوا عليها يعجزونا
كذلك انتم حيث اجتمعتم
على نصب الخليفة تقدرونا

ويقول أيضاً إن القوة مع غياب الضبط والتنظيم ضعف والضعف مع القيادة الواعية والبرمجة للحكمة قوة.

والف ثعلب يقودها أسد
خير من الف أسد إن لم تقد

ثم شرع في تعداد النتائج المترتبة على وجود السلطة من إحقاق للحق وإرساء للعدالة وتقويم للأخلاق ونشر للفضيلة، بل إنها ستوفر فرصة ذهبية للتشاور حول حاضر البلاد ومستقبلها يقول:

وينصب حاكم بالعدل يقضي
فلستم بعده تتنازعونا
فينفي ظلم بعضكم لبعض
وبالحد المقام تطهرونا
ويضحى أمركم شورى لديكم
وتتفقون فيما تصنعونا
وتعرض عنكم حسان لما
رضيتم ملة الإسلام دينا

ثم يهددهم بالتكفير وإخراجهم من الملة إن هم لم يستجيبوا لدعوته، دعوة المولى عزوجل يقول:

لتمتثلن او لأكفرنكم
كحسان الأولاء تكفرونا

أما محنض بابه بن عبيد فقد دعم هذه الدعوة وأعلن مساندته لها في رسالة شعرية إلى الشيخ محمد المامي ـ رائد هذه الدعوة ـ تعكس تأييدا مطلقا لكل خطواته الرامية إلى إعادة صياغة المجتمع صياغة جديدة تضمن الأمن والاستقرار يقول:

تبليغ كل تحية وسلام
مني إلى ذي المحتدين السامي
أهديهما نحو الحبيب محمد
نجل الشيوخ السادة الأعلام
.. لازال سعيك في الأمور موفقا
يبدو برشد البدء والإتمام
كيف الجهاد وكيف كف محارب
من معشر فوضى بغير إمام
أم كيف يقهر من أبى عن حكمه
إلا بسطوة ناصر الحكام

ويقول الفع بن سيد أحمد مخاطبا الشيخ محمد المامي ومحنض بابه بن عبيد مباركا لهما خطواتهما وداعيا إياهما إلى نبذ كل المشاغل التي قد تحول دون تحقيق هذا الهدف النبيل الذي يتوقف عليه وجود الدين وغيابه في هذا المجتمع:

أمحمدا ومحمدا لازلتما
بحرين كلكما خضم طام
لله دركما اسعيا ولتجهدا
في نصر دينكما لنصب إمام
ولتنبذا ما كان شغلا شاغلا
حتى تعز ملة الإسلام

وصفوة القول إن المضمون الإصلاحي في هذا الديوان قد كشف لنا عن تطور الشعر الإسلامي في موريتانيا حيث انطلق أيام الإمارات الحسانية ليعكس هموم الأمة في فترة الاحتلال، منتهيا إلى محاورة قضايا الواقع بتجلياته المختلفة في دولة الاستقلال.

وقد تجلت هذه المضامين المذكورة عبر بنية ثلاثية كان فيها تغيير صورة الواقع مطلبا جوهريا آحال على الجهاد وسيلة ثم قاد الجهاد إلى نصب الإمام وإقامة السلطة المركزية.

■■ الهوامش:

١ ـ لمزيد من التوسع في هذا الموضوع، انظر عملنا: الالتزام في الشعر الإسلامي الموريتاني: دبلوم الدراسات العليا ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة محمد الأول بوجدة سنة ١٩٩٢م

٢ ـ سورة الإسراء ـ الآية ٨١

٣ ـ الإمارات الحسانية: هي الإمارات التي حكمت البلاد قبل الاحتلال الفرنسي، وتشمل عدة قبائل حسانية منها الترارزة وأولاد يحيى من عثمان.. الخ.

٤ ـ حنظلة بن أبي عامر الأنصاري المعروف بغسيل الملائكة، خرج إلى المعركة وهو جنب ملبيا داعي الجهاد فاستشهد في غزوة أحد «الإصابة ج ١ ـ ص ٣٦٠».

٥ ـ سورة الأنفال، الآية ٦٠

٦ ـ عبدالله بن أحمد بن حمدي: الرؤية الإصلاحية عند الشيخ محمد المامي مذكرة تخرج من المدرسة العليا لتكوين الأساتذة والمفتشين سنة ١٩٨٦

٧ ـ الشيخ محمد المامي: كتاب البادية ص ٧٤ مخطوط بحوزتي وموجود في زاوية الشيخ محمد المامي ـ تيارت ـ نواكشوط

٨ ـ الشيخ محمد المامي: مزهرة الأحكام الوردية في الأحكام المدنية، نظم الأحكام السلطانية للماوردي ص ٥ ـ مخطوط ـ مكتبة زاوية الشيخ محمد المامي ـ نواكشوط.

٩ ـ الشيخ محمد المامي: السلطانية ص: ٦ مخطوط بحوزتي: مكتبة زاوية الشيخ محمد المامي ـ نواكشوط.

□□□

شعر

سلمان رشدي أبعد عن الإسلام وكفر، وآياته آيات شيطانية فكانت هذه القصيدة

وإن كان سلمان منهم

شعر: د. عبدالرازق حسين

وَإنْ كـــانَ سَلمـــانُ مِنْهُمْ ... وَبَهْـجَـةُ حَـرْف يُطِلُّ عَلَيْنا
يُحَـدِّثُ يَهْـدِي بِكُلِّ الكَبـائِرْ ... وَيهـدي إلَيْنا الضُّحَى والهُدَى
وَيَقْـتَـادُهُ الكُفْرُ حَيْثُ المَواخِرْ ... وَسُـــــــورَةُ طه
فَـــهَـــوِّنْ عَلَيْكَ ... وَإنْ كَانَ سَلْمَانُ مِنْهُمْ فلا تَبْتَئِسْ
وَهَوِّنْ عَلَيْكَ وَلا تَبْـتَـئِسْ ... فَمَا دَامَ فِينا الَّذي يَحْمِلُ المُصْحَفا
فَـــالازِمُ إبْلِيسَ يَوْمـــاً ... وَفِينا اشْتِيـاقٌ وَفِينا وَفَا
سَيَلْقَوْنَ غَيّاً وَعَصْفاً ... لِنُورِ حَبِيبِ السَّمَا المُصْطَفى
وَيَوْمُ القَلِيبِ قَرِيبٌ قَرِيبْ ... سَنَمْزِجُ ماءَ العَقِيدَةِ صِرْفَا
نُقَلِّبُ فِيهِ الشَّياطِينَ رَجْماً وَقَذْفَا ... فَيَجْرِي نَقِيّاً فُراتاً مُصَفّى
وَإنْ كَانَ سَلْمَانُ مِنْهُمْ عَصَا ... وَيَزْكُـــــو الأرِيجُ
فَلا تَبْتَئِسْ، وَهَوِّنْ عَلَيْكَ ... أرِيجُ الطَّهَارَةِ نَدّاً وعَرْفَا
فَسَلْمَانُ* مِنّا وَخَالِدُ ... وَنُوسِعُ عِبْقَ الرِّياحِينِ لَثْماً وَرَشْفَا
وَكُلُّ الصَّحَابَةِ كُلُّ الأماجِدْ

□□□

* المقصود هنا الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه

■■ مسدس حالي هو الملحمة الأردية التي نظمهاحالي من أجل إصلاح حياة المسلمين الاجتماعية في الهند في محاولة للنهوض بهم من كبوتهم لاستعادة مكانتهم في طليعة شعوب الهند بعد أن فقدوا دورهم الطليعي في حكم الهند بنهاية الدولة المغولية واحتلال الانجليز للهند وحكمهم لها وقد خيمت سحب اليأس على المجتمع الهندي عامة وعلى المسلمين خاصة بعد فشل ثورة التحرير عام ١٨٥٧م وما آلت اليه حياة المسلمين من تدهور واضمحلال والتفكك الاجتماعي جعلت حالي ينظم هذه المنظومة الطويلة والمعروفة أيضا بـ «مد وجزر إسلام» عام ١٨٧٩م ليدعو المسلمين إلى استعادة أمجادهم وماضيهم المشرق وقد نظم حالي «المسدس» بإيعاز من السير سيد أحمد خان الذي وجهه لنظم الشعر الاجتماعي الهادف، ويقول حالي في ترجمته: لقد شجعني السير سيد بقوله إنه من المفيد لو وضحت بالشعر حالة الضعف والذل الراهنة للمسلمين لهذا نظمت «المسدس» وقد أشار حالي إلى فضل توجيه السير سيد له في نظم المسدس في مقدمته.

وتعد هذه المنظومة فريدة من نوعها في الشعر الأردى وبداية لعهد جديد في نظام الشعر الأردي الهادف، الذى يفيد المجتمع ويعود عليه بالنفع ويعمل على إصلاحه وبذلك أصبح للشعر دور هام في الحياة بعد ما كان يقتصر على مجرد المتعة الفنية الخالصة بغض النظر عن الجانب الأخلاقي، وكان لهذا المسدس دور كبير في نهوض المجتمع الهندي من تأخره واضمحلاله حتى صار يتردد على ألسنة الكبار والصغار وصار مضرباً للأمثال وبه ذاع صيت حالي وشهره في أكناف الهند وأطرافها.

وعلى الرغم من أن حالي لم يأت بجديد من الناحية الفنية وناحية القالب الشعري إلا أنه جاء بجديد من ناحية المضمون حيث استخدم الشعر لأول مرة في مهمة إصلاحية.

وتحدث حالي في مقدمة المسدس عن الأوضاع الاجتماعية في الهند وصور حالة المجتمع السائدة من فوضى وعدم الشعور بالأمان.. فالحياة السياسية مضطربة وانتشرت البدع والخرافات في الدين، وحلت محل الشرع وانتشر الجهل بين أئمة المسلمين وأصبحت حالة القوم متردية وصار العزيز ذليلا ومُرغ الشريف في التراب وكانت نهاية العلم، وأفسد الفقر كل بيت وتفشت المجاعات وفسدت الأخلاق تماماً، وخيمت على الناس سحب التعصب الكثيفة وتقيد الناس بأغلال العرف والتقاليد، وتسلط الجهل والبدع على رقاب العباد. فالأمراء غافلون عن مهامهم، والعلماء الذين يعول عليهم في إصلاح المجتمع كانوا جاهلين بضروريات العصر ومقتضياته وحتى الآن لم ينظم أحد شعراً من أجل إيقاظ

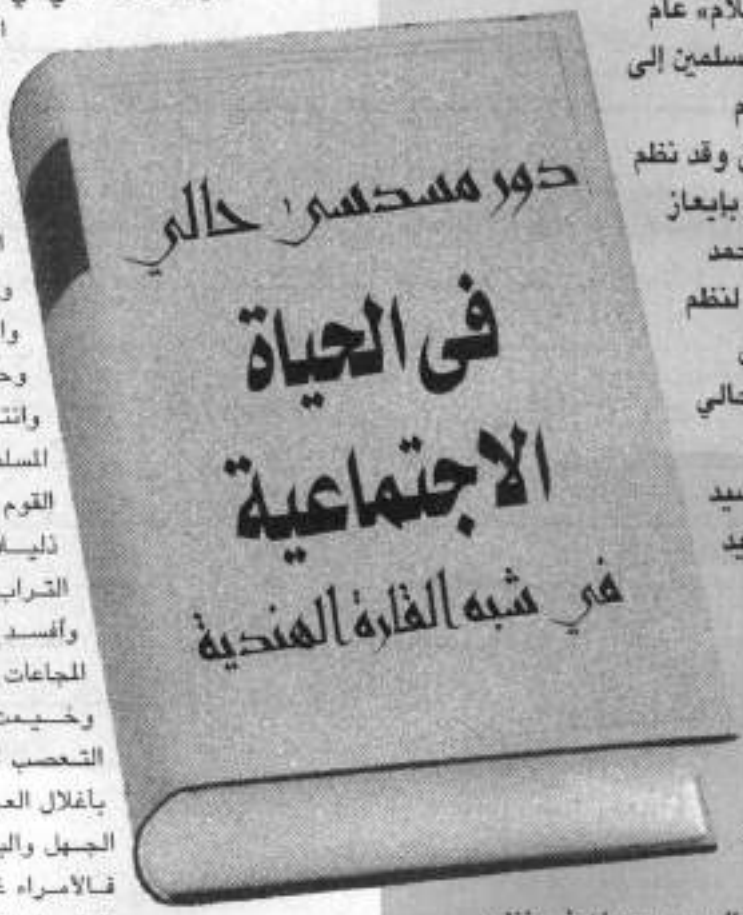

بقلم: د. جلال السعيد الحفناوي

المسلمين وتنبيههم.

وبين حالي في المسدس أسباب ضعف وتأخر مجتمع المسلمين بعد أن كانوا أولي بأس شديد وسرد تاريخهم الزاهر الذي سادوا فيه الهند وأجزاء كبيرة من العالم، ووضع لهم الحلول التي تنهض بمجتمعهم مرة أخرى ثم اتجه إلى تصوير الإطار الإجمالي لمجتمع العرب في الجاهلية في الجزيرة العربية قبل الإسلام وبداية ظهور النبي ﷺ، وتناول تعاليمه بأسلوب جذاب مؤثر مبينا ما كان عليه المسلمون من عزة وجاه بسبب الإسلام في ذلك الوقت، ثم يذكر أوضاع المسلمين السيئة وضعفهم وانحلالهم وتكاسلهم بطريقة معبرة يندى لها الجبين خجلا، وفي نهاية «المسدس» بيث قيم شعاع الأمل ليخرجهم من ظلمات يأسهم، ويحفزهم على العمل وبذل الجهد ويشجعهم على تحصيل العلوم الجديدة ليواكبوا ضروريات العصر مع الاحتفاظ بأخلاقهم ودينهم ثم يختم المسدس بالتوجه إلى الله تعالى بالدعاء للمسلمين.

وكان حالي يعرف أنه يقدم «المسدس» نموذجاً جديداً، وكان يعلم أن أنصار الشعر القديم لن يستحسنوا هذه البدعة، وكان تقديره في موضعه.. فعندما وصلت الطبعة الأولى من المسدس إلى أيدي الناس عام ١٨٧٩م انتشرت صيحات المعارضة في أنحاء الهند واحتدم النقاش حوله ونقدوا طريقة حالي في كشف العيوب أمام الأعداء، وعلى العكس من ذلك قبلته بعض الأوساط والدوائر لما فيه من حماسة شديدة جعلته بمثابة رسالة تبعث الروح في حياة المجتمع وكشعاع نور في ظلمات اليأس يهدي المسلمين إلى جاد الطريق وأثر المسدس تأثيرا عميقاً في قلوب المسلمين وبعد فترة من الوقت هدأت عواصف المعارضة وقرأه الجميع الخاصة والعامة والعالم والجاهل والفقير والغني والصغير والكبير والمرأة والرجل ونكسوا رؤوسهم وانخرطوا في البكاء على حالتهم المتردية.

وفي غضون سبعة أعوام نال هذا المسدس شهرة عريضة في أطراف الهند وأكنافها وقد اشتمل موضوعه على كثير من اللوم والطعن والنقد الذي أظهر عيوب القوم ومساوئهم وعملت فيهم اللغة والكلمات عمل السيف والرمح فقد كان التعصب مانعاً من سماع كلمة الحق، ومع كل هذا انتشر المسدس في أرجاء الهند في مدة قصيرة ونشر في طبعات عديدة وقد اختارته بعض المدارس القومية لتعليم الأطفال وكان يقرأ في مجالس الاحتفال بمولد النبي ﷺ، وترددت أبياته على الألسنة ومثلت موضوعاته على المسرح القومي في بعض المدن ورتب على طريقته وفي بحره العديد من القصائد في قالب المسدس، وكشفت عنه أكثر الجرائد والمجلات أبحاثا مؤيدة أو معارضة له وأدرج ضمن المناهج التعليمية في المدارس الحكومية في المحافظات الشمالية نظيراً لشهرته ومن الأسباب الكبيرة التي جعلت مسدس حالي يحوز هذه الشهرة هو تصويره للواقع والحقيقة بصدق وإخلاص وحرقة وألم وهذه الصفات تسري في كل بيت من المسدس، والسبب الثاني ببساطة اللغة وسلاستها.. والمسدس رسالة للمسلمين جميعاً ولم يكن منحازاً إلى أي طبقة أو فرقة بعينها، لهذا استطاع كل فرد أن يستوعب هذه الرسالة الإصلاحية بسهولة لأن حالي استعمل لغة الحديث اليومية دون تكلف.

والمسدس كتاب إلهام ويعتبر معلماً بارزاً في تطور الشعر الأردي وكالنجم الهادي الذي لاح في سماء الأدب الأردي وهو أساس الشعر القومي والوطني في الهند. ولم يخاطب حالي أصحاب دين معين بل يخاطب جميع مواطني الهند وقد قلد حالي كثيرا من الشعراء في نظام القصائد في قالب المسدس، ولكن لم يصل حتى الآن أي منهم إلى منزلة حالي من حيث الحماسة وقوة الخيال وجمال الأسلوب فقد عد حالي فيه مآثر المسلمين الأوائل، ووضح فيه عظمة الإسلام السالفة وقوة المسلمين الأولين وسمو أفكارهم ويوجه حالي نداءإلى المسلمين بأن يعقدوا العزم لاستعادة سابق مجدهم ومنزلة الصدارة في تاريخ العالم.

فالقيم التي عرضهاحالي في المسدس متحررة من قيد عاملي الزمان والمكان. فالعمل والإخوة والعدل والمساواة الاجتماعية واحترام العلم ونبذ الشهرة والأنساب وغيرها

لأول مرة.. إستخدم حالي الشعر في «المسدس» ليقوم بمهمة إصلاحية في المجتمع الهندي.

من الصفات المزمومة تعتبر ضرورية لكل شعب والعلماء يعرفون جيداً ان دور مسدس حالي في إيقاظ المسلمين ونهضتهم لا يقل بأي حال من الأحوال عن تأسيس حركة وكان السير سيد أحمد خان يعرف أهمية السدس فقد نظمه حالي بتشجيع منه بلا شك «فانا المحرك والحافز لهذا العمل واعتبره من أعمالي المجيدة وعندما يسألني الله سبحانه وتعالى يوم القيامة ماذا أحضرت؟ فسأقول إنني جعلت حالي ينظم المسدس ولا شيء غير ذلك فقد انتشل حالي قومه من انحطاطهم بالإضافةإلى أنه أحدث تغييرات هائلة في تفكير المسلمين وطريقة حياتهم في الخمسين سنة التي أعقبت نشر المسدس».. وقد وصلت رسالة المسدس في نهضة المسلمين إلى رجل الشارع والعامة، بحيث لا يناهزه في ذلك كل من المؤتمر التعليمي الإسلامي أو كلية علي عليكره، فكلاهما كان محدودا بأوساط المثقفين، أما المسدس فكان لسهولة لغته وبساطة أفكاره مقبولا لدى الخاصة والعامة على السواء، فكثير من الناس عارض حركةعليكرة ولكن مَنْ من الناس عارض مسدس حالي؟ وقد غير المسدس ٧٠ مليون شخص ويعتبر من أهم خمسة أو ستة قصائد طويلة في العالم وإن لم ينظم حالي سوى هذه المرثية في قومه فإنه يعتبر في عداد مصلحي قومه جنباً إلى جنب مع السير سيد أحمد خان ومحسن الملك، وكان مسدس حالي مرآة لانحطاط المسلمين وتأخرهم ولم يكن حالي يرغب أن يظل المسلمون في مستنقع الإحباط واليأس ولكنه بعد أن يشعرهم بعيوبهم ونقائصهم يهيئهم للعمل ويدفعهم دفعا ليستعيدوا عظمة أسلافهم مرة أخرى ويقول خواجة غلام الصيدين: «إن حالي رفع النقاب عن الوجه المضيء لتعاليم الإسلام والذي كان قد حجب عن المسلمين في أوقات التعصب وسوء الفهم، وبرهن على عظمة الدين الاسلامي الذى جاء ليقيم حكومة الأخلاق والمحبة حتى تسود الاخوة بين الناس.. ويقول الدكتور غلام حسين: إن مسدس حالي من روائع هذا العصر والذي ساهم في الحركة الإصلاحية التي نادى بها السير سيد وخاصة فيما يتعلق بالناحية التعليمية، فلم تستطع مقالات السير سيد ورفاقه في مجلة تهذيب الأخلاق أن تبث الروح في جسد المسلمين الخامد مثلما فعل مسدس حالي.

وقد أعاد حالي في مسدسه الشعور القومي إلى قوته. فهو يبكي ويبكي الآخرين وهو يشعر أيضا بعظمة الإسلام ويسموه ويشعر الآخرين بذلك. فهذا الشعر الحزين استغاثةمن القلب، ونداء من مسلم صادق تخرج من أعماق قلبه، وهو رسالة مصلح وصيحة مرشد ويبدو صو تحالي في هذا الشعر غارقا في الألم.

وفيما يلي نماذج من «مسدس حالي» يبكي أوضاع المسلمين المتردية وفساد العلماء ورجال الدين ويتحسر على انقضاء عهد علماء الشريعة والمفسرين والمحدثين والمناظرين وتوقف المدارس التي تعلم الدين وتخرج القضاة والمفتين وضياع الكتب الدينية الثمينة، وجهل رجال الدين الذي تسبب في تأخر المسلمين فيقول:

ـ أين علماء الشريعة المهرة، وأين الذين لهم بصيرة بأخبار الدين.

ـ أين علماء علم الاصول والمناظرون وأين المفسرون وأين المحدثون.

ـ فالمجلس الذي كان مضاء بالأمس، لم يبق منه الآن ضوء مصباح خافت.

ـ أين المدارس التي تعلم الدين، وأين مراحل العلم واليقين.

ـ أين أركان الشرع المتين، وأين ورثة الرسول الأمين.

ـ لم يبق أي ملجا أو ماوى للأمة، فلا قاض ولا مفت ولا شيخ.

ـ أين خزائن الكتب الدينية، وأين اختفت مشاهد العلم الإلهي.

ـ لقد مرت بهذا المجلس ريح صرصر عاتية، أطفأت جميع مشاعل نور الحق.

ـ ولم يبق أي متاع في المجلس فلا إبريق ولا ربابة، ولا مطرب ولا ساق.

ـ وكثير من الناس بعد ما ادعوا انهم يرجون الخير للأمة واعترف السفهاء بفضلهم، بدأوا يتجولون في القرى ويجدون في جمع المال والثروة.

ـ هؤلاء هم مرشدوا الاسلام، وهم الذين يلقبون باسم ورثة الانبياء.

«المسدس» كتاب إلهام.. تحررت القيم التي عرضها حالي خلاله من قيدي.. الزمان والمكان.

- وكثير منهم يفتخرون بان اسلافهم كانوا من أولياء الله.

- ويظهرون كرامتهم ومعجزاتهم الزائفة أمام الناس، وهكذا ينهبون أتباعهم. ويعتبرون أن هؤلاء الناس هم الذين يسيرون على طريق الشريعة وأن منزلتهم أسمى من الشريعة.

- وهم الذين انتهى إليهم الكشف والكرامات، وفي قبضتهم أقدار العباد.

- فهم المرادون وهم المريدون الذي يقصد إليهم

- يخطبون بالشيء الذي يزيد الكراهية ويكتبون الحديث الذي تنفطر منه الاكباد.

- يحقرون العباد المذنبين، ويكفرون الأخ المسلم

- هذه هي طريقة علمائنا، وهذا هو أسلوب مرشدينا.

- لو ذهب أحد إليهم ليسالهم أي مسالة يرجع من عندهم وهو يحمل عبئا ثقيلاً على كاهله.

- وإذا شك أحد في كلامهم لسوء حظه، فإنه لابد أن يقال: إنه من أهل النار.

- ولو حاول أحد الاعتراض عليهم، فمن الصعب أن يعود آمنا.

- إنهم لو أرادوا فانهم يجعلون النبي إلهاً، ويرفعون منزلة الإمام على منزلة النبي!!

- ويقدمون النذور والقرابين على أضرحة الأولياء، ويتلون دعواتهم أمام قبور الشهداء.

فهذا كله في رأيهم التوحيد، ولا يضعف الإسلام، ولا يحدث أى نقص في الإيمان.

- ذلك الدين الذي كان سببا في نشر التوحيد في العالم، وتجلي الحق به في كل زمان ومكان.

- والذي قضى تماماً على الشرك، ذلك الدين قد حدث فيه تغيير في الهند.

- والثروة التي كان الإسلام معتزا وفخوراً بها، فقدت أيضا مع آخر مسلم.

وقد ترجم مسدس حالي إلى عدة لغات عالمية ومحلية لشهرته، فترجم إلى اللغة الإنجليزية والروسية ولغة الباشتو واللغة الهندية والبنغالية والبنجابية.. وتقول صالحة عباد حسين: لقد انقضت سنوات عديدة منذ أن طبع المسدس للمرة الاولى في عام ١٨٧٩م، ومن الصعب الآن تقدير أثره الاخلاقي والإصلاحي على المجتمع الهندي. ويقول أحد المستشرقين: نجد في الهند مرثاة حالي الرائعة المسماة مسدس مد وجزر إسلام ١٨٧٩م فهي تستعيد الأبهة الإسلامية الزائلة بأسلوب مشرق وتنفذ إلى أعماق الجمهور.

وقد قام الشاعر اليمني القاضي محمد محمود الزبيري بترجمة مسدس حالي شعراً وقد اطلعت على نماذج من هذه الترجمة في مجلة «المسلمون» التي كان الإخوان المسلمون يصدرونها في عامي ١٩٥٢ و ١٩٥٣م.. وهذه الابيات سبعة وستون بيتا نشرت في العددين السادس والسابع عام ١٩٥٢م، ويقول الشاعر في مقدمته على هذه الترجمة: «هذه المنظومة التي وضعها حالي لاستنهاض عزائم المسلمين هي أعظم مؤلفاته، كما أنها من أعظم ما أنتجته آداب الهند الإسلامية على الإطلاق، وكان لها أثر بعيد المدى في إيقاد روح الوعي الإسلامي في شبه القارة، وقد ترجمت هذه المنظومة إلى لغات عديدة. ولما كانت اللغة العربية أدنى قرابة إلى هذه اللغة (الاردية) وأحق بتراثها الأدبي وكنوزها الإسلامية، فإنا نرى أن ترجمة هذه المنظومة الأردية إليها كان يجب أن يسبق جميع التراجم الأخرى، ومع ذلك فإنا وقد جئنا إلى ترجمتها متأخرين نرى أن العالم العربي لا يزال في حاجة إلى مثل هذه الهزة الروحية التي توقظ في أعماقه أمجاد العافية.

■■■

وفيما يلي نماذج من هذه الترجمة التي لم يلتزم فيها الشاعر بقالب المسدس عند الترجمة كما أنها ليست ترجمة حرفية بل حاول الشاعر جاهدا أن يوصل المعنى إلى القارىء فأضاف أبياتا من عنده:

أتى سائل بقراط يحذر خطبه
ويساله فتوى تعالج كربه
ألا أي داء في البرية مهلك
إذا مس إنسانا قضى نحبه؟
فقال لم يخلق الله مرة

لشهرته.. ترجم المسدس إلى عدة لغات عالمية ومحلية

ووصفه أحد المستشرقين بالمرثاة الرائعة.

لنا مرضا إلا ويخلق طبه
ولكن داءً هينا لا نخافه
هو الداء يستشري ويقتل ربه
وأخطر أمراض علينا معيبة
هو المرض السهل الذي لن نطبه
نرى أمره هونا ونترك شره
بأقطارنا ينمو ويجمع إليه
ونعتد أقوال الطبيب بشان
خرفاه شيخ أصبح الهجر دأبه

ففي النموذج السابق نجد أن الابيات الثلاثة الأولى هي ترجمة للمسدس الأول. اما الأربعة أبيات فقد ذكرها الشاعر من أجل توضيح الفكرة للقارىء العربي ثم يقول:

إذا هو في التشخيص أعلن رأيه
زعمناه بالتشخيص يعلن عيه
وقمنا عليه هازئين نذيقه الهوان
ونسقيه من الصاب ربه
ونلقه سلقا بالسنة لنا
حداد تعزيه وتنسج خزيه
كأن به مس الجنون كاننا
حواليه أطفال تحاول كبه
نحاذر أسباب الشفاء وإن يكن
نطاسيهي الأسى لنا أو نبيه
كذاك يمد الداء في الروح مده
ويبلع بالتدريج فينا أشده
وينزع منا الأنس بالطب والدوا
الى أن نذوق اليأس والموت بعده
ونكره أن نلقى الطبيب بدائنا
ولو كان سر الحي والميت عنده
كذلك حال الشعب يوم تقوله
الفوائل في الدنيا ويفقد رشده

وعند مقارنة هذه الأبيات بالأصل الأردي نجد أن الثلاثة أبيات الأولى هي الترجمة الحقيقية للمسدس الثاني والستة أبيات الأخرى هي شرح للأبيات الثلاثة الأولى.

□□□

المسـ

رعى الله أياماً تعود إلى الذكرى
إلى المسجد الأقصى.. وآيته الكبرى
سرى خير خلق الله ليلا فأمّهُ
فحييت من سار وحييت من مسرى
هي القدس من كالقدس شعباً وأمة
فأجبالها خضر.. ووديانها خضرا
مباركة قبلاً.. وبعداً وحيثما..
توجهت تاتي من مداخلها.. البشرى
وجاء الصليبيون حقداً وثارة
فعاثوا بها بطشاً.. وطافوا بها ظهراً
وجاء صلاح الدين آية أمة
فاشبعهم عفواً.. وأخرجهم قسرا
ومرت عقود والعدو يريدها
ليزرع فيها الظلم.. والقهر.. والكفرا
وجاءت يهود الأمس تبني حصونها
مؤامرة.. تتلو.. مؤامرة.. أخرى
وهنا نحن.. والأيام تكشف نفسها
فليس لهم أمر.. فنبدي لهم أمرا
فواحدهم يأتي اللقاء مكابرا
وأنفاسه حرى.. أعينه حمرا
يصافح باليمنى.. وتابى عيونه
وخنجره المسموم في يده اليسرى
نمد له منا يداً مستقيمة
فيلوي بها غيظاً.. ويطعننا غدرا
ولو أن صف المسلمين موحد
ورايتهم تعلو عليهم لما استجرا
وقد ضاقت الدنيا وذل عزيزها
وصارت لياليها وأيامها خسرا

ذكرى

شعر
داود معلا

فيا أيها البيت المهيب ألم تزل
دماء أخي.. والكفر يتحره نحرا
تسيل على طول المسيل وأمه
تصيح وعين العلج.. تنظرها شزرا
ويا أيها البيت المهيب إلى متى
تحملني وزراً.. ولم أقترف وزرا
ولكنني أدري وإن كنت غائباً
بأن ليس عذرا ما أقدمه عذرا
ولكنه الأقصى حبيبي والمسرى
وإن كان موتي في معابره أحرى
وهل أمل إلا الشهادة حوله
أموت بها عشرا فأحيا بها عشرا
زلفت إلى «باب العمود» فجزته
إلى «باب خان الزيت»* فاحتبست عبرى
فقلت أيا عمرا سفحت كثيره
وظل قليل.. كيف أحتمل العمرا
وكنت وكان الليل يطوي سكونه
فأسعى إلى الأقصى أصلي به الفجرا
ومازال في نفسي أريج وإنني
لأقسم إن ضاع يملأني عطرا
وأنظر حولي والمكان طفولتي
وبعض شبابي جاهد الهمّ والقهرا
فأينهما عينا أبي تنظرانه
وقد قال من يأتي عليلا هنا يبرى
ومنْ صبرنا تُخفي الليالي نجرُها
على كيد مما نكابده.. حرّى
ومما تعلمنا من الصبر أننا
مللنا.. وحتى صبرُنا لم يعد صبرا

وأمي.. وطافت بي سنيّ مليئة
وعمرٌ.. وشوق بات يفضحني جهراً
لك الله يا أمي.. وماتت حزينة
وأسبلت الدنيا على قبرها ستراً
تموت وإني ها هنا أرفع الحصى
وتسأل عني وهي في الضفة الأخرى
وضج حنين أيُّ عيش أعيشه
وضج نخيل يسأل الماء.. والنهرا
أما من لقاء بينما الموت ماثل
وما من وداع بينما عبرتي حسرى
توزعنا الأيام شرقاً وقبلةً
وتمنع منا البعض أن يبلغ الجسرا
أنبكي.. وقد تُبكي الرجال مواقف
ولكنها في الحرب تحتمل الجمرا
أقول لكل المؤمنين تذكروا
بأن لنا يوماً مع الساعة الكبرى
وأن لنا يوماً كأن سماءه
بغير سماء لا ضياءً ولا بدرا
ولكنه يوم سياتي وإن بدا
بعيداً.. وفي طياته يحمل النصرا
فيقتل هذا الحقد فيهم وينثني
ليقتل هذا الزيف والحيف.. والكبرا
كأني أراهم كيف تدمي جنوبُهم
وكيف يرون البحر من ذعرهم برا
وتسلك رايات الجهاد طريقها
إلى حد يوم البعث والنشأة الأخرى

---

*باب خان الزيت: مدخل إلى سوق قديم داخل المدينة

دراسة

القصيدة الإسلامية المعاص

القصيدة الإسلامية هي قصيدة الالتزام الهادف، القائم على الإيمان الرباني، والتصور الإسلامي الشامل للإنسان، والكون، والأشياء، والمعرفة. والقصيدة الإسلامية، تحاول أسلمة الشعر شكلاً ومضموناً، رغبة في تغيير الإنسان، وتوجيهه الوجهة الصحيحة السليمة، التي تتمثل في التشبث بالذكر الحكيم، والسنة النبوية الشريفة، وبناء حياة متوازنة، تجمع الجانب الدنيوي والأخروي وبالتالي، فالقصيدة الإسلامية ليست قصيدة عبثية وجودية، أو ماركسية شيوعية ولا قصيدة سوريالية فوضوية، بدون هدف ولا مبدأ. «الإسلامية في الأدب تعني كل أدب ينطلق من التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان أو ـ على الأقل ـ ينسجم مع هذا التصور ولايعارضه»[1] أي أن الأدب الإسلامي «أدب مسؤول والمسؤولية الإسلامية التزام، نابع من قلب المؤمن وقناعاته، التزام تمتد أواصره إلى كتاب الله الذي جاء «بلسان عربي مبين»[2] ويرى محمد قطب أن الفن الإسلامي (هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان، هو الفن الذي يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق، فالجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان في القصة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود)[3].

إن مصطلح الإسلامية، ينبذ النزعات الضيقة، والمبادئ «الشوفينية»، ويتعارض مع التيار الذي يقول بفنية الفن، لا بإسلاميته، كما يتناقض مع المذاهب الأدبية، التي تغرق الإنسان في الأوهام، والخيال المجافي، والمتع المحرمة، أو تدعوه إلى الفردية الأنانية، أوتقوده إلى التصور المادي، ماركسيا كان أوشيوعياً ومن ثم، فالإسلامية، ترفع الإنسان وتسموبه أخلاقياً وعملياً، عقلاً وروحاً، وتزرع فيه حب الإنسانية بصفة عامة، مع تكسير قيود الزمان والمكان، والحواجز الوطنية.

والقومية القائمة على العرقية والتصورات الإقليمية، نحو تحقيق وحدة إنسانية عالية قائمة على الروحانية والعقيدة الصحيحة. والمودة التقية وتبعاً لهذا التصور فالأديب ينطلق بعيداً وراء حدود الزمان والمكان، فإنه يتجاوز الإقليمية الضيقة ليصبح إنسانياً، وبقدر تمثله الإسلامية تزداد إنسانيته، وليس معنى هذا أنه يتخلص من الشعور بالزمن، بل بالعكس من ذلك إذ الإيمان يفجر في وجدان الفنان المسلم ـ أكثر من غيره ـ شعوراً حاداً بالزمن، ويدفعه إلى مزيد من التعبير، باعتباره عملاً يتقرب به إلى الله، على الطريق الإسلامية الفذة.[4] ولكن حدة الشعور لا تسلمه إلى أن يقع تحت وطأة الزمن، وإنما هو يسعى إلى امتلاكه واختصاره، وبما أن الإنسان المسلم كوني بطبعه، أي إنه يهفو إلى أن ينسجم مع كل ذرة من ذرات هذا الكون الذي هو جزء منه، لا عن طريق قهر الطبيعة ومظاهر الكون، ولكن بإيجاد علاقة مودة بينه وبينها[5]، ويعتبر الدكتور نجيب الكيلاني، أول من وظف مصطلح (الإسلامية) في كتابه (الإسلامية والمذاهب الأدبية)، وبعده الأستاذ أنور الجندي في (الإسلامية)، والدكتور حسن الأمراني في أبحاثه ودراساته، لاسيما مقاله القيم (الإسلامية في الشعر المعاصر بالمغرب)[6] ود. عمادالدين خليل، إذ يقول «إن الأديب المسلم الملتزم يتوجب أن يعتمد (الإسلامية) في تعبيره من أجل أن يكون صدوره منطقياً ومنسجماً مع ما

يؤمن به ويعتقده. ويقيناً فإن (الإسلامية) هي غير (الكلاسيكية) أو (الرومانسية) أو (الكلاسيكية الجديدة) أو (الطبيعية) أو (الواقعية النقدية) أو (الواقعية الاشتراكية) أو (الرمزية) أو (السريالية) أو (الطليعية) أو المستقبلية) .. إلى آخره».(٧)

إن القصيدة الإسلامية في المغرب لها جذور في الأدب المغربي القديم، لاسيما القصائد النبوية في مدح الرسول ﷺ وذكر سيرته النقية من الشوائب والبدع الضالة بيد، أن إسلامية الشعر المعاصر في المغرب لم تظهر ملامحه إلا في أوائل السبعينيات وكانت هذه الملامح لاتعدو أن تكون مساقط ضوء في الظلام متناثرة، تظهر بين الحين والحين، سافرة أو حية ممتطية أسلوب المباشرة حيناً مستجيرة بالرمز التاريخي أو الواقعي حيناً آخر، وكان الوعي الشعري تابعاً بطبيعته للوعي الفكري والإيماني، ولذلك لم تكن هذه الملامح في كثير من الأحيان، تتجاوز استلهام التراث الإسلامي، كما نجد عن الشاعر محمد علي الرباوي خلال المرحلة التي كان ينشر فيها قصائد في مجلة (الشهاب) البيروتية.(٨)

إن أواسط السبعينيات، تعد مرحلة حاسمة، في تدشين القصيدة الإسلامية المعاصرة، وذلك على مستوى نشر المجموعات الشعرية، وطبع دواوين شعراء التجربة الإسلامية المعاصرة، وذلك على مستوى نشر المجموعات الشعرية، وطبع دواوين شعراء التجربة الإسلامية المعاصرة، وكانت أول مجموعة شعرية لمحمد المنتصر الريسوني، ألا وهي (على درب الله)، وفي ١٩٧٩م دفع حسن الأمراني ديوانه الشعري «صلوات المستضعفين» إلى المطبعة أعقبتها مجموعات شعرية أخرى، وبعد ذلك، بدأ التراكم يتحقق شيئاً فشيئاً، كماً ونوعاً، خاصة مع شعراء وجدة،(٩) «محمد علي الرباوي ومحمد بنعمارة وحسن بنعمارة، والتطواني،(١٠) محمد المنتصر الريسوني» علاوة على شعراء مغاربة آخرين، ومن خصائص تجارب هؤلاء الشعراء أن نصوصهم الأدبية

بقلم: حمداوي جميل

تابضة بالثقافة الإسلامية ذات الخصائص التالية:

١ـ ثقافة ربانية.

٢ـ ثقافة إنسانية.

٣ـ ثقافة محررة متحررة.

٤ـ ثقافة واضحة.

٥ـ ثقافة متوازنة.

٦ـ ثقافة مسؤولة واعية.(١١)

ننشر لكم ببليوغرافية الدواوين والمجموعات الشعرية الإسلامية المعاصرة بالمغرب الأقصى، على الصفحة التالية.

وإلى جانب الدواوين الشعرية، ظهرت سجلات مُدَعَّمة للقصيدة الإسلامية المعاصرة، بالتشجيع والنشر

...رة.. في المغرب

والقراءة، من بينها مجلة المشكاة، وهي مجلة ثقافية فصلية يترأسها الدكتور حسن الأمراني، ومجلة الفرقان، وهي إسلامية ثقافية شهرية رئيس تحريرها، الشيخ محمد زحل، ومن الكتب النقدية التي صدرت إلى الآن حول القصيدة الإسلامية الغربية، نجد دراسة محمد إقبال عروي تحت عنوان «جمالية الأدب الإسلامي».(١٢)

يمكن أن نجمل خصائص القصيدة الإسلامية المعاصرة في المغرب فيما يلي:

١ـ إنها قصيدة تناصية، تتعامل مع التراث تعاملاً واعياً، تنتقي الإيجابيات، وتترك السلبيات وهي تزن الحركات الكبرى في تاريخنا بميزان الإسلام، فلا تمجد الحركات المنحرفة، ولا تفتئت على التاريخ(١٣).

٢ـ إنها قصيدة ـ من الناحية البلاغية ـ حبلى بالصورة ـ الرؤيا، القائمة على الترميز والأسطورة، أي إنها تتجاوز صورة المشابهة (التشبيه ـ الاستعارة) وصورة المجاورة (المجاز المرسل ـ الكناية)، فحسن الأمراني، يوظف في شعره كثيراً من الرموز التاريخية (أسماء وأماكن): كـ: السندباد، شهرزاد، الخليفة، مريم، لقمان، غيلان الدمشقي، عباس بن فرناس، شهريار، قطري بن الفجاءة، عذارى دوار، مسرور السياف، أبوذر، السلطان، الوزير، هولاكو، حراء، القراصة، سديف العلوي، إبليس، هرمز، وهذه المؤشرات ترمز لصراع الخير والشر، والحق والباطل في ثنائيات متناقضة.

٣ـ إنها قصيدة ملتزمة، هادفة، تجمع بين الذات والمجتمع في إطار تصور إسلامي شامل للكون، وهذا الالتزام، مستمد من الشريعة الربانية القائمة على التوازن، والجمع بين ماهو دنيوي وأخروي.

٤ـ إنها قصيدة إنسانية، تنطلق من الإنسان إلى الإنسان مستهدفة تحريره من قيود الطين، ومن براثن العبودية، ومن مخالب الشهوة والأنانية والدنس المادي، بقصد رفعه نحو الأعلى، والسموّ به حيال مصاعد الروح، والرقي الأخلاقي.

٥ـ إنها قصيدة الوضوح، في التصور، والرؤية، لأنها تستند إلى مبادىء واضحة ثابتة، وهي مبادىء الشريعة الإسلامية، ووضوح الرؤية «شرط أساسي في سلامة الموقف، وذلك وضوح يتبعه وضوح في الأداء والتعبير ولذلك فهو شعر يعادي التهويم والضبابية والغموض، وإن كان لايعادي الرمز الشفاف، والتعبير الموحي الجميل، بل يعتبره من أهم وسائل الأداء».(١٤)

٦ـ إنها من حيث البناء والتشكيل، قصائد تجمع بين البساطة والتركيب علاوة على النزعة الدرامية، والقصصية، كما أنها تجمع بين الشعر العمودي والشعر الحر، والقصيدة النثرية إلى درجة أنها في بعض الأحيان تشبه الخواطر مع الشاعر محمد علي الرباوي.

٧ـ إنها، من حيث اللغة ذات معجم إسلامي واضح يتصارع فيها السالب مع الموجب، الحق والباطل، الخير والشر، الإيمان والكفر، ويتضمن هذا المعجم معاجم فرعية، كالمعجم السياسي، والاجتماعي، والأدبي، والتاريخي.

٨ـ من حيث الدلالة، إنها قصيدة تجمع الموروث التاريخي القديم والحديث، وتعبر عن المشكلات السياسية والاجتماعية المعاصرة، في إطار محلي، ووطني، وقومي، وعالمي بروح إسلامية إنسانية كونية، مع طرح البديل الإسلامي لحل جميع المشكلات سهلة كانت أم مستعصية.

٩ـ إنها قصيدة مطبوعة بالانزياح والتنافر لإثارة المتلقي واستفزازه لإعادة بنائها، وإنتاجها من جديد.

١٠ـ إن شعراءها يحملون رؤية إسلامية واضحة نحو الكون وجوداً، ومعرفة، وقيماً، قوامها تغيير الإنسان، وتوجيهه الوجهة الإسلامية الصحيحة.

■■ الهوامش:

١ـ د. حسن الأمراني: (الإسلامية في الشعر المعاصر بالمغرب) منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ وجدة ـ سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٨ ص ١٤٣ ـ ١٤٤.

٢ـ د. نجيب الكيلاني: مدخل إلى الأدب الإسلامي كتاب الأمة

القصيدة الإسلامية المعاصر ء

عدد ١٤ ص٣٢

٣ـ محمد قطب: منهج الفن الإسلامي ص٦ دار الشروق ط٣ـ١٩٦٠.

٤ـ حسن الأمراني : نفس المقال ص:١٤٤.

٥ـ انظر المقال السابق.

٦ـ انظر عماد الدين خليل (ملاحظات حول النوع الأدبي والمضمون والمذهب/ المشكاة ـ العدد ٤/١٩٨٥ ص٣٨.

٧ـ نفسه ص٣٨

٨ـ حسن الأمراني: نفسه ص١٤٦

٩ـ نسبة إلى مدينة وجدة بالمغرب ، حيث يقطنها هؤلاء الشعراء.

١٠ـ نسبة إلى مدينة تطوان، وهي تقع في شمال المغرب، وبها يقطن الشاعر محمد الريسوني

١١ـ انظر حسن الأمراني (نحو ثقافة ربانية : الخصائص) المشكاة ـ العدد ٥ ـ ٦ السنة ١٩٨٦ ص١ـ١١

١٢ـ محمد إقبال عمري: جمالية الأدب الإسلامي ـ المكتبة السلفية ـ الدار البيضاء ط١/١٩٨٦

١٣ـ حسن الأمراني : (الإسلامية في الشعر المعاصر بالمغرب) ص ٨٥٩

١٤ـ نفسه ص ٨٥٩

□□□

■■ ببليوغرافية الدواوين والمجموعات الشعرية الإسلامية المعاصرة بالمغرب الأقصى

الشاعر	عنوان الديوان أو المجموعة الشعرية	مكان النشر	سنة الطبع
محمد المنتصر الريسوني	على درب الله	ديسبريس	١٩٧٨
محمد بنعمارة	الشمس والبحر والأحزان	مطبعة أبي رقراق الرباط	١٩٧٢
حسن الأمراني	الحزن يزهر مرتين	مطبعة النهضة ـ فاس	١٩٧٤
حسن الأمراني	مزامير	مطبعة النهضة وجدة	١٩٧٢
حسن الأمراني	البريد يصل غداً (مشترك)	مطبعة النهضة وجدة	١٩٧٥
محمد بنعمارة	العشق الأزرق (مشترك)	مطبعة النهضة وجدة	١٩٧٥
محمد علي الرباوي	الكهف والظل	مطبعة الثقافة ـ وجدة	١٩٧٥
محمد علي الرباوي	الطائر والحلم (مشترك)	المطبعة الثقافية ـ وجدة	١٩٧٨
محمد بنعمارة	عناقيد وادي الصمت	منشورات المشكاة	١٩٧٨
محمد بنعمارة	نشيد الغرباء	مطبعة النور ـ تطوان	١٩٨١
حسن الأمراني	الزمان الجديد	دار الأمان ـ الرباط	١٩٨٨
محمد علي الرباوي	الأعشاب البرية	المطبعة المركزية ـ وجدة	١٩٨٥
محمد علي الرباوي	الرمانة الحجرية	المطبعة المركزية ـ وجدة	١٩٨٨
حسن الأمراني	ثلاثية الغيب والشهادة	المطبعة المركزية ـ وجدة	١٩٨٩
حسن الأمراني	القصائد السبع	منشورات المشكاة	١٩٨٤ ـ ط٢
محمد علي الرباوي	البيعة المشتعلة	المطبعة المركزية ـ وجدة	١٩٨٦
محمد علي الرباوي	أطباق جهنم	المطبعة المركزية ـ وجدة	١٩٨٨
حسن الأمراني	مملكة الرماد	مجلة المشكاة	١٩٨٧
محمد بنعمارة	مملكة الروح	المطبعة المركزية ـ وجدة	١٩٨٧

ـرة.. في المغـرب

من مكتبة الأدب الإسلامي

كتب وقضايا في الأدب الإسلامي

الناشر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ـ الإسكندرية ـ في ١٩٩٩

تأليف: د. حسين علي محمد

عرض: محمد عبدالواحد حجازي

تقوم محاور كتابنا: «كتب وقضايا في الأدب الإسلامي» بعملية تقويمية لسبعة من الكتب التي عالجت مشكلات الأدب الإسلامي في الأدب العربي وكلها تثير قضية الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق.

من هذه الكتب كتاب: «القصص الإسلامية» للدكتور أحمد الحكمي.. ويمثل هذا الكتاب سيرة النبي ﷺ من خلال قصص أصحابه عنه والمؤلف في مجال التطبيق العملي يسجل قصص الغزوات والفتوح والسرايا والبعوث.

ويرى الدكتور حسين علي محمد أنه من الممكن قراءة هذا الكتاب في سياقين:

سياق قصصي شريطة أن يستخلص النقاد خصائص القصة الإسلامية..

والسياق الثاني يرصد سيرة النبي ﷺ.. ولقد جاء تقويم الدكتور حسين علي محمد للكتاب تقويماً صائبا من حيث المادة التاريخية، ومنهج التأليف والغاية المرجوة..

والكتاب الثاني: «من آداب الشعوب الإسلامية».. وهو من تأليف الدكتور محمد بن عبد الرحمن الربيع، ومن بواعث تأليفه لهذا الكتاب، العلاقة الوثيقة بين الأدب العربي وبين آداب الشعوب الإسلامية، وكذلك العلاقة القوية بين اللغة العربية ولغات الشعوب الإسلامية.. والهدف الذي سعى إليه الدكتور الربيع من تأليف كتابه كما استخلص الدكتور حسين علي محمد أن يحدث نوعاً من التقارب بين الأدباء المسلمين في شتى أنحاء المعمورة والقارىء العربي..

والكتاب الثالث: «الأدب التركي الإسلامي» وهو من تأليف الدكتور محمد عاطف هريدي وقد أوضح فيه أثر الإسلام في الأدب التركي وفاعلية هذا الأثر في موكب الحضارة الإسلامية وعمق مشاركته في الأحداث التي وقعت في العالم الإسلامي.

وبهذا المنهج التقويمي نظر في الكتب الأخرى التي اختارها لدراسته وهي: «الأدب الأوردي الإسلامي» تأليف الدكتور سمير عبدالحميد إبراهيم، وديوان: «قراءة في صحيفة يومية» لعبدالله السيد شرف، وديوان «مسافر إلى الله» لأحمد فضل شبلول، وكتاب «الورد والهالوك» للدكتور حلمي محمد القاعود.

ثم نظر الدكتور حسين علي محمد في كتاب «وقفات على الاتجاه الإسلامي في الشعر العربي» وهو من تأليف الدكتور عبدالعزيز محمد الفيصل.. وقد حقق الدكتور الفيصل ـ فيما يرى الدكتور حسين علي محمد شيئين جديرين بالمراعاة فيما ينشر ويذاع على الناس: الأول ضبط الأشعار المخج الهامش.. الثاني: خلو الكتاب خلوا يكاد يكون تاما من الأخطاء المطبعية.

ثم درس مؤلفنا مسرحية «على أسوار دمشق» لنجيب الكيلاني وقد أوضح في دراسته مدى نجاح الكيلاني في تصوير الفترة القلقة من تاريخنا الإسلامي.

كما نجح في تقديم ابن تيمية نموذجاً للداعية الذي يعرف دوره في المجتمع فيستنهض الهمم قبل أن تبتلعها بحار اليأس.

في النقد التطبيقي

تأليف د. عماد الدين خليل

عرض: شمس الدين درمش

هذا الكتاب هو السادس عشر في سلسلة إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية من تأليف الدكتور عماد الدين خليل الذي يعد أحد رواد الأدب الإسلامي المعاصر ونقده، وقد صدر الكتاب عن دار البشير في عمان ـ الأردن ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م ويقع في ١٤٧ صفحة.

يبدأ الكتاب بمقدمة موجزة للمؤلف يشير فيها إلى طغيان المعطيات الإبداعية للأدب الإسلامي على المعطيات التنظيرية والدراسية وأن الأخيرتين تطغيان على النقد التطبيقي. كما أن ثمة غزارة في الشعر والمقال وشحاً وغياباً في الرواية والمسرحية والسيرة الذاتية، ومن هنا يأتي هذا الكتاب «في النقد التطبيقي» لمعالجة هذا الجنوح وتحقيق التوازن الضروري في حدود الممكن..

يتناول الكتاب أعمالاً أدبية في الشعر والقصة والرواية.

ففي الشعر يقدم د. عماد الدين خليل قراءات نقدية لكل من الدواوين الآتية

١ ـ ثلاثية الغيب والشهادة للدكتور حسن الأمراني

٢ ـ القدس في العيون لكمال عبدالرحيم رشيد

٣ ـ للكلمات هاجس آخر لمحمود مفلح

٤ ـ صحوة مسلم لمحمد فؤاد محمد

٥ ـ أغاريد المسلم الصغير لحكمت صالح

٦ ـ والقراءة الشعرية الأخيرة عن «ابن جبير الأندلسي.. شاعراً» في ديوانه الذي جمعه د. منجد مصطفى وضم حوالي خمسمائة بيت.

أما في القصة والرواية فسيقدم لنا د. عماد الدين خليل نقداً تطبيقيا للأعمال الآتية:

١ ـ «هناك طريقة أخرى»

٢ ـ ليل العوانس وهما المجموعتان قصصيتانالحيدر قفة

٣ ـ منصور لم يمت. وهي القصة رقم «١» من بين عشر قصص صدرت تحت عنوان «سلسلة أطفال الحجارة» ويقوم تكوين هذه السلسلة على جهد مزدوج: يقدم أديب أو اثنان الأفكار والمفردات المستمدة من قاموس ثورة الحجارة والتي تصلح لبناء القصة، ويتولى الأستاذ عبدالله الطنطاوي معالجتها وصياغتها وفق المطالب الفنية لهذا النوع الأدبي

وقد شارك في تقديم الأفكار والمفردات سبعة أدباء وثلاث أديبات ومن بين الأدباء محمد جمال عمرو ومحمود الرجبي والأديبات الثلاث هن نزيهه محمود، ورانية عبدالفتاح ورائدة أبو الرب، مما يعكس دور المرأة المسلمة في حركة الأدب الإسلامي المعاصر.

٤ ـ وفي الموضوع الرابع الذي يقدمه الدكتور عماد الدين خليل بعنوان «الرواية الغربية والبحث عن الإله المجهول» يعرض بالنقد التطبيقي لنموذجين إبداعيين لاثنين من أشهر الروائيين المعاصرين في الغرب وهما الأديب الأمريكي «جون شتاينبك» في روايته «البحث عن إله مجهول» والأديب الألماني «هيرمان هيّسه» في روايته «سدهارتا» حيث تعد الأولى واحدة من أعمال شتاينبك الاعتيادية، وتكاد الثانية أن تكون من أكثر أعمال هيّسه اتقاناً فنياً بعد «لعبة الكرات الزجاجية».

وبعد: فإن المساحة المتاحة لعرض كتاب في مكتبة الأدب الإسلامي لا تتسع للاسترسال في تقديم مضمون كتاب «في النقد التطبيقي» بأكثر من هذا، ولكن المرجو أن ترى ساحة النقد التطبيقي أعمالاً أخرى من هذا القبيل، وأن يجد كتاب «في النقد التطبيقي» حقه من العناية دراسة ونقداً وتقويماً في مجاله من النقاد والدارسين.

تعقيب على..

على قصيدة «دموع من أجل ليلى»

لـ فواز الشروقي

بقلم: سامر محمد البارودي

كنت أرجو أن أكون واحداً من الجنود الكثيرين الذين يدافعون عن منهج الأدب الإسلامي دون أن يعرفوا، ولكن قصيدة «دموع من أجل ليلى» التي نشرت في مجلة الأدب الإسلامي العدد «٢٠» وكانت أول الأعمال الإبداعية في هذا العدد أجهزت على رجائي وعلى كثير من جنودي أمام معارضي هذا المنهج من الأدب.

بداية هل يمكن أن نخالف الواقع الإسلامي ونقول إن الشعراء لم يذرفوا الدموع من أجل ليلى، بل إن الدموع في الشعر العربي الإسلامي المراقة على ليلى أكثر مما أريق على أم ليلى وغيرها من الأمهات. إن منهج الأدب الإسلامي يعي تماماً أن قلب الشاعر المسلم يتسع لأن يحب ليلى والأم الحنون والبلدة المعطاء والدين القيم وليس كما قال شاعرنا:

إنما الحب حب دين وأم
وبلاد أفديهم بالأغلى

وقد يردّ شاعرنا أو من يذود عنه بأنه إنما يعني الحب غير المشروع وليس حب الزوجة فأقول: لماذا لم تبد في القصيدة أي إشارة تدل على حب الزوجة، بل اقتصر على الدين والأم والبلد؟ وهل حبها أو التعبير عن حبها لا يجوز في دين نبينا محمد ﷺ الذي طالما صرّح بحب زوجاته رضوان الله عليهن.

وقد يتساءل كثيرون عن اعتراف الحب بالحدود الجغرافية أو حتى الدينية. إن الإسلام العظيم أجاز للمسلم الزواج من الكتابيات، ولن يقدم امرؤ على الزواج منهن دونما حب. فلماذا ننكر حب ليلى التي قد تكون زوجة أو في طريقها إلى أن تكون الزوجة؟

ونحن لا ننكر على الشاعر أن يبكي على أمه الرؤوم أو على وطنه أو دينه، ولكن لا أظن أن هناك أحدا يرى حب ليلى «وليلى هنا رمز للمحبوبة» يصم بالجهل المركب كما قال شاعرنا:

إنني لا أرى بحبك إلا
أنك ازددت فوق جهلك جهلاً

ثم إني أراه يتدخل في قضية خطيرة وهي أن الحب لا يعين الإنسان على بناء حياته واستمرارها حين قال:

كفكف الدمع ثم قل لي بحق
هل بحب المليحة ازددت عقلا؟

لم لا يزداد عقلا وقد قال الناس ولايزالون: «وراء كل عظيم امرأة».

ثم إن الشاعر ينفي أن يكون للحب علاقة بالجمال حين قال:

ليس حبي بتابع لجمال
حلّ إن حلّ وانتهى إن ولّى

وهو بهذا يخالف الفطرة الإنسانية فالرسول ﷺ يقول: «حُبب إليّ من دنياكم اثنتان الطيب والنساء».

ولنترك فكرة القصيدة لنناقش بعض جوانبها الفنية، ولن أتحدث عن الصور والخيالات التي لا يقبل منهج الأدب الإسلامي غيابها عن الشعر ربما إلا هذه القصيدة، استمع إلى بعض تراكيبها التي تبدو مضطربة وغير واضحة الدلالة يقول:

كل صب تراه إن دخل القلب
هوى من فتاته يتقلى

وقد حاولت كثيراً فهم هذا البيت فكانت تأبى علي أقل أساليب الشعر فهمه، فلو كانت كلمة (هوى) فعلاً فإن شاعرنا يقول: إن الصب إن دخل قلباً فإنه يهوي من فتاته ويتقلى، وما العلاقة بين يهوي ويتقلى؟

وما موضع من فتاته هنا؟ وأما إن كانت (هوى) اسماً فهي أبعد عن القبول إذ المقصود «كل محب تراه إن دخل هوى في القلب فهو يتقلى من فتاته». فهل هو يتقلى لكل حب يدخل أي قلب؟ ولا أظنه يريد هذا ولكن التركيب الشعري لم يسعفه.

وفي قوله:

لا تسلني عن اسمها فهي ليست
صبوة ما أنا بصبٍّ.. كلاَّ

فما الحاجة إلى «كلاَّ» هنا بعد «ما أنا بصبٍّ»، ثم هل تستقيم عروض الشعر وقد جاءت على وزن «مفعولن» في آخر عروض في البيت وهو ما يسمى بالتشعيث وهو لا يجوز إلا في ضرب البيت الأول.

وفي قوله:

لا ترق دمعك الغداة على ليلى
فإني بالدمع يا صاح أولى

وكيف يكون أولى بالدمع، إنما هو أولى بأن يقول:

لا ترق دمعك الغداة على ليلى
فإني بتذراف الدموع أولى

فهو أولى بأن يذرف الدمع وليس بالدمع ذاته.

ثم إنه أخيراً يظهر كثيراً مما ينبغي أن يستتر وهو عبادة الله ومعرفته والشغل به حين يقول:

عرف الشوق والصبابة والحب
ولكن عرفت ربي قبلا
وبدا لي بأن منهل حب الله
أحلى فرحت أنهل نهلا
إنني قد شغلت قلبي بحب الله
أنعم به وربي شغلا

فكل هذه الأعمال يرجو المؤمن أن يظفر بها وهي وإن أعطاها الله لأحد فينبغي أن يسترها حتى لا يكون مرائياً.

هذا وإنني في الختام لم أكتب قاصداً التجريح وإنما كتبت غيرة على هذا المنهج الذي كثر مناوئوه ومحاربوه بل لقد وُجدَ فيه من لم يفهموه حتى الآن، وأحسب أن هذه المجلة والقائمين عليها لا يهمهم في منهجها لومة لائم. فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان

□□□

قراءة في بريد الأق

■■ عبدالناصر محمد مغنم:

هناك فرق بين الواقع، وواقعية الفن. وأنت تفهم الواقعية في الفن بأنها النقل الحرفي للحياة، وهذا وهم قصتك «متسلقون» التي صورت فيها الذين يسرقون جهد الآخرين وينسبونه لنفسهم قصة تشي بأنك ستكتب قريباً شيئاً جديراً بالنشر.

لغتك محايدة، لا تنزلق إلى التعابير المحفوظة التي يلجأ إليها القصاصون المبتدئون، وحوارك مكتنز معبّر وما أعيبه على هذه القصة هو عدم القدرة على التكثيف، والميل إلى الشرثرة، كأن القارئ لن يفهم إلا إذا حكينا له كل شيء، وبالتفصيل!

لو كتبت هذه القصة التي احتلت ست صفحات في ثلاث صفحات لكانت أجود، ففيها مط وتطويل، تكفي لمحة واحدة ليكتشف «أبوحامد» خيانة صديقه الذي منحه ثقته طيلة سنوات.

وأنت كتبت ست صفحات لتعلل ما قلته في السطر الأول منها!

هل أطلب منك إعادة قراءة النماذج المتفوقة في القصة القصيرة العربية؟!

■■ عماد فؤاد:

أمامي أكثر من عشر قصص قصيرة لك، منها: «**علو الهمة**» و«**اغتنام العمر**» و«**أطفال لكن رجال**» و«**اجتياز المحنة**» و«**نصيحة ورجاء**» و«**الأعمال الطيبة**» و«**المرأة كما عظمها الإسلام**».

ومن الملاحظ على هذه القصص:

أولاً: أنها تكاد تخلو من العناصر القصصية، وأنها تقترب من فن المقالة، بقدر ما تبعد عن فن القصة القصيرة.

ثانياً: هناك أخطاء لغوية كثيرة في كتاباتك، فليتك تفهم اللغة ـ وهذا ممكن بأقل جهد ـ واستعمالاتها، والأخطاء الشائعة.. حتى تتلافاها.

ثالثاً: عندك بساطة في القص في بعض قصصك، فلماذا لاتجرب الكتابة للطفل وهو ميدان يحتاج إلى جهود كبيرة.

والذي دفعني إلى هذا الاقتراح ماكتبته في قصتك «**علو الهمة**» ـ لاحظ أن العنوان مباشر، يشير إلى العظة والاعتبار بذكاء، وسأشرك القراء في قراءة مطلع هذه القصة:

«جلس الأستاذ علي مع طلابه في وقت الراحة كعادته، يعرض عليهم أسئلة ويطلب الإجابة منهم، ثم يعقّب على كل إجابة، ويشجع الذي أصاب الهدف بإجابته، وفي هذه المرة فكر في نفسه:

لماذا لاأدعم هذا الحديث الذي نتناوله أنا وطلابي بنوع من التشجيع، ليكون حافزاً لهم، ويكون له ذكرى طيبة.

ولكن ماذا يكون هذا الحافز؟

أهو حافز مادي أم أدبي؟

لا أجد أحسن من الحافز الأدبي، فهو حافز جميل، يدفع الطالب للمعرفة والعلم.

سوف أشتري مجموعة كتب دينية وأجعلها هدية لمن يجيبني إجابة تدل على شخصيته.. إلخ.

إن هذا البسط، وهذا النوع من الحكي يناسب الطفل، فلماذا لايكون مجالاً خصباً لإبداعك؟!

■■ زهراء الظفيري ـ الرياض:

كتاباتك جيدة، وأنشر لك الخاطرتين اللتين أرسلتيهما للمجلة، وأرجو أن تواصلي الكتابة فلك مستقبل جيد في كتابة المقالة الأدبية بمشيئة الله.

■■ مصطفى السواحلي ـ المدرس المساعد
كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر بالقاهرة:

قصيدتك «**عنترة يبكي على أطلال القدس**» فيها معارضة جيدة ـ في بعض أجزائها ـ لمعلقة عنترة بن شداد العبسي، لكن ما يعيب بعض أجزاء القصيدة هو علو الصوت (وليس الهمس الذي كان يريده ويدعو له الدكتور محمد مندور في مقالاته في كتابه «**في الميزان الجديد**».

أحسست في بعض أبيات القصيدة أن قوافيها قلقة، وأن

عنترة يبكى على أطلال القدس

أقلام الواعدة..

يقدمها: د. حسين علي محمد

كلماتها جاءت في غير موضعها، مثل قولك:

فيه السماءُ تمورُ من أحزانها
وتريق دمعاً منه شعري، معجمي

وفي مثل قولك:

أن الذي حفروه بين ضلوعنا
بركان حقد لليهود مكتم

ولماذا لاتضع «صدمدم» بدلاً من «مكتم».. فالام نكتم غضبنا على «يهود»!..

ومع ذلك فهذه القصيدة تنبئ عن شاعرية جيدة، وستنشر قصائدك التالية في صلب المجلة، وخارج «الأقلام الواعدة»، فمرحباً بك شاعراً أصيلاً في ساحة الشعر.

■■ هشام القاضي ـ الرياض:

قصيدتك «ظما» تكشف عن شاعرية خصبة، لديها قدرها على التشكيل بالصورة، لكن نهاية القصيدة كانت في حاجة إلى إعادة النظر..

فليس من الداعي لتجربتك الشعرية حول الظما أن تنتهي «في رقصة موت هندية حول النيران».. وإنما كانت النهاية الجيدة الملائمة قبل الأسطر الشعرية الأربعة الأخيرة.

هل غـادر البـاكـون من مُـتَنَدَّم
أم هل عـرفت القـدس بعـد المأتم
دارٌ لأحـزان العـروبة مُـرَّةً
ومـثـابةُ الآهِ المريرة في فـمي
نامت على شفة اللهيب جراحُها
وصحتْ على جثث البواسل ترتمي
هي آهة البُـرَآء تغلي فـوقـهـا
صرخـاتُ عُرْبٍ واستغاثـة مسلم
تغـتال في فـمي البـيـانَ فانتهي
في نهر حُـزْنٍ ظلَّ يـنبعُ من دمي
بالأمس غَنَّـيْتُ البطولةَ بـاسـمـاً
واليـوم يغـتـالُ البكاءُ تبسُّمي

لما رأيت على الجسور كرامتي
عبث اليهود بها كسَبْيِ المغْنَم
وسمعت في الأذان مرثية العُلا
وجنائزيَّ اللحنِ والموتَ الظلمي
أحرقتُ كلَّ مفاخري بعروبتي
وسكنت للأحزان كالمستسلم
وجعلت أنزف ذكرياتي باكياً
وأخطُّ آهاتي برسم مخيِّمي
اليوم لا أرجو سقاية دارنا
كلا ولا أدعو لعبلةَ باسلمي
يادار قدسي بالبلاء تكلمي
وعمى مساءً مستكين الأنْجُم
فيه البدور تبادلت بنياحها
كاس البكاء المرّ مطلولِ الدم
فيه السماء تمور من أحزانها
وتُريق دمعاً منه شعري، معجمي
فيه البلابل مزّقت أوتارها
تكلى، مُروَّعةً فلم تتكلم
فيه الجداول سُلْسلت أمواجها
والشهد في فمها بطعم العلقم
يادارُ أين النور؟ أين بهاؤه؟
أين الربيع على شفاه البُرْعم؟
أين الغناء يزفُّ شمسَ فخارنا؟
أين البلابل في بديع ترنُّم؟
آمالنا النشوى تجف غصونها
والنور يقضي تحت نير المجرم
والنجمة الغراء ضل طريقها
وبسيارات المجد ضاعت أسهمي
هلاّ سألت القدس يابنة يعرب
إن كنت نائمةً بليلٍ مظلم
يخبرك من زار المدينة ليلة
والقدس تغلي فوق جمر الأرقم
أنّ الذي حفروه بين ضلوعنا
بركان حقد لليهود مكتَّم
سيكون قبر المعتدين ونارهم
قبل التلوّي في لهيب جهنم
وسيحشر الطغيان في أحشائه
حشر القمامة في ثنايا قمقم
تلك المآذن حبليات بالمنى
وعن العلا أرحامها لم تُعْقِم
سيعيد جيش النور في عليائها
«الله أكبر» محو عاري، بَلْسمي
تغريدة الأمجاد، قنديل الدجى
نطق الصباح بها فلم يتلعثم
حتى نرى الأحجار تدعو مسلماً
خلفي يهوديٌّ إليه تقدَّم
ونرى المدينة في زفاف ربيعها
والمسجدَ الأقصى طليقَ المِعْصم

شعر:
مصطفى محمد رزق السواحلي

خاطـــرتـان..

«١»

حوائط وبـ . . .شر

في كل جهة من غرفتي يوجد حائط، أظنه سُمّي بذلك لأنه يحيط بانطلاقة نفسي ويمنعها من التحليق خارجاً.. يحيط بحريتي وبلونها الوردي الذي مع الوقت أصبح قاتماً، بل أسود، يحيط بأفكاري ليجعلها حبيسة بين حناياه.

ثم هناك ستارة على أحد تلك الحوائط، تستر نور الشمس عن أن يسطع على أوراقي وكتاباتي، تمنع دفئها من أن يضمّني تمنع خيوط أشعتها من اللعب مع أغنياتي.

ثم نافذة.. لست أدري إلى ماذا تنفذ؟! كل ما أدريه أن ما خلفها عالم مجهول، مخيف.. أسمع من تلك النافذة أصواتاً لمخلوقات يدعون بشراً.. هذا يعلي كلمة باطل، وذاك يخفض كلمة حق، هذا يعزف مزماراً للغيبة وذاك يقرع طبلاً للظلم، وكل ذلك قائم على مسرح أعصابي.

بشر.. فعلاً اسم على مسمى.. فثلثي هذه الكلمة «شر» والثلث الثالث «بـ» لامعنى له، فهو ليس حرف نداء أستجيب له ولا حرف جر يجرني للاختلاط معهم، لذا.. من الأفضل أن أسحب مسرح أعصابي من تحت أرجلهم وأحتفظ به بين تلك الحوائط.

«٢»

للغربة حسنات

نعم.. الغربة مرة، وهذه العبارة دارجة على ألسنة الكثيرين، وربما قالها من لم يجرب الغربة أصلاً، لكني أرى أن الغربة خالفت القاعدة وأذاقتني شيئاً غير المرارة- أجهل طعمه - وأعطتني مالم تعطه لأحد، لأنها بالمقابل أخذت مني ما لم تأخذه من أحد - فهي في هذه الحال أنصفتني.

فالغربة، علمتني مالم أتعلمه في مقاعد الدرس أو في صفوف الحياة، إذ لها الفضل في تعليمي كيف أضحك بعيون دامعة، وكيف ابتسم فرحاً بقلب حزين وكيف أداوي جراحاتي بالكي لا بغيره، علمتني كيف أتكلم دون أن أنطق وكيف أنطق دون أن أعبر وكيف أحسب الزمن دون انتظار شيء وكيف أضيء ليلي بذكريات سوداء.

علمتني.. كيف أجن بعقلانية، وكيف أصرخ بصوت مهموس وكيف أضيّع دربي بخطوة ثابتة.

علمتني أن من يقتل يموت مرة ومن يغترب يموت بعدد لحظات غربته أعطتني دروساً عدة جعلت مني إنسانة سرابية، وكان الدرس الأول منها في البلاغة فعلمتني أن هناك شبه كبير بينها وبين الصبر وشبه كبير أيضاً بين الموت والوحدة.

والدرس الثاني كان في الرسم، فعلمتني كيف أرسم قناعاً تعلوه الابتسامة وإشراقة الوجه أرتديه كل صباح لينتزعه الغير فيظهر اللا شيء، والدرس الثالث في علم الأحياء فعلمتني أن جرح الجسد أصعب بكثير من جرح المشاعر لأنه يحتاج لأدوات حادة لكن المشاعر تحتاج لكلمة واحدة فقط لتودي بها.

والدرس الرابع في اللغة والأدب، فعلمتني أن التزم الصمت مهما وُجِّه إليّ من إساءات أو اتهامات وذلك لأنها أنستني اللغة التي تربيت عليها، والدرس الخامس كان في الحساب، فعلمتني أن الواحد إن أنقصنا منه واحد يساوي أناساً كثيرين لامعنى لهم، فقط تعرفنا عليهم يوماً ما وفارقناهم في يوم ما ليصبحوا بين طيات النسيان.

وأخيراً أعطتني درساً في النحو، فعلمتني أن الظروف ثلاثة ظرف زمان وظرف مكان وظرف حيرة بينهما.

زهراء الخلفيري
المستوى السابع
كلية اللغة العربية
جامعة الإمام - الرياض

ظمأ...

إني ظمآن..
من يخبر بالظمأ
المهجور
ليل الأنهار
من يبصر آهات المشتاق
تتمزقُ
وسط البركان..
من يحمل أنّات المحزون
فوق الأحزان

□□

إني ظمآن.
قلبي سافر عبرالأوهام
في رحلة صيدٍ لوردٍ
تكسو الألغام!
في ليلة صيفٍ آبيّة
أضحى يتحسّس..
كانون الأحلام

□□

إني ظمآن..
لم ارشف شيئاً من كأسي..
يشفي الريان
وأنا الصديان..
أنظر في الكأس
أسلي نفسي..
والكأس مليء
بشراب الحرمان

□□

إني ظمآن..
وأمامي.. سيلٌ
جنّاتٌ
أنهارٌ مثل الطوفان
وأنا صحراء..
أمطار تغزو الجنّات
وتهيم بحب الشتلات
تمنحها كل القبلات
وتغضّ الطرف عن النخلات
اللاتي يبصرن الجدب
يطوف بهنّ
في رقصة موتٍ هنديّة
حول النيران!

هشام القاضي

اقرأ

بقلم نافذة الحنبلي

أول كلمة أنزلت على سيد الخلق محمد عليه الصلوات والسلام كانت «اقرأ» وأمر الله سبحانه وتعالى بها رسوله وحبيبه ونبيّ الناس كافة وهو العالم بأميّة مصطفاه ولكن إلى أيّ مدى نستطيع أن نستوعب هذه الكلمة التي هي في كل حرف لها تعني التفكّر في هذا العالم من حولنا ولنكون على قدر من الوعي والانفتاح.

والقراءة تحتاج إلى كتابة ولا نستطيع أن نكتب دون أن نعرف كيف نكتب، ولذلك كانت سورة «القلم» وقسم الله به ﴿نون والقلم وما يسطرون﴾. إذن الإسلام أول ما أمر به هي القراءة فكيف ونحن الآن في عصر سهلت علينا سبل القراءة والكتابة ونستطيع أن نقرأ من العلوم والآداب ونحن في بيوتنا ومع هذا لازلنا وللأسف أمّة لا تقرأ حتى «كتابنا العظيم القرآن»!! ولا نريد أن نقول إن أغلب سكان العالم الإسلامي والعربي أمّيون وهذه من أكبر الكوارث التي نعاني منها إلى جانب كوارثنا في الفقر والمرض..

وإذا خضنا في أسباب هذه

المشكلة تعود إلى التربية الخاطئة التي تركنا فيها تربية الأجداد والآباء الذين إذا كان أحدهم يتقن القراءة، يحترمه الناس ويستشيرونه في أمورهم، وكانت المرأة التي أنهت المستوى الابتدائي تشمخ برأسها عاليا عندما تقرأ رسائل قريباتها من أبنائهم أو أزواجهم، وكانت تحترم أيما احترام هذا في وقت كانت قد تراجعت فيه الحضارة الإسلامية إلى أقصى درجاتها، أما اليوم وما توفر لدينا من كثرة الكتب والمؤلفات وما يقابله من نقص قادح في القرّاء والمثقفين، مع وفرة المتعلمين غير القارئين يجعلنا نشعر إلى أيّ درجة من الجهل وصلنا إليها مع الأسف؟؟

في زمننا هذا ندخل بيت جامعي أو جامعية لا نجد مكتبة صغيرة في بيتهم ولا حتى مجلة هادفة دورية، ولا صحيفة يومية؟؟ بالإضافة إلى انقطاع الناس عن ما يدور حولهم في العالم من أحداث تهزّ النفس حزنا وألما. فقد امتلأت أوقاتهم بالفن الهابط والرياضة غير الهادفة ولا الفاعلة بل التي تزيد من تضييع الوقت أكثر فأكثر، حتى انحدرنا إلى هذه الدرجة من الأمية الثقافية، وأصبح المتعلم حقلا جافا لا ماء فيه ولا ورود ولا ثمار طيبة إلا شجرة واحدة تقف على حافّة أرضه تكافح من أجل البقاء من قبل أن تسقط بقيّة أوراقها بعد أن جفّت ثمارها؟؟

وفي هذا الجوّ من أين سيجد الأطفال الثمرة الطيبة والمثل الأعلى ليقلّدوه، فالأم متعلمة لا تقرأ والأب متعلم لا يقرأ فترى الهدايا تجلب للطفل من الشهين إلى الرخيص ولا تجلب له هدية واحدة للقراءة وثمنها لا يتعدّى ثمن أرخص هدية.. حتى عندما تأخذ هدية كتابا لأحد ربما لا يعجبه ذلك، وربما يعتبرها هدية تافهة بلا معنى وستوضع على الرّف إذا لم تلق لأيدي الأطفال ليمزقوها، فهم نشأوا في بيئة قاحلة باهتة فأنّى لهم معرفة قيمة الكتب والقراءة؟؟

ولهذا نرى تفاقم مشكلة التعليم في المدارس فالتلميذ لا يعتمد على نفسه في شيء ومن أكبر المشاكل التي نعانيها عند تدريس الأبناء، فهم يريدون من يقرأ لهم دروسهم من الألف إلى الياء؟.. وهذا أدى إلى إنتشار المدارس الخاصة والدروس الخصوصية والعزوف عن حب الدرس والمعلم والمدرسة بل تعدّى إلى انعدام احترام العلم والقائمين عليه؟؟ والطفل مقلّد كبير فكيف سيكون قارئا وهو قد ترعرع في صحاري الجهل وقفار الأمية المدقعة ولم يبق منّا إلاّ رؤوسا لها أعين تتحرك مثل عيون رجل «آلي» لا عقل ولا فكر ولا احساس وهذا هو التألوث القاتل للإبداع والاختراع.

ماذا لو واصلنا مسيرة «اقرأ» منذ عهد النبوّة إلى عهدنا؟؟ ماذا سيحدث لنا كمسلمين؟ ساعتئذ سوف يكون وضعنا كنجوم تتلألأ في سماء صافية ومعاول تبني الأرض المقفرة وفؤوسا تحرث الأرض الطيبة وخاصة أن كلمة اقرأ عندنا محفوفة برياحين وورود الأخلاق الندية، فهي لؤلؤة مكنونة لا يصيدها إلاّ بحار ماهر، وهي جوهرة محفوظة في بيوت أسوارها عالية لا تقتحمها جيوش الركاكة اللّغوية والألفاظ العاميّة، ولا ينال منها جنود الحداثة المتهالكة والآيلة للسقوط، لأنّ كلمة اقرأ عندنا متبعها القرآن لذلك ففعل هذه الكلمة له قواعده الثابتة السامية.. ففيها تصقل الأرواح بالاطمئنان والعفّة، وتطمئنّ النفوس بالإيمان والسكينة، وتتشعش الصدور بالحبّ النقيّ الطاهر.

ماذا لو عمّ عشق القراءة كلّ ماش وكل جالس، وكل عامل وكل مريض وكل سليم.. ماذا لو أهدى كل فرد لصديقه ولجاره ولأقربائه كتابا قيما أو اشترك أهل بيته في مجلة دورية نافعة.. حينئذ أظنّ بأننا سنكون في المعامل والمصانع والمختبرات العلمية وفي الشوارع والحافلات وفي مجالسنا لا نتكلّم إلاّ أدبا وعلما هذا إذا توفّر لنا وقت للكلام؟؟

من أخبار..
الأدب الإسلامي

●● من أخبار الرابطة:

■■ مكتب الأردن:

الأدب الإسلامي «الواقع والطموح»

عمان ـ جامعة الزرقاء الأهلية ـ من د. جميل بني عطا ود. عمر الساريسي:

عقدت كلية الآداب في جامعة الزرقاء الأهلية بالأردن مؤتمرها السنوي الثاني بعنوان «**الأدب الإسلامي ـ الواقع والطموح**» وذلك فيما بين ١٨ ـ ٢٠ محرم ١٤٢٠ هـ الموافق ٤ ـ ٦ أيار ١٩٩٩م، انطلاقاً من اهتمام الجامعة بالحضارة العربية الإسلامية وحرصها على التأصيل الإسلامي للكلمة الطيبة التي تدعو إلى الله على بصيرة، عن طريق فن الأدب المؤثر في الشعر وفي فنون النثر الأدبي المختلفة.

وقد أعدت اللجنة التحضيرية لـ المؤتمر إعداداً كافياً، ومنذ وقت مبكر، ووجهت الدعوة إلى جميع عمداء كليات الآداب ورؤساء أقسام اللغة العربية في جميع الجامعات العربية، العامة والخاصة، دون استثناء، واستجاب للمشاركة في أبحاث المؤتمر نيف وستون باحثاً من مختلف البلدان العربية.

وقد دارت أبحاث المؤتمر حول المحاور التالية:

١ ـ الأدب الإسلامي ـ النشأة والمصطلح
٢ ـ بعض قضايا الأدب الإسلامي
٣ ـ الأدب الإسلامي ـ التأثر والتأثير
٤ ـ الأدب الإسلامي ـ والمذاهب الأدبية الغربية
٥ ـ الأدب الإسلامي ـ والأجناس الأدبية
٦ ـ الأدب الإسلامي ـ في آثار الدارسين

وبعد توجيه الدعوات العامة للباحثين وتوجيه الدعوات الخاصة لأعضاء مجلس أمناء رابطة الأدب الإسلامي العالمية وأعضاء الهيئة العامة للرابطة، انهالت على اللجنة التحضيرية الأبحاث الكثيرة وملخصاتها وما طلب معها من أقراص الحاسوب التي تثبت عليها.

ولقد عرضت جامعة الزرقاء الأهلية على **الأستاذ الدكتور عبدالقدوس ابو صالح** نائب رئيس الرابطة ورئيس مكتب البلاد العربية رغبتها في التعاون في إقامة هذا المؤتمر، لكن وقت انعقاد المؤتمر لم يكن يناسب الأساتذة العاملين في الجامعات خارج الأردن، في نهاية العام الدراسي وأوقات الامتحانات، وقد تم تعاون فني وأدبي بين إدارة المكتب الإقليمي للرابطة في الأردن وبين

■ جانب من الحضور في إحدى جلسات الندوة

الجامعة في هذا الصدد.

وقد افتتح المؤتمر **الأستاذ الدكتور اسحق أحمد فرحان** في تمام الساعة التاسعة والنصف من ضحى يوم الثلاثاء ١٨ محرم ١٤٢٠ الموافق ٤/٥/١٩٩٩م وقد حضره جمع غفير من رؤساء الجامعات وعمداء الكليات ورجال الأدب والعلم والمجتمع في الأردن، وقد غص مدرج الجامعة بالمدعوين.

وبعد الاستراحة عقدت الجلسة الأولى للمؤتمر برئاسة **الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل** من جامعة الموصل بالعراق، وذلك قبل الظهر، أما الجلسة المسائية فقد عقدت برئاسة **الأستاذ الدكتور حسن الأمراني** من جامعة وجدة بالمغرب.

وفي مساء اليوم الأول أقيمت في مدرج الجامعة أمسية شعرية حافلة بفرسان الأدب الإسلامي وعلى رأسهم الشاعر الكبير الأستاذ **وليد الأعظمي** من العراق وكان منهم الشعراء **داود معلا** و **عبدالله عيسى السلامة** و**محمد الحسناوي** و**عماد الدين خليل** والطالب **معتصم الحريري** الملقب بشاعر الجامعة وقد أدار هذه الندوة **الدكتور مأمون جرار** رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في عمان

ثم عقدت يوم الأربعاء وهو اليوم الثاني في أيام المؤتمر عدة جلسات رئسها على التوالي **الأستاذ الدكتور مصطفى عليان** والأستاذ **محمد الحسناوي** و**الدكتور عمر الساريسي**.

وفي نهاية الجلسة الخامسة تليت التوصيات التي تجدون صورة عنها.

وقد عقد حفل تكريم قامت به الجامعة للشاعرين الكبيرين وليد الأعظمي ويوسف العظم، قدم خلالهما درع الجامعة وهدايا الجامعة لكل منهما الأستاذ رئيس الجامعة.

وقد جرى على هامش المؤتمر عدة نشاطات أدبية وفكرية، ففي يوم السبت ٨/٥/١٩٩٩م عقد الأستاذان **عماد الدين خليل** و**حسن الأمراني** ندوة أدارها د. عمر الساريسي لطلاب قسم اللغة العربية ندوة حول الأدب الإسلامي وهمومه ومشكلاته وآفاقه.

كما عقدت إدارة المكتب الاقليمي للرابطة في عمان ندوة للأستاذين الكريمين المذكورين حضرها عدد غفير من أعضاء الهيئة العامة ودارت حول

■ معالي مدير الجامعة يلقي كلمة الافتتاح

موضوعات الأدب الإسلامي أيضاً وعقد **الدكتور عماد الدين خليل** يوم الاثنين ١٠/٥/٩٩ ندوة في مدرج جامعة الزرقاء الأهلية حول كتابي الله تعالى السطور والمنظور، ثم عقد ندوة أخرى في جمعية الدراسات والبحوث والمعهد العالمي للفكر الإسلامي دارت حول موضوع آفاق العمل الإسلامي في الفكر والأدب في العصر الحاضر.

والجدير بالذكر أن أعضاء الهيئة الإدارية والعامة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأردن كان لهم حضور مشهود في اللجنة التحضيرية التي أعدت للمؤتمر وفي المشاركين في أبحاث المؤتمر خارج الأردن

مختارات من كلمات الافتتاح

من كلمة ا. د. اسحق أحمد فرحان.. رئيس الجامعة

«يسرني بهذه المناسبة العلمية الواعدة أن أؤكد لكم جميعاً اعتزاز جامعة الزرقاء بموضوع هذا المؤتمر لارتباطه بعقيدة الأمة وفكرها الأصيل من جهة، ولما له من أهمية مستقبلية كبيرة في بناء الشخصية المستقبلية لأجيالنا الصاعدة من جهة أخرى.

ولاشك أن للأدب الإسلامي واللغة العربية دوراً

كبيراً في صياغة رسالة الأمة وأهدافها ووصف واقعها الحاضر وآلامه المحضة، وفي استشراف مستقبل واعد للأمة ورسم طموحاتها المشروعة».

من كلمة الدكتور عقلة الصمادي..
عميد كلية الآداب

«لما كان الأدب حديث النفس الصافية للنفس الصافية التي فطرها الله تعالى وجب علينا أن نبذل للكلمة الطيبة فرصة التعبير عن نفسها والحديث عن قضاياها ومشكلاتها في عصر تكاثرت فيه أسماء المدارس الأدبية الخارجة عن خط البشرية والمعتمدة أصلاً على فلسفات لا دينية أفرزتها أهواء خبيثة وأفكار ضالة بقصد أو بغير قصد».

من كلمة الدكتور جميل بني عطا
رئيس اللجنة التحضيرية
رئيس قسم اللغة العربية في الجامعة

«تحتضن الجامعة اليوم كوكبة من أبناء الأمة المخلصين يتداعون للبحث في «الأدب الإسلامي ـ الواقع والطموح» إيماناً منها بأهمية الكلمة ودور الأدب في التوجيه والبناء، استناداً إلى أن الأدب الذي نقصد هو أدب الفكرة لا أدب الفترة إنه الأدب الذي يلتزم الإسلام ويمتاح منه عقيدة ومنهج حياة في مواجهة التيارات الفاسدة العاتية التي هبت علينا من الشرق ومن الغرب.

لقد آن الأوان أن ننفض عن أنفسنا غبار التبعية واللهاث وراء السراب «والصراعات» المنسوبة للأدب وأن نفتح عقولنا قبل عيوننا على تراثنا وعلى ما يصدر إلينا من نظريات وأفكار».

■ معالي د. إسحاق فرحان يقدم درع الجامعة للشاعر الإسلامي الكبير يوسف العظم

التوصيات

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين، وبعد

فقد اجتمعت لجنة الصياغة المنبثقة عن مؤتمر الأدب الإسلامي الواقع والطموح المنعقد في رحاب جامعة الزرقاء الأهلية في الأردن من ١٨ ـ ٢٠ محرم ١٤٢٠ هـ الموافق ٤ ـ ٦ أيار ١٩٩٩، وبعد الانتهاء من التداول بشأن التوصيات المقدمة من المشاركين توصي اللجنة بما يأتي:

١ ـ أن يكون عنوان المؤتمر القادم في واحد من الأجناس الأدبية الرئيسة ويترك أمر اختياره إلى اللجنة التحضيرية التي تعد للمؤتمر

٢ ـ نشر البحوث المتخصصة التي لها علاقة مباشرة بموضوع المؤتمر وعلى اللجنة التحضيرية متابعة ذلك وتبادل المطبوع مع المؤسسات الأكاديمية في العالم الإسلامي.

٣ ـ تدرس مادة الأدب الإسلامي ضمن مساقات أقسام اللغة العربية في الجامعات العربية

٤ ـ توجيه طلبة الدراسات العليا لاختيار موضوعاتهم في الأدب الإسلامي

٥ ـ تدريس موضوعات في الأدب الإسلامي في المراحل التعليمية قبل المرحلة الجامعية.

٦ ـ تشجيع المبدعين في ميدان الأدب الإسلامي وتخصيص جوائز لهم

٧ ـ يقترح المشاركون على جامعاتهم إقامة مؤتمرات في الأدب الإسلامي

٨ ـ دعم وتشجيع فكرة إنشاء مجلة علمية محكمة تختص بالأدب الإسلامي

٩ ـ توجيه كلمة شكر إلى المشاركين بهذا المؤتمر لاسهاماتهم الفاعلة في نجاحه باسم رئيس جامعة الزرقاء إلى مراكز عملهم

١٠ ـ إصدار نداء باسم المؤتمر إلى المسئولين في الدولة وإلى منظمات حقوق الإنسان للسعي إلى الإخراج عن الأديب الإسلامي حسني أدهم جرار الذي اعتقل في سجون الاحتلال الإسرائيلي يوم الأحد ٢/٥/١٩٩٩

١١ توجيه كتاب شكر إلى معالي رئيس جامعة الزرقاء لرعايته المؤتمر وبذل جهوده لإنجاحه.

وإذ يختتم المؤتمر أعماله فإنه يتوجه بعظيم الشكر والامتنان والتقدير إلى جامعة الزرقاء الأهلية رئيساً وعمادة كلية الآداب وقسم اللغة العربية واللجنة التحضيرية الذين بذلوا إمكاناتهم الطيبة لعقد هذا المؤتمر وإنجاحه خدمة للإسلام وللأدب الإسلامي والذين كانوا عند حسن ظن المشاركين في هذا المؤتمر.

والله نسأل أن يوفقنا جميعاً ويلهمنا سبل الرشاد لخدمة ديننا وأمتنا

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

□□□

قواعد النشر في المجلة

- لاتنشر المجلة أي موضوع سبق نشره.
- موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة ولاتوزع على عددين.
- يرجى كتابة الموضوع على الآلة الكاتبة أو بخط واضح، مع ضبط الشعر والشواهد وألا يزيد عن خمس عشرة صفحة.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل ليمكن وصول المكافأة الرمزية إلى الكاتب.
- ترسل نبذة عن الكاتب في حدود سطرين.
- يرجى توثيق البحوث توثيقاً علمياً كاملاً.
- الموضوع الذي لاينشر لايعاد إلى صاحبه.
- إرسال صورة غلاف الكتاب، موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة، أو المجرى معها الحوار.

القصة في الأدب الإسلامي

ندوة علمية عالمية تعقدها رابطة الأدب الإسلامي في بنجلور ـ الهند..

عقد مكتب شبه القارة الهندية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية الندوة العلمية السادسة عشرة في بنجلور، عاصمة ولاية كرناتك، الهند في فترة ٢٦/ ٢٨/ فبراير ١٩٩٩ م في قاعة دار العلوم سبيل الرشاد، واستضاف هذه الندوة أمير الشريعة لولاية كرناتك ومدير دار العلوم سبيل الرشاد المفتي محمد أشرف علي الباقوري. بتعاون الشيخ مصطفى الرفاعي الندوي.

كان موضوع الندوة القصة والرواية في الأدب الإسلامي، ولأهمية الموضوع امتازت الندوة عن غيرها من الندوات بالبحوث المتنوعة التي قدمها الأدباء والباحثون. الذين قدموا من مختلف ولايات الهند والتقى فيها أساتذة الجامعات والمدارس الإسلامية، والدعاة وقادة الفكر والزعماء السياسيون، كما اشترك فيها بالبحوث مندوبون من الإمارات العربية المتحدة، والمملكة العربية السعودية، وماليزيا وأندونيسيا. وقد بلغ عدد البحوث التي وصلت إلى مكتب الرابطة ٥١ بحثًا. إلا أن الوقت لم يتسع إلا لأربعين منها. وكانت أربعة بحوث منها بالعربية، وبحث بالانجليزية و٣٥ بحثًا باللغة الاردية. وبلغ عدد المندوبين ١٠٠ مندوب.

● الشيخ أبو الحسن الندوي

عقدت الجلسة الافتتاحية يوم الجمعة ٢٦/فبراير ١٩٩٩ م برئاسة سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية. وألقى سماحته بهذه المناسبة كلمة ألقى الضوء فيها على دور الأدب في البناء والافساد وقال: إن الأدب يحدث دواقع ومحركات. ويواعث على العمل. ويوجد الميول والنزعات التي تحرك الإنسان وتدفعه. وتحدث فيه قوة التأثير. وتحدث الانقلاب في الحياة الفردية والاجتماعية. فهو بذلك أداة فعالة للإصلاح والإفساد. ولذلك لا يمكن أن يغض البصر عنه في أي حال من الأحوال. وقال: إن الأدب يغطي الحياة كلها، ظاهرها وباطنها. فإنه عبارة عن المشاعر والعواطف، والتجارب والوقائع، والعلاقات القائمة بين مختلف الطبقات وأفراد الجنس البشري. وهو تصوير وتوجيه في وقت واحد. وقال سماحته: إنه لن المصادفة الحسنة أن تعقد هذه الندوة في دار العلوم سبيل الرشاد، فإن الأدب الإسلامي في الواقع يهدي إلى سبيل الرشاد، وهو الأدب الأصيل. وذكر سماحته دور القصة في تكوين الذهن. وذكر مكانة القصة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. وقال: إن القصة وسيلة مؤثرة للبيان. ولا يمكن تفهيم بعض الأمور إلا بالقصة، ودعا سماحته الأدباء الإسلاميين إلى استخدام هذا الفن والإبداع فيه، وأشاد بالثروة الغنية في هذا الموضوع في الأدب الأردي، والأدب العربي، ونوه بالمنهج القرآني للقصة. وقارن بين منهج القرآن للقصة، ومنهج الكتب السماوية الأخرى.

وقدم الأستاذ محمد الرابع الندوي مدير دار العلوم ندوة العلماء، ونائب الرئيس لرابطة الأدب الإسلامي العالمية. ومدير جناحها للبلدان الشرقية، تقريره الذي استعرض فيه نشاطات الرابطة. وألقى الضوء على الموضوعات التي تناولتها الندوات السابقة. وشرح أهمية الموضوع الذي تعقد حوله هذه الندوة.

ومن المندوبين تحدث الشيخ يوسف نعمت مدير

معهد التربية الإسلامية العالي في ماليزيا فقال إن مكتب الرابطة أنشيء في ماليزيا منذ سنوات ثم استعرض نشاطات هذا المكتب.

وقبل ذلك ألقى المفتي أشرف علي أمير الشريعة لولاية كرناتك ومدير دار العلوم سبيل الرشاد، ورئيس لجنة الاستقبال، كلمته التي رحب فيها بالضيوف واشترك في الحفلة الافتتاحية علاوة على المندوبين كبار الشخصيات السياسية والتعليمية من مدينة بنجلور كان في مقدمتهم السيد س. ك. جعفر شريف وزير السكك الحديدية السابق، وأحد كبار زعماء المؤتمر الوطني، والسيد إبراهيم سليمان رئيس العصبة الإسلامية، وعضو البرلمان

عقدت بعد المغرب الجلسة الأولى للبحوث برئاسة الدكتور محمد اجتباء الندوي رئيس قسم اللغة العربية بجامعة إله آباد سابقا ورئيس المكتب الإقليمي للرابطة في الهند وكان مقرر هذه الجلسة الدكتور ظفر أحمد الصديقي من جامعة عليجراه الإسلامية. قدم فيها الدكتور عبدالباري رئيس قسم اللغة العربية بجامعة عليجراه بحثه عن حي بن يقظان، والدكتور قدرة الله الباقوي من ميسور بحثه على قصص القرآن، والدكتور رشاد العثماني من بهاتكل عن فن القصة في اللغة الأردية. والأستاذ صدر الحسن الندوي من أوفج أباد بحثه عن فن القصة وملامحها الفنية. والدكتور عبدالمجيد خان الكشميري من جامعة عليجراه عن منهج الأديب القصصي المشهور نسيم الحجازي للقصة.

وعقدت في ٢٧/فبراير ١٩٩٩م ثلاث جلسات عقدت الجلسة الأولى برئاسة الدكتور عبدالله عباس الندوي أستاذ جامعة أم القرى بمكة المكرمة سابقا، وكان الدكتور محسن العثماني مقرر الجلسة. قدم فيها الأستاذ عبدالله مقاله عن ألف ليلة وليلة، ودورها في تكوين الذهن وخصائصها الفنية، وكان البحث باللغة الانجليزية وقدم الدكتور ظفر أحمد الصديقي والدكتور تقي الدين الندوي «جامعة العين» والأستاذ عارف عزيز مدير جريدة نديم «بهوبال» والشيخ راج الدين الندوي والشيخ جعفر حسين الباقوي بحوثهم.

وفي الجلسة الثانية التي عقدت برئاسة الصحافي الكبير مقصود علي خان وكان المقرر فيها الدكتور عارف جنيد الندوي، قدم الدكتور محمد صبغة الله والدكتور احتشام أحمد الندوي والدكتور عبدالله عباس الندوي والمفتي محمد شعيب الله المفتاحي، والدكتور محمد حسان خان، والدكتور محمد عبدالوهاب بحوثهم

وفي الجلسة المسائية التي عقدت بعد المغرب برئاسة الدكتور سعيد الأعظمي الندوي، وكان المقرر فيها الأستاذ صدر الحسن الندوي، قدم الدكتور محمد صلاح الدين العمري من جامعة عليجراه الإسلامية بحثه عن عمالقة الشمال لنجيب الكيلاني، والدكتور كفيل أحمد القاسمي عن حادثة في شارع الحرية لإبراهيم العاصي، والدكتور يحيى نشيط عن قصة تميم الداري في اللغة الأردية، والدكتور اقبال حسين الندوي عن رسم الشخصية في القصة، والدكتور راهي فدائي عن مثنوي كلزار شاكر، والأستاذ محمد خالد الندوي عن دور المرأة في القصة. والأستاذ عبدالرشيد دراسة لقصص القرآن، وفي ختام الجلسة عرض الأستاذ سعيد الأعظمي في كلمته الرئاسية ملامح بحثه عن القصة في الحديث الشريف.

وعقدت جلستان في ٢٨/فبراير عقدت الجلسة الأولى برئاسة الدكتور نثار أحمد الفاروقي من جامعة دبي، وكان مقرر الجلسة الأستاذ محمود الأزهار الندوي، قدم فيها أربعة بحوث، كان منها بحث الدكتور عبيد الله فهد من جامعة عليجراه الإسلامية عن القصة في القرآن والمستشرقين، وبحث الدكتور يسين مظهر الصديقي من جامعة عليجراه عن المنهج القرآني في القصة. وبحث الدكتور محسن العثماني من جامعة دلهي عن فن القصة في أيدي الأدباء المحترفين وبحث الدكتور راشد نسيم الندوي عن جوانب من قصص القرآن.

وفي الجلسة الثانية التي عقدت برئاسة الأستاذ محمد الرابع الندوي، وكانت للبحوث باللغة العربية وكان مقرر الجلسة الأستاذ ضياء الحسن الندوي، وكان في مقدمتها بحث سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي بعنوان قصة يوسف مقارنة بين المنهج القرآني ومنهج الانجيل، وبحث الأستاذ واضح رشيد الندوي بعنوان رسم الشخصية وتصوير المشهد في القصص النبوي الشريف، وبحث الأستاذ أحمد فهمي زمزم حول المنهج القرآني للقصة، وقدم الدكتور محمد اجتباء الندوي ملخص بحثه عن أحمد باكثير بالاشارة إلى رواية «واسلاماه» وبعد هذه الجلسة عقدت الجلسة الختامية التي قدمت فيها القرارات وكلمات الشكر.

وبالإضافة إلى الجلسات النظامية للندوة، عقدت جلسة خاصة للصحافيين والأدباء والشعراء لدينة بنجلور في

٢٧/فبراير ١٩٩٩م بعد العصر. شرح فيها الأستاذ محمد الرابع فكرة الأدب الإسلامي، وعرض تاريخ إنشاء الرابطة، واسهاسها في التقريب بين رجال الأدب والعلم والفن، وتحدث سماحة الشيخ الندوي وأوضح وظيفة الأدب في بناء الحياة ودوره في الافساد إذا انحرف عن جادته. وتحدث في هذه الجلسة أيضاً الشيخ مجاهد الإسلام القاسمي الذي وصل إلى بنجلور خصيصاً للاشتراك في الندوة رغم كونه تحت الرعاية الطبية الخاصة.

وقد اهتمت الصحافة بمداولات الندوة. ونالت الجلسات تغطية عامة من الصحف التي تصدر من بنجلور وبومباي. ونشرت الصحف مقالات حول الأدب الإسلامي. كما عقدت جلسة خاصة للأدباء الإسلاميين وقد اتخذت في هذه الندوة التوصيات التالية:

■■ التوصيات

١ ـ تتقدم الندوة إلى سماحة رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي بالشكر والامتنان وفائق التقدير على تشريفه بقدومه الميمون رغم كثرة أعماله الجليلة، ورغم أشغاله المتنوعة، ورغم ما يعانيه بحكم شيخوخته وكبر سنه ـ من انحراف وضعف في الصحة، وتتضرع الندوة إلى الله عزوجل أن يكرم الشيخ بدوام الصحة وكامل العافية. وينفع به الإسلام والمسلمين، والعباد والبلاد، ويبقيه ذخرا لهما طويلا.

٢ ـ إن الأدب الإسلامي يفيض كل آن وحين في جميع أنحاء العالم بأساليبه المتجددة الجذابة المزخرفة والقصة صنف في الأدب يحظى بالرواج والقبول، ويحمل قوة التأثير والإبلاغ أكثر من أي صنف أدبي آخر، فتلفت الندوة أنظار أهل الأدب والبيان عبر هذا القرار إلى أن يهتموا بهذا الصنف في الأدب عرضاً ونتاجا، وتلتمس من «كاروان أدب» (قافلة الأدب) (مجلة فصلية يصدرها مكتب شبه القارة الهندية برئاسة رئيسه الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي) أن تتولى مسئولية طباعة ونشر الإنتاج القصصي.

٣ ـ يمتاز هذا القرن بتصاعد الحركات الأدبية فيه، ونتيجة لهذه النظريات الأدبية المختلفة والاتجاهات المتضاربة فقد تكونت مدارس مختلفة وظهر الإبداع في كل فن من فنون الأدب، يمثل كل منه مدرسة خاصة من هذه المدارس الأدبية، ويختلف بعضه عن بعض ويكون معظمه مصادما للتصور الإسلامي. فينبغي علينا أن نقوم باستعراض هذه الثروة الأدبية كلها. وتمييز وانتقاء ما يتفق مع القيم الإسلامية والمعايير الإنسانية، وأن تتبنى رابطة الأدب الإسلامي العالمية هذا العمل كمشروع مستقل يسفر عن عرض أدب صالح يخدم المجتمع الإنساني، ويساعد على تكوين المجتمع تكويناً إسلاميا صالحا.

٤ ـ كثير من الطلبة والشباب يملكون كفاءة أدبية جيدة ولابد من تنظيم «ورشات» لإشعال مواهبهم هذه وترشيد فكرهم وتشجيعهم للتقدم، وعن هذا الطريق يمكن لنا البحث عن أدباء المستقبل في الشباب.

٥ ـ وهنالك بعض الأساليب الأدبية يندر وجودها في هذا العصر مثلا الأدب التمثيلي والرواية. وأدب الأطفال وبصفة خاصة يستحق أدب الأطفال الأولوية والاعتناء الزائد من الأدباء والمعنيين بالأدب حتى يمكن غرس معاني الإسلام ومحاسنه في قلوب النشء الجديد وتربيتهم على الأسس الإسلامية.

٦ ـ وتحقيقا لهذه الأهداف النبيلة، وتطبيقاً لهذه القرارات الهامة تقوم الحاجة لتنشيط الدوائر الأدبية في مختلف أنحاء البلاد وتشجيع الإنتاج الأدبي الإسلامي، وذلك بتنظيم اللقاءات والندوات

٧ ـ مكافحة للحركات الهدامة والكتابات المسمومة التي لا يهمها إلا دعاية مضللة مكثفة ضد الإسلام وتعاليمه السمحة يجب انتقاء موضوعات المساواة والتآخي والعدل والإنصاف وحسن الخلق والإيثار والشفقة على الإنسانية، وعرضها في شتى اللغات بأساليب أدبية مختلفة قوية أخاذة يميل إليها الذهن المعاصر، لتزول الشكوك والشبهات عن الإسلام التي تروجها الأقلام المسعورة.

٨ ـ تناشد الندوة الجامعات العصرية والإسلامية والمدارس والكليات والمراكز التعليمية والتربوية بتقرير تدريس الأدب الإسلامي الصالح البناء. وأن تقدم الرابطة خدماتها في ترتيب مقررات الأدب الإسلامي ومنهج تعليمه.

أعد التقرير:

إقبال أحمد الندوي

المساعد الإداري في مكتب
شبه القارة الهندية

ندوات الأدب الإسلامي

ندوة بالقاهرة..عن:

الأدب الإسلامي في خدمة الدعوة

عقدت بالقاهرة ندوة «الأدب الإسلامي في خدمة الدعوة» بالتعاون بين رابطة الجامعات الإسلامية، وجامعة الأزهر، ورابطة الأدب الإسلامي العالمية.. في الفترة من ١٣ ـ ١٤٢٠/٣/١٥هـ الموافق ٢٦ ـ ١٩٩٩/٢/٢٨م.

وتهدف هذه الندوة إلى:

- بيان أثر القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في تشكيل أدب الدعوة لتحقيق النهضة الإسلامية.
- تأكيد التوجه لأسلمة العلوم والفنون والآداب.
- الكشف عن دور الأدب الإسلامي في نشر قيم الإسلام ومبادئه.
- التأصيل للقيم النقدية في مجال النقد الأدبي الإسلامي.
- ابراز الوسائل الفنية التي يمكن أن توظف في مجال الدعوة في فنون الأدب المختلفة شعرا وقصة ومسرحية وغير ذلك.
- تقديم نماذج من فنون ذات فاعلية خاصة في نشر الإسلام.

وتتضمن الندوة المحاور الآتية:

■■ المحور الأول:

ويتناول التطور التاريخي عن الارتباط بين الدعوة الإسلامية والأدب الإسلامي بمختلف فروعه مثل:

- عناية الشعر في مختلف المراحل التاريخية بالدعوة.
- عناية النثر في مختلف المراحل التاريخية بالدعوة الإسلامية

■■ المحور الثاني:

يتناول الأدب الإسلامي في الوقت الحاضر والعناية بالدعوة الإسلامية، ويتضمن الكتابة في موضوعات مثل:

- الشعر الإسلامي المعاصر والدعوة.
- المقالات والدعوة.
- الفن المسرحي والدعوة.
- الفن القصصي والدعوة.
- الأدب المتصل بالأطفال.

■■ المحور الثالث:

مستقبل الأدب الإسلامي وكيف يمكن استثماره بشكل أفضل في سبيل العمل والدعوة ويتضمن موضوعات مثل:

- مستقبل الشعر الإسلامي وكيفية استخدامه في وسائل التعبير الحديثة.
- كيف يمكن وضع الأدب الإسلامي في صيغ حديثة مثل القصة والرواية والمسلسلات التليفزيونية والأفلام السينمائية.. الخ.

الملتقى الدولي للأدبيات الإسلاميات..

يعقد على هامش المؤتمر العام الخامس للرابطة.. بالقاهرة

على هامش المؤتمر العام الخامس للهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في القاهرة، سوف يعقد - بإذن الله - الملتقى الدولي للأدبيات الإسلاميات في الفترة ١٨ - ١٩/٤/١٤٢٠هـ الموافق ٣١ - ١/٨/١٩٩٩م.

ويشتمل الملتقى على المحاور والموضوعات الآتية:

■■ المحور الأول:

مسيرة أدب المرأة في العالم العربي

ويتضمن الموضوعين التاليين:

١ - أدب المرأة في العالم العربي «الإيجابيات والسلبيات»

٢ - الاتجاه الإسلامي في أدب المرأة.

■■ المحور الثاني:

المرأة وقضايا الأدب الإسلامي

ويتضمن الموضوعات التالية:

١ - الأدبية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة

٢ - الأدبية الإسلامية وقضايا الأمة.

٣ - الأدبية الإسلامية وأدب الطفل.

٤ - الأدبية الإسلامية والبوح الوجداني.

٥ - صورة المرأة في القصة الإسلامية.

٦ - إشكالية المرأة والمسرح.

■■ المحور الثالث:

تقويم نماذج من أدب المرأة المسلمة

أ - في الشعر:

نازك الملائكة - عاتكة الخزرجي - عليّة الجعار - شريفة فتحي - المباركة بنت البراء - إنصاف بخاري - أمينة المريني - وفاء وجدي. وغيرهن

ب - في القصة والمسرحية:

خيرية السقاف - جهاد الرجبي - لطيفة بورقعة.. وغيرهن

■■ المحور الرابع:

رسالة الأدبية الإسلامية في العصر الحاضر

ويتضمن الموضوعات التالية

- أثر الأدبية الإسلامية في المجتمع «تربية الأجيال

- توجيه المرأة المسلمة

- مقاومة تيار التغريب»

- نشر الوعي برسالة الأدب الإسلامي في المجتمع النسائي.

٣ - الإسهام في مسيرة الأدب الإسلامي إبداعاً ودراسة ونقداً.

٤ - إثبات الوجود في الساحة الأدبية «الكتابة في مجلات الرابطة - الكتابة في المجلات النسائية - الكتابة في الصحف والمجلات المختلفة - الإسهام في الإعلام المسموع والمرئي - إلقاء المحاضرات وعقد الندوات عن الأدب الإسلامي في الجمعيات النسائية - وسائل نشر العضوية في الرابطة»

٥ - إعداد الأدبية الإسلامية.

■■ المحور الخامس:

تكريم الأدبية الإسلامية عائشة عبدالرحمن «بنت الشاطئ»

ويتضمن الموضوعات التالية:

١ - حياة بنت الشاطئ وآثارها.

٢ - بنت الشاطئ «فكرة إسلامية.

٣ - بنت الشاطئ أديبة إسلامية.

٤ - شهادات.

■■■

نشاطات أدبية في المغرب

●● مسابقة «حسن الأمراني» لإبداع الشباب بعدة لغات

أقام طلبة كلية الآداب في مدينة أغادير بالمغرب نشاطاً في الأدب الإسلامي حضره الدكتور حسن الأمراني رئيس مكتب الرابطة في المغرب وألقى فيه محاضرة عن مفهوم الأدب الإسلامي وخصائصه.

كما نظمت مسابقة «حسن الأمراني لإبداع الشباب» في الشعر والقصة باللغات: العربية والفرنسية والإنجليزية والإسبانية.

واختتم طلبة الكلية نشاطهم بعقد ندوة شارك فيها إلى جانب د. حسن الأمراني عدد من أساتذة الكلية منهم الأستاذ عز الدين بونيت.

د. حسن الأمراني

●● نشاطات أدبية لـ «مؤسسة الدفاع الثقافي»

قامت مؤسسة الدفاع الثقافي التي يرأسها عضو الرابطة الأستاذ سعيد ساجد الكرواني بنشاطات أدبية وثقافية ودعوية مختلفة بالتعاون مع عدد من الجمعيات الثقافية والاجتماعية بلغت في مجموعها ٢٣ نشاطا

سعيد ساجد الكرواني

ندوة المرأة والمجتمع.. بالمغرب

دورة عائشة عبدالرحمن «بنت الشاطىء»

عقدت هذه الندوة في جمعية النبراس الثقافية بالتعاون مع المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالمغرب في مدينة وجدة من ٣ ـ ٤ محرم ١٤٢٠ هـ الموافق ١٦ ـ ١٨ نيسان «أبريل» ١٩٩٩م.

وكان برنامج الدورة كالآتي:

الجمعة ٣ محرم الموافق ١٦ أبريل

صباحاً الجلسة الافتتاحية

مساء: الجلسة الأولى المرأة في الخطاب الشرعي

- نظرات في المسألة النسائية من خلال القرآن الكريم: د. الشاهد البوشيخي
- المرأة والرجل مساواة لا تطابق: د. أحمد الريسوني

السبت ٤ محرم الموافق ١٧ أبريل

صباحا الجلسة الثانية: المرأة والتحديات المعاصرة

- المرأة المسلمة في الغرب:

د. عذراء قاسيموفيتش «من البوسنة والهرسك»

- حول الاجتهاد في قضايا المرأة:

د. مليكة خشيري

- واقع المرأة المسلمة المعاصرة: التمظهرات، الجذور والآفاق:

د. أحمد العبادي

- المرأة في ضوء الثوابت الإسلامية: الدور الحضاري:

د. نزيهة معاريج

- الاتجاه النسواني في قضية المرأة د. مصطفى شعايب

- المرأة والعولمة د. مصطفى الرابط

مساء

الجلسة الثالثة: المرأة والكتابة

- صورة المرأة في الكتابة النسائية:

د. سعاد الناصر «أم سلمى»

- تأويل النص في الخطاب النسوي المغربي

د. بدر القري

- صورة المرأة في الرواية:

د. سعيد الغزاوي

- المرأة في سنته العزفية:

د. جميلة رزقي.

- المرأة من خلال /إيقاعات في قلب الزمن/ لأم سلمى:

د. إسماعيل إسماعيلي

الأحد ٥ محرم الموافق لـ ١٨ أبريل

صباحا الجلسة الرابعة: محور عائشة عبدالرحمن «بنت الشاطىء»

- بنت الشاطىء: قراءة في سيرة ذاتية

د. حسن الأمراني

- اسهام بنت الشاطىء في التفسير:

د. محمد أقبال عروي.

- بنت الشاطىء والمنهج:

د. علي الغزيوي.

مساء حفل توزيع الجوائز على المتوقفات في مباراة حفظ القرآن الكريم

وذلك بمشاركة عدد من أعضاء الرابطة وتختار من هذه الأنشطة ما يخص الأدب الإسلامي:

١ ـ ندوة شعرية ـ سعيد ساجد الكرواني ومحمد السعدي بدار الشباب، أنوال تازة.

٢ ـ حول الأدب الإسلامي، ندوة. سعيد ساجد الكرواني وحسن الأمراني، ومحمد بن عمارة، ومصطفى الحيا.

٣ ـ لماذا الأدب الإسلامي؟. ندوة د. محمد علي الرباوي. أنوال تازة.

٤ ـ قراءات شعرية. سعيد ساجد الكرواني مع آخرين نادي التعليم تازة.

٥ ـ قراءات شعرية. سعيد ساجد الكرواني. المدرسة التقنية تازة.

٦ ـ رؤية في المصير. محاضرة وقراءة لقصيدة د. عماد الدين خليل بعنوان «رحلة في المصير» سعيد ساجد الكرواني ـ دار الشباب، أنوال تازة.

٧ ـ قراءات شعرية. سعيد ساجد الكرواني، محمد بن عمارة، محمد علي الرباوي، الحي الجامعي في جامعة محمد الأول. وجدة.

٨ ـ قراءات شعرية. الملتقى الوطني للشعر والأغنية. سعيد ساجد الكرواني، أمينة المريني، فريد الأنصاري، وآخرون.

■■■

برنامجان.. عن الأدب الإسلامي في قناة الشارقة الفضائية

قدم الدكتور وليد قصّاب برنامجاً في تليفزيون الشارقة عنوانه «شعراء حول الرسول ﷺ» في ثماني عشرة حلقة أذيعت جميعها.

بدأ الدكتور وليد قصّاب بتسجيل برنامج عن الأدب الإسلامي في إذاعة أبو ظبي عنوانه «نصوص من الأدب الإسلامي المعاصر» يقدم في كل حلقة نص من نصوص الأدب الإسلامي في مختلف الفنون والموضوعات، فيعرّف به وبصاحبه ويعقّب عليه، ويتوقع أن يكون البرنامج في ثلاثين حلقة. سجل منها إلى الآن سبع وسيذاع في الشهر السادس أو السابع «حزيران وتموز» من هذا العام.

د. وليد قصاب

أنشطة أدبية في الأردن

الأردن: من كمال عفانة

أقام مكتب الأردن الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ثمانية أنشطة ثقافية في المدة الواقعة ما بين ١٣/٤/١٩٩٨ إلى ٥/١/١٩٩٩م على النحو التالي:

١٣/٤/٩٨ أمسية شعرية للأستاذ **محمد عبدالمعطي ضمرة**.

٥/٥/٩٨ أمسية أدبية **للأستاذ الدكتور عبدالقادر رمزي** «شعر ونثر».

٢/٦/٩٨ أمسية أدبية **للدكتور مامون فريز جرار** «شعر ونثر».

١/٩/٩٨ أمسية شعرية للأستاذ **عبدالله عيسى السلامة**.

٤/١١/٩٨ أمسية شعرية للأستاذ **خالد البيطار**.

١/١٢/٩٨ أمسية قصصية للأستاذ **خليل السواحري**.

٣٠/١٢/٩٨ أمسية أدبية للأستاذ **إبراهيم العجلوني** «شعر ونثر».

٥/١/٩٩ محاضرة حول الإعجاز في القرآن الكريم **للدكتور عودة خليل أبو عودة**

د. مامون فريز

□□□

أدب الأطفال في الإسلام

ألقى الأستاذ **محمد جمال عمرو** عضو المكتب محاضرة بعنوان «**أدب الأطفال في الإسلام**» في الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر يوم الخميس ١٦/١١/١٤١٩ هـ الموافق ٤/٣/١٩٩٩م في مقر المكتب الإقليمي، وقد جاءت هذه المحاضرة في قسمين: الأول مجموعة من إنتاج الأستاذ محمد جمال المخصص للأطفال، والثاني حوار مفتوح حول طبيعة أدب الأطفال في الإسلام

وقد دار نقاش موسع بين المحاضر والسادة الحضور، طرحت من خلاله المقترحات التالية:

- إقامة ندوات أو قراءات للأطفال في مقر المكتب.
- دعوة أطفال الأعضاء وأصدقائهم للاستماع إلى عدد من الكتاب من أعضاء المكتب حول أدب الطفل المسلم.
- إقامة مهرجان لأدب الأطفال بالتنسيق مع إحدى المدارس على أن يكون الأستاذ محمد جمال عمرو هو المنسق لهذا المهرجان.
- إقامة ورشة عمل لكتاب الأطفال من أعضاء الرابطة وعرض تجاربهم.

من أخبار أعضاء الرابطة

تكريم الهاشمي في الاثنينية

كرم الأستاذ الأديب **الشيخ عبدالمقصود خوجه** - رجل الأعمال المعروف - وعضو الشرف في رابطة الأدب الإسلامي العالمية، في اثنينيته **الأستاذ الدكتور محمد علي الهاشمي** أستاذ الأدب العربي وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

وكانت الأمسية حافلة تحدث فيها صاحب الاثنينية وألقيت كلمات نثرية شارك فيها **الدكتور أحمد البراء الأميري والدكتور محمد حكمت وليد**، كما ألقيت قصائد شارك فيها الدكتور حيدر الغدير، والأستاذ **محمد علي الصابوني**.

د. محمد علي الهاشمي

واختتمت الأمسية بحديث **الدكتور محمد علي الهاشمي** عن مسيرته العلمية وآرائه في التربية والأدب.

عبد المقصود خوجة

تكريم د.الشكعة.. بمكتب الرابطة بالقاهرة

كتب - وجيه يعقوب السيد:

تحرص رابطة الأدب الإسلامي العالمية على تكريم أدبائها ونقادها الكبار، لما قدموه من إنجازات وإسهامات مهمة في مجال الأدب الإسلامي، ويجسد هذا التكريم حرص الرابطة ووفاءها لأرباب الكلمة الطيبة، الذين يجاهدون بمدادهم، ويذودون عن القيم النبيلة بالقول الصالح.

وانطلاقاً من هذا الحرص والوفاء لرابطة الأدب الإسلامي، قام المكتب الإقليمي للرابطة بالقاهرة بتكريم الناقد والمفكر الكبير الأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة، الأستاذ المتفرغ بكلية الآداب جامعة عين شمس والعميد الأسبق للكلية، والدكتور مصطفى الشكعة واحد من النقاد القلائل الذين يفهمون رسالة الأدب وطبيعته الإنسانية والأخلاقية، حيث لم يفتتن بالدعاوى الوافدة التي تحاول أن تعزل الأدب عن الدين وعن الأخلاق، بل التزم في كل ما يكتب ويقول بالمنهج الإسلامي الصحيح، الذي لايرى الأدب بمعزل عن الدين، بل هو ينبثق منه ويترعرع في ظلاله، وأثر الدين في الأدب أوضح من أثر العوامل الأخرى كالسياسة والاجتماع والاقتصاد.

د. مصطفى الشكعة

د. عبد المنعم يونس

د. عبد الحليم عويس

د. عبده زايد

□□□

بدأ التكريم بكلمة ألقاها **الدكتور عبدالمنعم يونس**، رئيس مكتب الرابطة بالقاهرة جاء فيها: يسعدنا أن نكرم علماً من أعلام الفكر، ورائداً من رواد الكلمة، ذلكم هو الأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة الذي عرفته المحافل الأدبية مدافعاً عن الإسلام ومبادئه، مناضلاً عن الكلمة الطيبة، وما تغرسه في نفوس الناشئة، أصيلاً في فكره، عميقاً في فهمه للقضايا التي يؤمن بها، لم نره يوماً يركب تلك الموجات الوافدة التي ركبها كثير من النقاد والأدباء، وإنما نشأ محباً للتراث، متمثلاً تلك المواقف التي وقفها العظماء من الرجال.

ويضيف **الدكتور عبدالمنعم يونس**: أين ذلك الوفاء للتراث، والإخلاص له من تلك الأقلام التي تخرج علينا كل يوم بهجوم شرس على تراثنا، بل إنها تنهال عليه بمعاول الهدم تريد تحطيمه بحجة أنه لايصلح لزماننا، ولايفي بمتطلبات مجتمعنا، إنها دعوة تنفث سمومها في عقول الأمة كي تبتعد عن ذلك التراث الذي حافظ منشئوه على الكلمة الأصيلة.

وعقب ذلك أهدى **الدكتور عبدالمنعم يونس** درع رابطة الأدب الإسلامي **للدكتور مصطفى الشكعة** نيابة عن

سماحة رئيس الرابطة الشيخ ابي الحسن الندوي.

أما **الدكتور عبدالحليم عويس** فقد قدم دراسة وافية لبعض مؤلفات **الدكتور الشكعة**، وقال عن كتاب «**إسلام بلا مذاهب**» إنه يمثل الاعتدال الإسلامي والتسامح الحقيقي، وهو كتاب جدير بالدراسة في كل جامعاتنا العربية والإسلامية، حتى يفيد منه طلابنا، لأن الكتاب يعكس روح المؤلف، ويعكس فكره السامي الذي ينأى بصاحبه عن التعصب والتزمت والصراعات الذاتية.

كذلك تحدث **الدكتور عبدالحليم عويس** عن كتاب «**معالم الحضارة الإسلامية**» وكتاب «**مناهج التأليف عند العلماء العرب**» وكتاب «**الأدب في موكب الحضارة**»، مشيراً إلى أن هذه الكتب تعكس ثقافة المؤلف الموسوعية ورؤيته المنهجية والأكاديمية.

أما **الدكتور علي علي صبح**، العميد الأسبق لكلية اللغة العربية، فقد أشار إلى قوة الدكتور الشكعة في الحق رغم ما عرف عنه من تسامح ولين، وذكر أحد المواقف التي تدل على ذلك، وذلك بقوله: لازلت أذكر موقفه العظيم الذي لا زال شاخصاً أمام عيني، وذلك في قاعة الإمام محمد عبده في السبعينيات حينما كان يناقش بحث الدكتوراه بعنوان «التمرد في الشعر العربي الحديث» للباحث آنذاك. محمد العزب، فأخذ يصرخ في وجه الباحث متعجباً وقائلاً: «كيف يبحث مثل هذا الموضوع في جامعة الأزهر وفي قاعة الإمام محمد عبده، فالأزهر الشريف لايرضى عن التمرد حتى لو كان في الشعر العربي، وإنما يحث الباحثين على دراسة التجديد والرقي الحضاري، لا أن يتمرد على أصالة تراثنا وعرقته، وما رأيته في حياته ثائراً غاضباً مثلما كان في هذا الموقف.

وأشار **الدكتور عبده زايد** الأستاذ بجامعة الأزهر إلى الصفات التي يتصف بها **الدكتور مصطفى الشكعة** وهي: أنه يستخدم دائماً الأسلوب اللين الودود في الرد على الآراء المخالفة، وأن موقفه من الآخر هو موقف الحب والود وليس العداء، كما أن دراساته للأدب العربي وأعلامه لم تبتعد عن رؤية الأدب الإسلامي، فهو يسمّي الأشياء بأسمائها، وبناءً على ذلك يحدّد موقفه وموقعه من هذه الأشياء سواء بالقبول أو بالرفض.

وأشاد السادة الحضور الذين تدافعوا على إظهار حفاوتهم **بالدكتور الشكعة** بأخلاقه وتواضعه وعلمه الغزير ورسوخه في العلم، ومن هؤلاء: **الدكتور جابر قميحة** والأستاذ **محمود خليل الإناعي** المعروف **والدكتور طارق شلبي** المدرس بآداب عين شمس والأستاذ **مؤمن الهبّاء نائب رئيس تحرير جريدة المساء**.

كما أنشد كل من **الدكتور محمد بدر المعبدي** و **الدكتور عبدالغفار هلال** قصيدتين في هذا التكريم.

وفي كلمته لأبناء الرابطة، تحدّث **الدكتور مصطفى الشكعة** إلى الحضور بصدق وشفافية وتواضع عن بعض المحطات الهامة في حياته، فذكر أنه قد ارتبط بجمعية الشبان المسلمين منذ الطفولة، حيث كان عضواً في فريق الإنشاد بالجمعية، وكانت نشأته في بيت من العمائم ـ من علماء الأزهر الشريف ـ وكان لهم الفضل في توجيهه إلى التدين منذ نعومة أظفاره.

وعندما أنهى تعليمه العام أراد له والده أن يلتحق بكلية الحقوق وقال له: أريدك أن تكون محامياً مشهوراً، ولا تدافع إلا عن المظلومين والمعذورين، وبالفعل أخذ أوراقه وأراد أن يحقق رغبة والده بالالتحاق بكلية الحقوق، لكن الظروف حالت دون ذلك بسبب تصلب المسئولين وتشددهم في بعض الشروط، ونصحه بعض أصدقائه بالالتحاق بكلية الآداب وكانت تعرف بكلية «**طه حسين**» وبالفعل التحق بكلية الآداب ـ قسم اللغة العربية، لكنه ظل يبحث عن طريقة يحقق بها وصية والده، وهي أن يدافع عن المظلومين، ولاشك أن كتابات **الدكتور الشكعة** ومواقفه بعد ذلك في إنصاف المظلومين قد حققت وصية الوالد.

د. طه حسين

د. جابر قميحة

ويحكي الدكتور الشكعة عن أول لقاء له بـ **طه حسين** وبداية تعرفه عليه فيقول: كان **طه حسين** يدرّس لنا الأدب والنقد، وكان عدد الطلاب في دفعتي أحد عشر طالباً وكنا جميعاً أولاد مشايخ وعلماء بالأزهر، وفي إحدى المحاضرات قال طه حسين عن **مصطفى صادق الرافعي** «إنه لايفهم شيئاً إنما هو مجرد حمار» وبعد انتهاء المحاضرة فارت الدماء في عروقنا وغضبنا بسبب تهجم الأستاذ العميد على الرافعي، واتفقنا على أن نعاتبه ونراجعه فيما قال وانتدبني زملائي للقيام بذلك، فذهبت إليه في مكتبه

وأخبرته بأن ماقام به من تجريح للرافعي لايدخل في باب النقد إنما في باب الهجاء والسبّ فابتسم وقال: لقد تعجلتم، انتظروني في الأسبوع القادم. وفي الأسبوع القادم كانت المحاضرة بأكملها عن الرافعي، وأنصف فيها طه حسين الرافعي وردّ له اعتباره، ويبدو أن هذه كانت إحدى وسائل الأستاذ العميد لإثارة طلابه.

وقدّم الدكتور مصطفى الشكعة شهادة صدق عن **طه حسين** حيث تتلمذ على يديه في فترة الليسانس كما عمل معه في قسم اللغة العربية معيداً فمدرساً فقال: إن **طه حسين** ـ للإنصاف والعدل ـ لم يكن يتدخل في عقيدة أحد من طلابه ولم يسع إلى التأثير على أحد بفكره وآرائه داخل الجامعة أما خارج الجامعة فكان يكتب ما يشاء وما يؤمن به. كما أنه في أخريات حياته ـ وقد رأيت ذلك بنفسي ـ كان دائم الاستغفار والذكر وتلاوة القرآن، ولعل كتاباته الإسلامية كانت ثمرة لهذا التأمل والرجوع إلى الله.

ومن المحطات المهمة في حياة **الدكتور الشكعة** عمله في الملحقية الثقافية لمصر في الولايات المتحدة الأمريكية وإشرافه على الطلاب المصريين هناك، ويشير **الدكتور الشكعة** إلى أن اختياره لم يتم بسبب انتمائه لحزب أو جماعة ولكن بفضل تزكية أساتذته له.

أما عن أهم كتبه وأحبها إلى نفسه كما يقول **الدكتور الشكعة** فهو كتاب «البيان المحمدي»، وهو دراسة وافية لبلاغة الرسول ﷺ، وقد عزم على تأليفه عام ١٩٨٢م وأتمه وفرغ منه عام ١٩٩٥م، كذلك تحت الطبع كتاب عن الرافعي كاتباً إسلامياً حيث عقد المؤلف العزم على ردّ الاعتبار لهذا المؤلف العظيم الذي لم يأخذ حقه بشكل كبير.

وفي ختامه لقائه بأعضاء الرابطة تحدث **الدكتور الشكعة** عن دور أساتذته في نفسه وفي حياته، وذكر منهم د. **مهدي علام** ود. **مصطفى السقا**، وأقربهم إلى نفسه على الإطلاق هو الأستاذ عبدالوهاب عزام الذي أثر في حياته بشكل كبير.

كما دعا كل أدباء الرابطة إلى التعمق في العلم والزيادة منه والتخلق بأخلاق العلماء، بحيث يبتعدون عن سفاسف الأمور وصغائرها، ويكون هدفهم الأول والأخير هو الحقيقة العلمية وليس الانتصار الشخصي أو الذاتي.

□□□

البيان الختامي والتوصيات لمؤتمر الأدب الإسلامي في خدمة الدعوة

عقد بالقاهرة في الفترة من ١١ـ١٣ ربيع الأول ١٤٢٠ هجرية الموافق ٢٥ ـ ٢٧ يونيو ١٩٩٩م مؤتمر الأدب الإسلامي في خدمة الدعوة بالمشاركة بين كل من: جامعة الأزهر، ورابطة الجامعات الإسلامية، ورابطة الأدب الإسلامي العالمية، وتحت رعاية الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر، ومعالي الوزير الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبدالمحسن التركي رئيس رابطة الجامعات الإسلامية وبرئاسة فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر.

تقدم للمؤتمر أكثر من ثلاثين بحثا عالجت موضوعات التطور التاريخي للأدب الإسلامي عبر مختلف العصور في خدمة الدعوة، وقضايا الأدب الإسلامي في الوقت الحاضر، وأدب الأطفال، ثم مستقبل الأدب الإسلامي في خدمة الدعوة الإسلامية.

وقد شارك في المؤتمر وفود من البلاد العربية والإسلامية مثل

المملكة العربية السعودية، وسوريا، والمملكة الاردنية الهاشمية، و المملكة المغربية، وغيرها.

وقد ناقش العلماء والأدباء الذين حضروا المؤتمر، البحوث المقدمة على مدى ست جلسات وانتهوا إلى إصدار التوصيات الآتية:

أولاً: إن اللغة العربية وآدابها أدت وتؤدي دورها خلال حقب التاريخ الإسلامي في خدمة الدعوة الإسلامية شرحاً لكتاب الله وسنة رسوله، وتجلية لمعالم الفكر الإسلامي شعراً ونثراً. ولهذا يوصي المؤتمر المسؤلين عن وضع المناهج التربوية والتعليمية في مصر والعالم الإسلامي بالاهتمام باللغة العربية والأدب العربي، وبخاصة في مراحل التنشئة، وضرورة اختيار نصوص أدبية ذات مستوى رفيع وروح إسلامية.

ثانياً: إن الأدب الإسلامي يخاطب العقل والوجدان والعاطفة، وقد استطاع أن يشق طريقة بقوة في التعبير عن آمال الأمة الإسلامية وآلامها، وتوضيح قضاياها وإلهام مشاعرها حول مآثرها ومآسيها، ولهذا يوصي أعضاء المؤتمر بنشره وفتح المجالات امامه تربويا وإعلامياً وثقافياً.

ثالثاً: إبراز الجوانب الفنية والجمالية في الأدب الإسلامي، وإعادة النظر في مناهج دراسة الأدب بما يكشف أسرار الأدب الإسلامي الجمالية.

رابعاً: الاهتمام بأدب الدعوة، فهو تاج الأدب الإسلامي. وهو أدب شامل له رؤيته للكون والإنسان والحياة، وفق التصور الإسلامي.

خامساً: يقترح أعضاء المؤتمر تدريس مقرر الأدب الإسلامي في الكليات التي تدرس اللغة العربية، وكليات الدعوة وأصول الدين والشريعة الإسلامية مما يجعل الداعية مزوداً بالأدب الرفيع والأسلوب الرزين والمؤثر متمكنا من اللغة الادبية الجميلة.

سادساً: يوصي أعضاء المؤتمر بالقيام بدراسات تأصيلية واسعة معمقة للأدب الإسلامي، من خلال تشكيل لجان علمية تقوم بدراسة كل ما يمت بصلة للأدب الإسلامي في القديم والحديث؛ سعيا وراء صياغة نظرية متكاملة للأدب الإسلامي.

سابعاً: التوصية بعقد مزيد من مؤتمرات الأدب الإسلامي، بصفة دورية، حتى تتم دراسة كافة قضايا الأدب الإسلامي في ضوء التطورات المتلاحقة.

ثامناً: التوصية بتكريم كبار الأدباء الذين يصدرون في رؤيتهم عن توجه إسلامي، ورصد جوائز للنتاج المتميز في هذا المجال.

تاسعاً: الأخذ بأيدي الشباب والموهوبين في مجال الأدب الإسلامي من خلال إتاحة الفرصة لهم في الندوات والنشاطات المختلفة، والعمل على نشر إبداعاتهم.

عاشراً: يوصي أعضاء المؤتمر وسائل الإعلام المختلفة بتقديم نماذج الأدب الإسلامي، وتشجيع هذا الادب المعبر عن روح الأمة ورؤيتها.

حادي عشر: التوصية بترجمة النماذج الأدبية من لغات الشعوب الإسلامية إلى اللغة العربية، وأيضا نقل النماذج التراثية والمعاصرة التي تمثل الأدب الإسلامي في اللغة العربية إلى اللغات الإسلامية وغيرها، كما يوصي المؤتمر بنشر أعمال علمية عن آداب هذه الشعوب.

ثاني عشر: يوصي المؤتمر رابطة الأدب الإسلامي بعقد ندوات متخصصة، تعرف برموز الأدب الإسلامي في العصر الحديث، وعلى رأسهم مصطفى صادق الرافعي، والسحار، وباكثير، وإقبال، والأميري، وشوقي، وحافظ إبراهيم، وأحمد مجرم ، وغيرهم.

ثالث عشر: الاهتمام بأدب الأطفال شعراً ونثراً، وتوظيفه في تربية الطفل المسلم، وتوجيهه الوجهة التربوية الإسلامية، والاهتمام بتنمية موهبته.

رابع عشر: دعوة الباحثين والمفكرين والأدباء والموهوبين إلى تناول مشكلات العالم الإسلامي وآماله وآلامه، والتعبير عنها بالأساليب الفنية المبتكرة الملائمة لوسائل الإعلام الحديثة، الأرضية والفضائية المرئية والمسموعة.

هذا.. والله الموفق والمعين، وهو نعم المولى ونعم النصير.

سماحة رئيس الرابطة يعزي خادم الحرمين الشريفين في وفاة الشيخ بن باز

أرسل سماحة الشيخ حسن الندوي رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية برقية عزاء لخادم الحرمين الشريفين، في وفاة الشيخ عبد العزيز بن باز.. هذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود.. حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فقد تلقت ندوة العلماء والمدارس التابعة لها بمزيد من الأسى نعي المغفور له المصلح الكبير والعالم الموفق والداعية إلى الله وقطب من أقطاب العالم الإسلامي العلامة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، وأقيمت الصلاة على الميت غائباً في جامع ندوة العلماء، واجتمع الأساتذة والطلبة وذكروا محاسنه مسترحمين على روحه.

وإني أعتبر هذا الحادث خسارة للعالم الإسلامي كله، كما انى خسرت فيه شخصياً أكرم زميل وصديق على درب الدعوة إلى الله كما عهدته في جلسات رابطة العالم الإسلامي والمجلس الاستشاري للجامعة الإسلامية.

فاسمحوا لي ياخادم الحرمين الشريفين أن أعزيكم على هذا المصاب سائلاً المولى القدير أن يلهمكم وذويه والمسلمين كلهم الصبر و السلوان، وأن يخلف للأمة الإسلامية من يسد مسده وتقبلوا لائق تقديرنا وأخلص ثنياتنا وأطيب تحياتنا.

سماح الشيخ عبد العزيز بن باز.. يرحمه الله

الشيخ علي الطنطاوي.. في ذمة الله

إنتقل إلى رحمة الله تعالى، مساء يوم الجمعة الرابع من شهر ربيع الأول ١٤٢٠ الموافق للثامن عشر من حزيران «يونيو» ١٩٩٩.. فضيلة العلامة الفقيه والقاضي والأديب الشيخ علي الطنطاوي، عضو شرف رابطة الأدب الإسلامي العالمية، عن عمر يناهز الثالثة والتسعين.

قام د. عبد القدوس أبو صالح، نائب رئيس الرابطة، بتقديم العزاء إلى أهل الفقيد نيابة عن سماحة الشيخ أبو الحسن الندوي، رئيس الرابطة، الذي كانت تربطه بالفقيد أواصر الأخوة والمودة والتقدير المتبادل.

تنوي مجلة الأدب الإسلامي إصدار عدداً خاصاً عن شيخ أدباء العربية.. وهي تدعو الأدباء الإسلاميين إلى الإسهام في هذا العدد بالمقالات والبحوث.. وبما قد يتوافر من الرسائل الشخصية للفقيد، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، كفاء ماقدم للدفاع عن الإسلام، وعن لغة القرآن وعن تراث الأمة العريق.

وفاة الشاعر داود معلا

انتقل إلى رحمة الله الأستاذ الشاعر داود موسى معلا وذلك في ليلة الجمعة ٢٠ صفر ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩/٦/٤م.

وداود معلا عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية. من مواليد بلدة المالحة في القدس عام ١٩٣٣م.

وهو شاعر مجيد له مشاركات عديدة في المقرحانات الأدبية والثقافية وقصائد منشورة في الصحف والمجلات المحلية والعربية. له ديوانان. «الطريق إلى القدس» نسأل الله سبحانه وتالى أن يتغمده برحمته ويلهم ذويه الصبر والسلوان.

السفير السعودى في الهند يطمئن على صحة سماحة رئيس الرابطة

قام سفير المملكة العربية السعودية لدى الهند عبدالرحمن العوهلي يرافقه الملحق الديني الشيخ وليد الخميس بزيارة للشيخ أبي الحسن الندوي رئيس دار العلوم ندوة العلماء في مدينة لكهنو للاطمئنان على صحته إثر الوعكة الصحية التي ألمت به، وأقامت دار العلوم ندوة العلماء حفلا بحضور السفير عبدالرحمن العوهلي والشيخ وليد الخميس وعدد من العلماء وأساتذة الندوة والطلاب تبودلت فيه كلمات الترحيب، وعبر المشاركون في الحفل عن شكرهم لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله على ما يبذله من جهود كبيرة لخدمة الحرمين الشريفين والتطوير المستمر للمشاعر المقدسة خدمة لحجاج بيت الله الحرام والمعتمرين والزائرين للمسجد النبوي سائلين الله أن يديم على المملكة نعمة الأمن والاستقرار.

من إصدارات أعضاء الرابطة..

● صدر كتيب يضم مؤلفات سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي ـ باللغة العربية من إعداد محمد طارق زبير الندوي، وضم الكتيب ١٧٦ عنواناً، صدر عن مطبعة حراء في لكنهؤ/ الهند، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

● معالي د. محمد عبده يماني وسبعة إصدارات مختلفة:

ـ كيف نصلي على رسول الله؟ كتيب يقع في ٥٥صفحة صدر عن دار القبلة للثقافة الإسلامية في جدة/ السعودية

ـ علموا أولادكم محبة رسول الله، كتاب من الحجم الصغير يقع في ١٧٤ صفحة صدر عن دار المنار في دمشق/ سورية.

ـ بدر الكبرى، كتاب من الحجم الكبير يقع في ٢٩١ صفحة صدر عن دار القبلة للثقافة الإسلامية في جدة/ السعودية الطبعة الثانية ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

ـ الصحابي الجليل أبوهريرة والحقيقة الكاملة، كتاب من الحجم الكبير يقع في ٣٠٠صفحة صدر عن الشركة السعودية للأبحاث والنشر، جدة/السعودية.

ـ التأمين بالدعاء كتيب يقع في ٣١صفحة صدر عن دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة/السعودية.

ـ أضواء على البنوك الإسلامية، كتيب يقع في ٧٥صفحة عن الشركة السعودية للأبحاث والنشر، جدة/السعودية.

ـ السعودة وجهاً لوجه، صدر عن مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر ١٤١٨هـ ويقع في ٧١صفحة.

● سلسلة حكايات الإملاء للأطفال تأليف يحيى الحاج يحيى.

صدر من هذه السلسلة خمسة كتب هي:

ـ وسام في معرض اللام

ـ تحسين في نادي التنوين

ـ علاء في حديقة التاء

ـ فرحات في مكتبة الألفات

ـ حمزة في مسابقة الهمزة.

وهي سلسلة تعليمية لتبسيط القواعد الإملائية عن طريق الحكاية والحوار بأسلوب تربوي يتوخى الفائدة والمتعة معاً، صدرت السلسلة عن دار المجتمع للنشر والتوزيع في جدة/ السعودية الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

● صدر للأستاذ عبدالله بن حمد الحقيل أربعة كتب هي:

ـ رحلات إلى الشرق والغرب، الطبعة الأولى ويقع في ٢٠٠صفحة من القطع الكبير.

ـ يوم في ذاكرة التاريخ، ويتحدث فيه عن التحولات الحضارية الكبيرة التي شهدتها المملكة العربية السعودية في تاريخها الحديث.

ـ توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في النهضة العلمية والاجتماعية، وصدر هذا الكتاب بمناسبة الذكرى المئوية لتأسيس المملكة.

ـ رفقاً بالقصحى، ويقع في ١٤٥صفحة تناول فيه المؤلف مكانة اللغة العربية وثراءها وتاريخها العريق، ودعا للحفاظ عليها والنهوض بها.

● الدكتورة سارة بنت عبدالمحسن آل جلوي رئيسة تحرير «الشقائق» أهدت إلى مكتبة المجلة عدداً من مؤلفاتها القيمة وهي:

ـ نظرية الاتصال عند الصوفية

ـ قضية العناية والمصادقة

ـ المسلم المعاصر بين المعية والمسئولية.

ـ السطحية وغياب الهدف

ـ الثقافة الإسلامية ومدى تأثيرها في الفكر المعاصر

ـ نشأة الكون وخلق الإنسان بين العلم والقرآن. وهي مؤلفات علمية شرعية، وفكرية دعوية.

● كتاب «الجواهر الثمينة في محاسن المدينة» تأليف محمد كبريت بن عبدالله الحسيني ١٠١٢ ـ ١٠٧٠هـ تحقيق ودراسة الدكتور عائض الردادي يقع الكتاب في جزأين وجاء في ٨١٥ صفحة

من القطع المتوسط مزود بفهارس متنوعة.

● كتاب «علي أحمد باكثير: من أحلام حضرموت إلى هموم القاهرة».. جمع وإعداد د. محمد أبو بكر حميد، صدر عن دار المعراج في ٢٠١ صفحة من القطع المتوسط.

● كتاب «حديث النفس المطمئن» للأستاذ عبدالرحمن علي فلاح، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م البحرين، ٩٩ صفحة من القطع الصغير، كتبه المؤلف في وفاة ولده «علي» يعزي به نفسه وأهل البلاء احتساباً للأجر عند الله سبحانه وتعالى.

● كتاب «مفاهيم جمالية في الشعر العربي القديم ـ محاولة تنظيرية وتطبيقية» في ١٠٧ صفحات من القطع المتوسط صدر عن ديوان المطبوعات الجامعية في تلمسان بالجزائر، وهو للدكتور محمد مرتاض.

● كتابان للأستاذ عبدالكريم بن حمد الحقيل:

ـ أسر تحضرت في الجزيرة العربية، طبعة ثانية فريدة ومنقحة في ٢٣٧ صفحة من القطع الكبير، وهو عبارة عن كشف معجمي لـ٥٤٨٣ أسرة كانت تعيش في البادية وسكنت الحواضر.

ـ من مشاهير الجزيرة العربية، طبعة ثانية فريدة ومنقحة في ٣٠٢ صفحة مرتب على حروف المعجم ويضم أسماء ٨٤٠٥ علم للفترة من ٧٠٠ ـ ١٤١٩هـ.

● كتابان للدكتور سعد أبوالرضا:

ـ التعبير الدرامي، طبعة ثالثة ومنقحة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ٢٠٤ صفحات كتاب نقدي في معالجة النصوص المسرحية كشف فيه المؤلف عن أهم اتجاهات المسرح، وقد ضمنه عشر مسرحيات متنوعة لتمثيل ذلك.

ـ التراث والمتغيرات (البلاغة العربية نموذجاً) الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م. القاهرة في ١٩٨ صفحة من القطع الكبير، يكشف عن أهمية التراث في التأصيل للفكر المعاصر ومواجهة النص الأدبي.

● ثلاثة إصدارات للأستاذ الشاعر الكبير محمد التهامي:

ـ قطرات من رحيق العمر، ديوان شعر يضم ٣٠قصيدة في ١٢٥ صفحة من القطع المتوسط، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م ـ الرياض.

ـ أغاني العاشقين، ديوان شعر يضم ٤٤قصيدة في ١٧٣ صفحة من القطع الصغير، الطبعة الأولى ١٩٩٨، الناشر المكتب المصري الحديث/ القاهرة.

ـ النورسي أنوار لاتغيب، بحث فاز في المسابقة الثقافية الكبرى التي نظمتها جمعيات الشبان المسلمين العالمية عام ١٩٩٧م/ القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٨م طبع في كتاب متوسط الحجم ١٠٠صفحة.

● إصداران للشاعر حفيظ بن عجب آل حفيظ:

ـ أين ذاك العهد منا؟ ديوان شعر صغير الحجم يقع في ٧٢ صفحة ويضم ١٨قصيدة الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

ـ ضياع دار، رواية في حجم صغير ٦٥صفحة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

● حروف على صفحة القلب، ديوان شعر لرقعت عبدالوهاب المرصفي يضم ٣٨قصيدة في ١٥٠صفحة من الحجم المتوسط الطبعة الأولى ١٩٩٨م المنصورة/ مصر.

● كتاب «الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام» تأليف د. عدنان النحوي ـ دار النحوي للنشر في الرياض/ السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، يقع الكتاب في ٣٦١ صفحة.

● كتاب «ومضات إسلامية في الشعر العربي المعاصر» تأليف أحمد محمود مبارك ـ دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية/ مصر، الطبعة الأولى ١٩٩٩م ـ ١٩٤ صفحة.

● رواية «دموع إيزيس» إصدار مركز الحضارة العربية ضمن السلسلة الأدبية، تأليف حسني سيد لبيب ـ الطبعة الأولى ١٩٩٨م، مصر، ١٤١ صفحة من الحجم الصغير.

● الجزء الأول من كتاب «إحياء تاريخ العلماء الأكراد من خلال مخطوطاتهم» تأليف الأستاذ محمد علي القرداغي ـ الطبعة الأولى ١٩٩٨م العراق/ بغداد وسيتلوه ـ إن شاء الله ـ أجزاء أخرى وهو جهد أكثر من سبع سنوات من البحث والتنقيب في المخطوطات يهدف إلى إبراز دور العلماء الأكراد في خدمة الإسلام، يقع الكتاب في ٣٩٢ صفحة.

● ديوان «إبحار بلا ماء» ست وعشرون قصيدة، للأديب الشاعر الأستاذ عبدالله بن إدريس رئيس النادي الأدبي في الرياض، صدر الديوان عن دار اشبيليا ـ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

هذا حال.. عاشق الأدب

أخي المحترم د.عبدالقدوس أبو صالح

يسعدني جداً ويسرني كثيراً أن أكتب إليكم هذا الخطاب لأعبر لكم من خلاله عن أمرين اثنين يختلجان في نفسي منذ مدة:

١ ـ أولهما: هو أن الله تعالى قد وفقكم في مجلة الأدب الإسلامي إلى نشر مواضيع متميزة وحساسة تتسم بالتحليل العفيف والتأصيل الدقيق بالإضافة إلى الشكل الأنيق والحلة القشيبة التي ظهرت فيها المجلة مؤخراً. إذ الحلي لا تجمل الشمطاء ولكنها تزيد الجميلة جمالا وحسنا.

٢ ـ وثانيهما وهو السبب الذي دعانا إلى كتابة هذا الخطاب هو أن عاشق الأدب عموماً ومجلته الغراء خصوصاً يظل دائم التطلع إلى قراءة الجديد من أعدادها ودائم البحث والسؤال عنها في الاكشاك وبين الإخوة العشاق، لكن والأسف على ما يحصل من تأخر في وصول المجلة إلينا. فكلما صدر عدد جديد وصل إلينا نحن الذي قبله بمعنى أن معدل التأخر أربعة أشهر تقريباً ولذلك فإني التمس منكم أن تعملوا على توزيع المجلة في كل البلاد العربية بعد صدورها مباشرة فإنه لا معنى لأن تصل إلينا بعد صدورها بأربعة أشهر وربما أكثر وإذا كان ذلك مقبولا من قبل فإنه لم يعد مستساغاً بعد تطوير المجلة في الآونة الأخيرة وأذكركم أن جميع المسابقات التي تعلنون عنها في المجلة لا نعلم بها إلا بعد انتهاء وقت قبول المشاركات والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اخوكم محمد العمراوي

مدير مجلة رسالة المعاهد ـ فاس ـ المملكة المغربية

■■■

الأدب الإسلامي في قلوبنا وعقولنا

الأستاذ الفاضل الدكتور عبده زايد نائب رئيس التحرير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد:

برغم ما يوجه إلينا من انتقادات نحن المغاربة من ارتباط بالغرب، منهجاً وفكراً، وتفتحا زائداً، وربما دهشة وانبهارا بمنجزاته الفكرية والمنهجية والنقدية فبرغم ما يصفنا به إخوتنا وأحبتنا المشارقة فإني أؤكد لك أستاذي الفاضل

قالوا.. عن المجلة

يجمعني بكم التآخي

سعادة رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

على بعد المسافات ورغم عدم معرفتي الشخصية بسيادتكم المحترمة إلا أنني التقي بكم على التآخي يتشرف أخوكم من بلدكم الثاني بالجزائر بكتابة هذه الكلمات التي أبعث لكم في شقاء حروفها بإعجابي العميق بهذه المجلة الأدبية وما يبذله مؤسسوها وجنودها الشرفاء من أجل خدمة الثقافة والوعي الفكري والتربوي والوقوف في وجه الحركات الهدامة التي أخذت تغزو عالمنا الإسلامي وتعمل على هدم قيمنا وعادتنا واصالتنا.

وفقكم الله وبارك في جهودكم على درب الكلمة الهادفة

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أحمد زاوي

رئيس جمعية الأمل الثقافية

المسيلة ـ الجزائر

■■■

مجلتكم خدمة للأدب والثقافة

سعادة الأستاذ الدكتور عبدالقدوس أبو صالح

رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته... وبعد،

فيسعدني أن أبعث إليكم بهذه الرسالة لأهنئكم بانجازاتكم المتواصلة في سبيل تطوير مجلة الأدب

الإسلامي الرائدة، خدمة للأدب والثقافة الإسلاميين، في هذا العصر الذي نحن في حاجة ماسة فيه إلى الإبداع الأدبي والفكري المنبثقين من الرؤية الإسلامية، فجزاكم الله خيرا، وسدد على الخير خطاكم.

أخوكم:

الدكتور بن عيسى باطاهر

الجزائر

■■■

دعم الأدب.. واجب

إن دعم مسيرة الأدب الإسلامي والثقافة الإسلامية النقية المضيئة لا يكون بالانتاج الأدبي والفكري فقط، بل إن من واجبات كل مسلم قادر مادياً ـ سواء كان أديباً أو غير أديب ـ أن يدعم مسيرة الأدب الإسلامي ماديا وإنني إذ أدعو المولى عزوجل كي يوفقني لأن أحظى بهذا الشرف الجليل والثواب الكبير.. فإنني أدعوه جل شانه أن يوفق أهل الخير من القادرين في شتى أرجاء أمتنا الإسلامية إلى الالتفات نحو أهمية ما تقوم به رابطة الأدب الإسلامي العالمية من خلال نشاطها ومجلتها وإصداراتها.. من جهود مضيئة تسعى إلى خير الثقافة الإسلامية ونشر الأدب الإسلامي المضيء كي يبدد ظلمة الغثاء البهيم الذي يستشرى في أفق الثقافة العربية منذ سنوات عديدة..

أحمد محمود مبارك

الإسكندرية ـ مصر

سالم نستطع تأكيده في المؤتمر الثاني للأدب الإسلامي بالدار البيضاء.

إن الأدب الإسلامي يجري في قلوبنا وعقولنا مجرى الدم ونعتبر أنفسنا من غير مجاملة، جنوداً أمامين من جيش الرابطة العرمرم قواها الله. وسدد خطاها، في هذا الموج المتلاطم، من الأفكار والنظريات الأدبية، والأنساق الفلسفية..وممارستنا للأدب الإسلامي، والدعوة إليه تعتبره، أولاً عبادة نقترب بها إلى الله عزوجل، فهي واجب لا نمن به على أحد. ولكن الذي يميزنا، نحن المغاربة، الخصوصية التاريخية للبلد، والأبعاد السياسية، وطبيعة التشكيلات الثقافية والفكرية مما يقتضي حيطة أكبر، وقدرة على الترجيح أدق. ثم أن تعاملنا مع النتاج الغربي، ينطلق في ما نحسب من عمقنا النظري والتصوري الأصيل ورؤيتنا المعرفية الواضحة ذات البعد العقدي التوحيدي الرصين فتعاملنا مع ما يقدمه الغرب تعامل نقدي، يستوعب ويتمثل ويمحص ويأخذ السمين ويطرح الهزيل، وكلها ممارسات عقلية واعية، ونحسبها راشدة، بتوفيق من الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تلميذكم ومحبكم

محمد همام

رئيس نادي الأدب الإسلامي

أغادير ـ المغرب

■■■

..واجتمعت في مجلتكم كل المسائل

سعادة رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي ـ حفظه الله.

لم أكن أتصور أن يتناسق الأدب الرفيع، والفن والنقد، والمواهب الواعدة، والثقافة معا في شكل بديع، وإخراج متميز حتى تصفحت مجلة الأدب الإسلامي وقلبت أبوابها وفصولها.. ومنذ ذلك الوقت وأنا على اقتنائها أحرص ولتتبع موضوعاتها الشيقة أرغب أسال الله تعالى أن يوفقكم ويبارك في جهودكم.

أخوكم جمال بن فضل محمد الحوشبي

باحث في هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

رابطة العالم الإسلامي ـ مكة المكرمة

إلغاء نون النسوة.. والنقد الأدبي النسائي

هاتان قضيتان مشعلتان انصالاً وثيقاً، برغم ما بينهما من تناقض بيّن، وقد أثارت القضية الأولى في شهر نيسان - أبريل - الماضي صحيفة «الشرق الأوسط» في عدة أعداد متتالية منها، مستفتية عدداً من المفكرين العرب سواء أكانوا داخل عالمنا العربي والإسلامي، أم خارجه، حول إلغاء «نون النسوة» أو إبقائها، وبرغم تباين الآراء، وأن الدافع لإثارة هذه القضية قديم حديث، وهو محاولة تصوير المرأة مهضومة الحقوق، مغلوبة الجانب، لكن الأسس الأخلاقية والمنهجية والعلمية لإثارة هذه القضية، مفقودة تماماً، وغائبة غياباً جلياً.

فهي أولاً صدى لما يثار في الغرب في هذا المجال، خاصة وقد سبقها كتب كثيرة صدرت هناك في النصف الثاني من هذا القرن تتحدث عن النقد الأدبي النسائي، وكتب أخرى تتناول أثر التفريق بين المذكر والمؤنث في مجال اللغة واستخداماتها، وهو ما وجدنا له بعض النماذج اليوم في التأليف العربي، وقد يكون هذا توجهاً علمياً، لكن فكرة النقد الأدبي النسائي ربما كانت ذات صلة وثيقة بتحرير المرأة وحقوقها، وما تستشعره كثيرات من الأوروبيات من تحيز المجتمع للرجل، وهو مايؤكد غياب الأسس الأخلاقية والمنهجية والعلمية عند مناقشة هذه القضية.

فهل لأن بعض اللغات الأجنبية كالإنجليزية لاتفرق في الجمع بين المذكر والمؤنث وإن كان ذلك يفهم من السياق - يكون لزاماً أن تخضع لغتنا العربية لذلك، علماً بأن اللغة الإنجليزية تفرق في الإفراد بين المذكر والمؤنث (He - She).

وإذا كانت المصطلحات النقدية لصيقة بالنقد ومادته، لا بالنوع البشري المنتج، فما جدوى التخصيص والتفريق في مجال الأدب ونقده، خاصة عندما تتحول القضية إلى حديث عن حرية النوع وحقوقه، كما رأت جوليا كريستيفا وغيرها.

إن اللغة - أي لغة - ليست وليدة يومها، وإنما هي في جانبها الأكبر ميراث أجيال وأجيال، بها سجل تراث الأمة ومعارفها وعلومها، وقواعد هذه اللغة وأصولها ثوابت، تغييرها يستهدف هذا التراث، ويلغي هذه المعارف، وبتد هذه العلوم، فتقطع الصلة بين ماضي الأمة وحاضرها، بحيث تصبح تهباً لتغيرات تعصف بها، لأن لغة الأمة تشكل هويتها منذ نشأتها إلى ماشاء الله، وأمة بلاهوية، ليست أمة، وليس أمامها إلا التبعية والذبول والموت.

وفي هذا المجال لن يؤدي إلغاء نون النسوة إلا إلى الخلط والضياع لغة وأخلاقاً، فما بين الجنسين من فوارق في البغاية والوظيفة، مبني على تباين التركيب الفسيولوجي والبيولوجي بينهما، وهو مالايستطيع أي بشر تجاوزه أو المساس به، وكيف تصل الأمة حاضرها بماضيها ومستقبلها، بل كيف تستشعر الأجيال الجديدة عظمة هذا الماضي، وأليمة تراثها الذي يبعث الثقة في نفوس هذه الأجيال، مادامت الوسيلة الفاعلة في هذا المجال قد تبدلت؟ ألا وهي اللغة، وإذا كانت الديانات غير الإسلامية ليست لها مرجعية لغوية ثابتة؛ فقد «نسوا حظا مما ذكروا به»، أما القرآن الكريم فقد كان وسيظل «بلسان عربي مبين»، «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه».

فلتهنأ المسلمة بما أسبغه عليها الإسلام من رعاية وتكريم وحقوق، فحفظ لها حقها في الميراث، ورأبها في الزواج وساوى بينها وبين الرجل في الثواب والعقاب، بل إن ما تتمتع به المرأة الغربية من حقوق اليوم، ليس إلا من عهد قريب، بعد مجيء الإسلام بأكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمان.

إن الفيلسوف الألماني كانت (١٧٢٤هـ/ ١٨٠٤م) يقرر أن إقامة علاقة تعاقدية قائمة على الزواج هو الحل الأوحد لاستقامة العلاقة بين الجنسين، ولذلك فليس إلغاء نون النسوة، ولا النقد الأدبي النسائي، ولا زعم تحرير المرأة براد لها ما تتمناه في هذا المجال بعد أن قرر لها رب العباد في الشريعة الإسلامية كافة حقوقها في كافة المجالات، فتبارك الله رب العالمين

«الذي خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة».

د. سعد أبو الرضا